محاضرات في
المدخل التاريخي للمكتبات

الدكتورة
عواطف المكاوى
كلية الآداب - جامعة طنطا

٢٠٠٦/٢٠٠٧


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ليَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاَتِ
رَبِهِمْ وأَحَاطَ بِمَا لَدِيْهِمْ وأَحْصَى كل
شيء عَدَدَا﴾
صدق الله العظيم
الآية ٢٨ سورة: الجن

المقدمة

يقاس تطور الأمم و رفعتها بوجود المكتبات بها و كم وكيف الإنتاج الفكرى الصادرعن مؤلفيها ، لهـذا كان توجه الأمم المعاصرة نحو تطوير مكتباتها و السمو بمستوى مفكريها، ويأتى هذا الإهتمـام نتيجـة الإدراك الواعى بأهمية المكتبة كجزء حيوى فى المجتمـع مـن شأنه الحفاظ على تراث و حضارة الشعوب وعـرض فكر علماءها.

وإنطلاقا من المقولة الشهيرة من لاماضى لـه لاحاضر له ولامستقبل ، تسعى الأمم جاهدة للحفاظ على فكر علماءها و الإفادة من فكر علماء غيرها من الأمم و الحضارت على مر الأزمنة ، و من هنا جـاء الـدور البؤرى للمكتبات كخلية أساسية فـى كيـان المجتمـع وتكوينه.

وكنتيجة طبيعية لبؤرية المكتبة فى أى تجمـع بشرى ،فلابد ألا يقتصر الأمر على مجـرد الإهتمـام بالتطوير و التحديث لمكتباتنا ، بل لابد أن يمتد الأمـر إلى الإلمام و الإحاطة بحال المكتبات فـى عصـورنا وعصور غيرنا من الأمم فى الأزمنة الغابرة .

ومن هنا جاءت أهمية تعرف طلاب المرحلة الجامعية الأولى بقسم المكتبات على تاريخ المكتبات فى العصور المنصرمة مع الإحاطة بحالها فى العصر الراهن.

و الأمل كبير فى طلابنا الجدد بطموح ودأب لا يحده يأس و ملئه البشر و التفاؤل ، و فى إفادة مردودة : إفادة الطلاب أولا ، ثم إفادة الطلاب شباب مصر الواعد لمجتمعهم الأم مصرنا الحبيبة.

قائمة المحتويات

الفصل الأول

نشأة وتطور الكتابة في العصور القديمة

أثر ندرة الكتابة قديما :

تسببت ندرة الكتابة فى عدم تأثيرها على كافة أفراد الشعب بسبب الأمية ، حيث كانت الوسيلة الوحيدة لنشر المؤلفات هى كتابة نسخة واحدة أخرى من المخطوطة الأصلية ، مما جعل الكتب غالية الثمن و نادرة الوجود . و جعل الكتابة سرا من الأسرار التى يحتفظ بها طبقة من الناس (الكهنة) و يتوارثونها جيلا بعد جيل .

هذا و قبل ظهور الكتابة ، كان الإنسان يستخدم لغة الإشارات فى التواصل مع أقرانه ، أو يجمع بعض الأشياء الملموسة معا و يتبادلها مع من يريد التواصل معه بحيث يكون لكل منها دلالته فيما بينهما كلإسلوب للحوار فيما بينهم .

و قبل ظهور الكتابة كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة للإتصال ، و لكنها لم تمكنه من تسجيل معارفه و خبراته التى كانت عرضة للضياع و الفقد أو التحريف كأى معلومات غير موثقة ، فما سمى الإنسان إنسانا إلا لنسيانه .

▫ أثر ظهور الكتابة على الإنسان:

عندما وجد الإنسان أن خبراته عرضة للنسيان والفقد ، كان من الضرورى أن يجد وسيلة يعبر بها عن أفكاره و يدونها حتى لا تكون عرضة للفقد و النسيان ، ففكر فى الكتابة كوسيلة لتسجيل أفكاره بأكثر من طريقة عن طريق الرموز .

يعد ظهور الكتابة من أهم الخطوات التى خطاها الإنسان فى إنتقاله إلى المدنية الحديثة و خلال رحلة تطوره الإجتماعى ، حتى أن ظهور الكتابة يعتبر فاصلا يحدد بداية التاريخ.

هذا و قد ساعد ظهور الكتابة الإنسان على تسجيل معارفه ، إلى جانب توصيل أفكار البعض للاخرين ، كما جعلت من التفكير الإنسانى عملية جماعية متصلة تتفاعل فيها العقول فى سبيل إزدياد المعرفة .

ومن هنا تظهر أهمية الكتابة فى تسجيل الحضارات و نقلها عبر الحقب المختلفة ، فبدون الكتابة لا وجود للكتب ولا وجود للمكتبات ، فهى تعد من وسائل الإتصال و تبادل الخبرات بين الحضارات .

▫ تطور الكتابة :

بدأ الإنسان **بالكتابة التصويرية** ، حيث كان يرسم صورا تدل على الأشياء و الأفعال أو يعبربها عن أفكاره.

و تتضح هذه الكتابة التصويرية فى العديد من الكتابات الأولية ،حتى أنه يمكن وصفها بأنها قصص بدون كلمات .

وقد وضحت لنا آثار المصريين القدماء إستخدامهم لكتابة مؤلفة من علامات هيروغليفية تصور أشياء متميزة ، و ظلت هذه الرسوم التذكارية المنقوشة على الجدران فى المعابد و المقابر مستعملة حتى بداية العصر المسيحى ، ثم حلت محلها أبجديات يونانية لكتابة اللغات القبطية التى تعتبر أخر مراحل اللغة المصرية القديمة التى مازالت مستخدمة فى الألحان الكنيسية قديما .

ثم ظهر **الخط المسمارى** في العراق بين نهرى دجلة و الفرات ،و إحتل نفس المنزلة التى يحتلها المصريون القدماء و الصينيون بإعتبارهم أول من إستخدم نظام الكتابة عام ٣٠٠٠ق.م. حيث يعتبر كتاب

التغييرات الذى كتبه أحد العلماء الصينيون فى القرن الثانى عشر ق.م. هو بداية للتفكير الصينى المدون.

وقد إستخدم السوماريون علامات لفظية تصور الأشياء المشار إليها ، ثم إستخدمت علامات صوتية ساعدت فى الدقة فى الوصف ، و بالتالى أصبح فى الإمكان التعبير عن أى مجموعة كلامية .

ثم تطورت الكتابة حوالى عام ٢٥٠٠ق.م. إلى بضع شرط على شكل الإسفين أو المسمار الخشبى ، و هى التى إشتق منها إسم الخط المسمارى ، و كانت هذه اللغة تكتب على قوائم من الصلصال اللين بواسطة قلم دقيق الطرف ، و غالبا ماكان طرفه مشطوفا ، و قد أخذ البابليون والأشوريون ، ومن بعدهم الحيثيون الكتابة المسمارية من السوماريون و طوروها لتلائم لغتهم .

و قد إشتق إسمها من كونها عبارة عن إشارات طويلة مثلثة الشكل تشبه المسامير .

- **ظهور الأبجدية:**

ظهرت الحروف التى تطورت فيما بعد إلى الحروف الأبجدية فى فينيقا، حيث يعود الفضل الأول

إلى الفينيقين فى إختراع الكتابة الأبجدية التــى كانــت مصدرا لكل الكتابات الأبجدية العالمية .

و قد كانت الأبجدية (٢٢) حرفا ساكنا يؤخذ من هذا أن الحروف المتحركة أهملت فى هذه الأبجــديات ، كما إستعار بــدو جزيــرة العــرب كتابــاتهم مــن النبطيــين (أصل الغة العربيــة) ، و يعــد الخــط العربى نفسه يعد نوع من الخط السريع متصل الحروف و يمتاز بحذف الحركات الصوتية من فوق الحروف أو تحتها إلا فى بعض الحالات ، كما طوع الخط العربــى نفسه لجميع ضروب المحسنات التى دخلت عليها بعض التقنينات .

هذا و تعرف الكتابــة الأبجديــة بأنهــا الكتابــة الصوتية التى تعنى بتدوين الكلمات وفقا لنطقها و لفظها ، حيث يتم التعبير عن الكلمات صوتيا وفقا لنطقها .

- **أدوات الكتابة :**

إختلفت المواد المستخدمة فى الكتابة من مكان لآخر وفقا لظروف الحياة و طبيعة البيئة و المناخ فى هذا المكان ، إضافة لطبيعة العلاقات السياسية التى

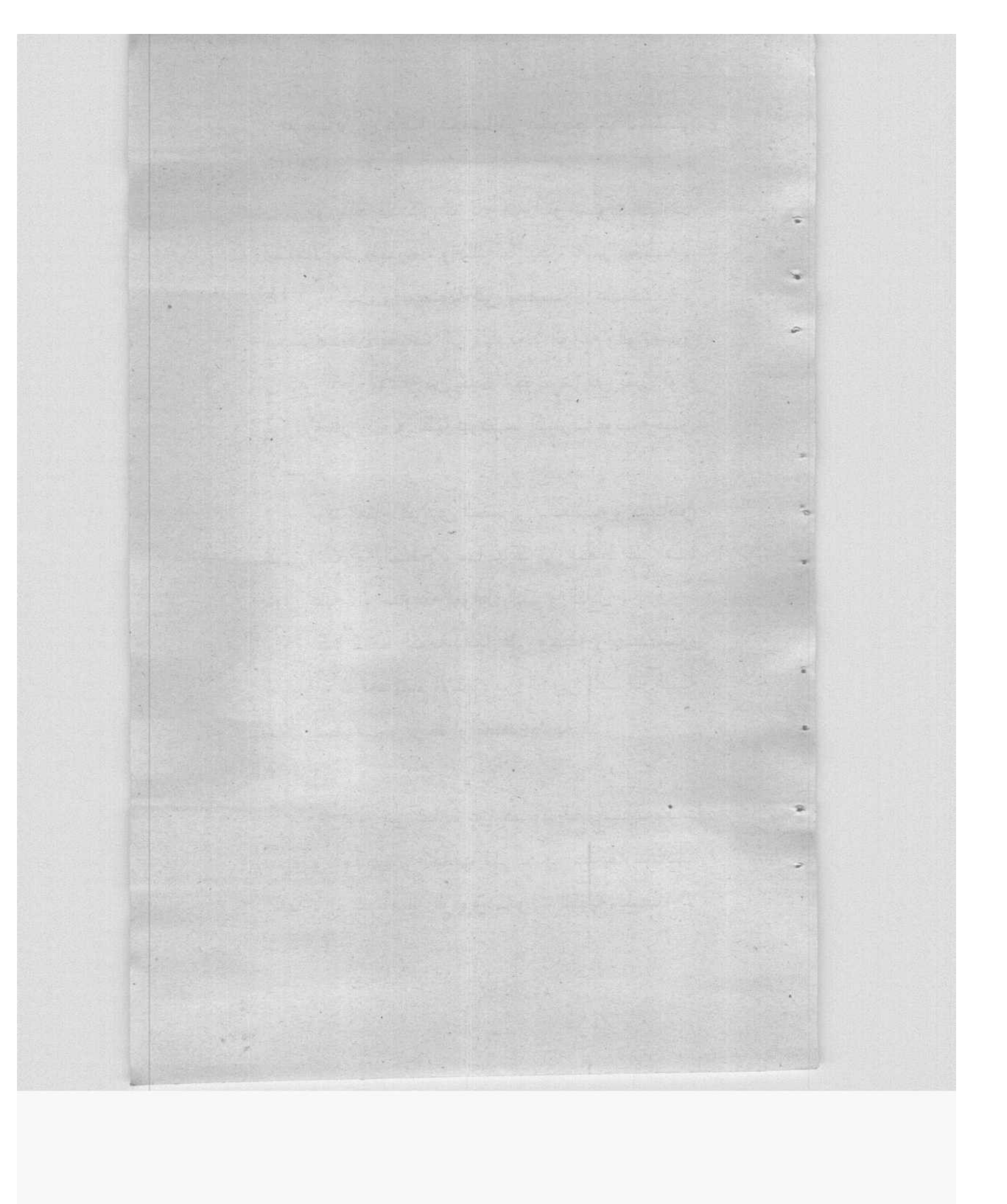
تربط بين الشعوب على إختلافها و ما يربطهم من علاقات تجارة و تبادل.

و يمكن التميز بين مجموعة وسائط إستخدمت للكتابة فى عصور الكتابة الأولى و منها :

١. **الألواح الفخارية** :إستخدمها السوماريون منذ عام ٤٠٠٠ق.م.، و البابليون فى تسجيل كتاباتهم ، حيث كتبوا على الطين الطرى بالنقش عليه بسن آلة حادة ، و كان الكاتب إذا إنتهى من كتابته جفف اللوح الطينى فى النار أو عرضه لحرارة الشمس ، و هذه الألواح كانت تعيش مدة أطول من الورق .

٢. **ورق البردى** :و هو نبات كان ينمو بكثرة فى دلتا النيل قديما ، ووصف المؤرخ بللينى كيفية إعداد لفائف البردى ،و تتلخص طريقة صناعته فى :

- ❖ تقطيع الأجزاء السفلية من سيقان النبات لشرائح رقيقة بواسطة سكين حادة بعد تقشيرها.
- ❖ تصف هذه الشرائح جنبا إلى جنب على لوح من الخشب أو بسطح حجر أملس .
- ❖ نضع فوقها شرائح أخرى مماثلة متقاطعة مع الأولى ، ثم تبل بمادة لزجة .



و عرضا و إن كانت أحجامها فى المتوسط حوالى ٢٥ x ١٨سم تقريبا .

و بذلك فقد كان البردى من أكثر مواد الكتابة إستعمالا بعد ظهوره ، و ذلك لما يتميز به من متانة و خفة فى الحمل و سهولة فى الحصول عليه و التحكم فيه ، يضاف إلى ذلك تعدد أنواعه وألوانه ، و إن كان أكثر أنواعه من حيث الجودة ما كان يميل لونه إلى الإصفرار ، و أقلها جودة ما إقترب لونه من الإسمرار .

وقد إمتاز البردى المصرى بالمتانة و بياض اللون و نعومة السطح ، مما ساعد فى الحفاظ على ما يدون عليه ، و مقاومته لعوامل البلى و التآكل .

كما كانت الكتابة دائما على وجه واحد من البردية ، ثم بعد تمام الإنتهاء من التدوين تلف البردية بشكل إسطوانى و تربط أو تحفظ مطوية .

٣. الرق:

الرقوق هى عبارة عن جلود الحيوانات بعد ذبحها و معالجتها و تجفيفها لكى تصبح صالحة للكتابة عليها ، ورغم أهمية الرقوق كأدوات للكتابة عليها إلا

أنها لم تحظى بنفس سمعة نبات البردى بعد ظهوره ، مما تطلب الأمر ضرورة إدخال بعض التعديلات للقضاء على معوقات إستخدامه ، فقد تم تطويعه بحيث يستخدم فى شكل دفاتر و كراريس بدلا من لفائف ، و لكن هذا التطور فى شكل الكتب لم يكن يناسب البردى الذى لم يكن أكثر قابلية للطى بنفس إمكانية طى الرقوق .

وقد كان ذيوع وإنتشار إستخدام الرق كمادة للكتابة فى أول الأمر عند اليونان و الرومان و فى الأمم المسيحية حيث إعتمدوا عليه بالدرجة الأولى كمادة للكتابة .

هذا وتعتبر جلود الماعز و الخراف و الأبقار من أكثر أنواع الرقوق إستخداما ، حيث كانت تعالج بعد ذبح الحيوانات و تنظف من الدهون و تجفف بتعريضها للشمس ، يلى ذلك عملية تمام تنظيفها بمسحوق الحجر الجيرى الناعم و حكها على الصخور للإزالة ما بها من شعر ووبر و لتكون صالحة للكتابة عليها من الوجهين .

و مما يميز الرقوق عن غيرها من أدوات الكتابة متانتها و قوة تحملها و إمكانية كشط ما دون عليها بسهولة و إعادة الكتابة عليها مرة أخرى .

و نظرا لخصائص الرق المميزة له عن باقى وسائط الكتابة الأخرى ، فقد إعتبر هو الشكل البدائى للصورة الحالية للكتاب ، فقد كان هو البداية الأولى للتجميع المحاك لمجموعة رقاقات معا لتأخذ الشكل الحالى للكتاب .

هذا و يعد التصنيع البدائى للرقوق قديما أحد أهم الأسباب التى أدت لتلف العديد من الرقوق التى وصلتنا و التى لم تصلنا .

٤. اللخاف:

و هى عبارة عن قطع من الحجر الجيرى الناعم الرقيق (الأحجار الكبيرة العريضة التى يمكن التدوين على سطحها)

٥. الفخار و الشقافة :

و هى عبارة عن قطع من الأوانى الفخارية المحروقة ، فى الغالب كان يقتصر إستخدامها على

الفقراء الذين لا يملكون الكتابة على غيرها من الأدوات .

و من عيوب إستخدام الفخار كمادة للكتابة أن المساحة المخصصة للكتابة عليها تكون محدودة ولا تسمح بكتابة النصوص الطويلة عليها ، و ذلك لأن المستخدم من هذه الشقف كان فى الغالب من القطع المحطمة من الأدوات المستخدمة فى الحياة العادية كالجرار و الأوانى .

٦. ألواح الطين المحروق :

كان يستخدمها المصريون و العراقيون و السوريون و الأتراك فى الكتابة ، و كانوا يغطونها بطبقة من الحجر الجيرى حتى يسهل الكتابة عليها و يثبت ما كتب .

و تعتمد طريقة الكتابة على الألواح الطينية فى الكتابة عليها و هى مازالت رطبة ، حيث ينقشون ما يريدون ، ثم يتركونه ليجف بفعل حرارة الجو أو بتعريضه لأشعة الشمس.

وعندما إنتقلت الألواح الطينية لأهل العراق كانوا يجففونها فى بدلية الأمر، ثم يستخدمون آلة حادة فى

الحفر عليها بعد طلاءها بمادة جيرية بيضـــاء لتســاعد على وضوح الكتابة .

وعثر على أسطح بعضها على ثقـــوب صـــغيرة كانت تساعد فى أثناء عمليات التجفيف التى تتعرض لها هذه الألواح ، حيث تسمح بنفاذ الهواء إلى داخلها .

صنعت هذه الألواح من الطين الصلصـــال بعـــد تنقيته من الشوائب و حرقه بالنار

٧. الكتان :

كانت تستخدم الأقمشة الكتانية فى الكتابة و خاصة فى الأمور الدينية و الخاصة بالموتى ، حيث ... على قطع من الكتان حول مومياوات بعض ملوك الفراعنة .

و كان مما يميز الكتابة قبل ظهور الطباعة ترك الكتاب لهوامش على جانبى المادة المكتوب عليها حماية للنصوص من الفقد عند تلف أطراف المخطوطة .

٨. الورق:

إشتق مصطلح الورق من مصطلح أوراق البردى التى كانت تجلب من مصر ، و الورق بمفهومه الحالى يعنى تلك المادة التى يكتب عليها و تصنع من الأليـــاف

النباتية المطحونة و المعالجة بمواد كيميائية بعد تشكيلها وتجفيفها .

وتقوم صناعة الورق على فصل لحاء النباتات الضخمة ، ثم تجفيفها و طحنها و عجنها بالماء ، ثم تشكيلها على هيئة ألواح بفرد العجينة المتكونة على أسطح ملساء و تركها حتى تجف ، ثم إستخدامها في الكتابة بعد ذلك .

هذا و لم تقتصر الحضارة الصينية فى صناعتها للورق على لحاء الأشجار فقط و لكنهم إعتمدوا أيضا على شباك الصيد القديمة بعد تجفيفها و طحنها و تحويلها إلى عجينة بنفس الإسلوب السابق عند صناعته من لحاء الأشجار .

وقد إنتقلت صناعة الورق إلى الشعوب العربية و الحضارات الأخرى عن طريق الأسرى الصينين الذين كان شرط إفتداءهم تعليم العرب صناعة الورق ، و بذلك فقد إنتقلت صناعة الورق من الصين التى كانت حكرا عليهم إلى العرب و منهم لمختلف الشعوب الأخرى التى فتحوها .

ثم تطورت صناعة الورق رويد رويدا بعد الإضافات العديدة التى أدخلتها كل من الشعوب التى عرفت صناعته حتى أخذ الشكل الحديث الذى نعرفه عليه الآن.

٩ - سعف النخيل :

ح إستخدام سعف النخيل فى بلاد شبه الجزيرة العربية نظرا لإنتشار وجود أشجار النخيل بها ، حيث كان يقطع سعف النخيل إلى أجزاء ، ثم توضع فى ماء مغلى و ذلك لتذبل المادة الحية بها ، و بعد ذلك تجفف فى أشعة الشمس و يدك و يكتب على وجهها.

١٠. المهارق :

و هى عبارة عن قطع من الأقمشة كانت تصقل بالنشاء و تجفف ، ثم يدون عليها ، و فى الغالب كانت تستخدم الأقمشة الحريرية .

هذا و تمتاز الأقمشة كمادة للكتابة بالمرونة فى الإستخدام و الطواعية ، كما إستخدمت الفرش المصنوعة من أوبار الحيوانات فى التدوين عليها .

١١.الألواح الخشبية :

إستخدمت الألواح الخشبية فى التدوين فى القرون الأولى الميلادية ، حيث كانوا يكتبون عليهـــا بطريقـــة الحفر بإستخدام آلة حادة ، و أحيانا كـــانوا يســـتخدمون الأقلام الغاب و الأحبار فى الكتابة عليها .

و تمتاز الألواح الخشبية عن غيرها من الأدوات الأخرى المستخدمة فى الكتابة فى أنها أقل عرضة لمحو ما عليها و أقل عرضة للتلف .

- **أدوات الكتابة :**

١) المداد :

يعد المداد (الحبر) من أهم الأدوات على الإطلاق التى كانت تستخدم فى الكتابة سواء كانت المادة المدون عليها رق أو بردى أو ورق ...أو أى مادة أخرى مما سبق ذكرها .

وقد عرف العرب المداد أول الأمر عن طريـــق الصينيين ، و إختلفت أنواعه فمنه ما كان يصلح للكتابة على الرق و منه ما كان يصلح للكتابة على الورق ، و منه ما كان أحمر اللون ، و منه ما كان أسود اللـــون ،

إضافة لوجود ألوان أخرى منه كانت تستخدم تجميل و تزيين المخطوطة .

و قد صنع المداد الأسود منالهباب الموجود على أوانى الطهى المنزلية و الذى كان يترسب على قواعدها كنتيجة لتعرضها للنار (يصنع من الكربون) ، ثم يتم خلطه بعد طحنه مع سائل مخفف من الصمغ يساعد على جفافه بعد الكتابة به .

٢) آلات حادة :

كانت تستخدم فى النقش على الحجارة و على جدران المعابد خاصة فى اللغات التى كانت تمثلها الرموز و الصور كاللغة الفرعونية القديمة.

٣) الفرشاة :

وكانت تصنع من النباتات و الحبال وأشجار الكتان ، حيث كانت تدق سيقان النباتات بعد تمام جفافها ، أو تمضغ بالأسنان لتصبح كالفرشاة يمكن إستخدامها فى الكتابة .

هذا و فى بعض الأحيان كانت تصنع الفرشاة من أوبار الحيوانات و شعرها كما هو الحال فى الحضارة

الصينية حيث كانوا يعتمدون على أوبار الجمال و أحيانا ريش الطيور فى صنع مثل هذه الفرش .

٤) أقلام الغاب :

إستخدمت سيقان نبات الغاب الذى كان ينمو على ضفاف نهر النيل كأقلام ، و ذلك بعد بريها بألة حـــادة بحيث تصبح مائلة الطرف بشكل يسهل معه الكتابة بها و يحدد شكل كتابة الحروف بالشكل الذى يرغبه الكاتب ، بحيث يكون الطرف سميكا فى حالى الحروف الكبيرة و الغليظة ، و يصبح الطرف رفيعا فى حالة الحـــروف الرقيقة.

كما كانت كل ساق تقسم إلى قسمين حتى يســـهل معها عملية الكتابة بسهولة .

٥) الدواة :

كانت تملء بالمداد (الأحبار) ، كانت تصنع من الفخار أو العاج أو الخشب ، و عبارة عن حفـــر فـــى داخل قطعة الخشب أو العاج لوضع الحبر.

٦) المقلمة :

و كانت تستخدم لحفظ الأقلام ، و هى عبارة عن تجويف فى قطعة الخشب أو البوص و تشبه فى فكرتها

من مشجعى الآداب و الفنون ، وعثـر علـى صـور لأشخاص كانوا أمناء للمكتبات فى زمانهم .

يؤكد ذلك أن مصر كانت مهيئة لظهور الكتابة و من ثم الكتب ، و خير دليل على هذا العبارة التى وجدت مكتوبة على مقبرة موظف من عصرالأسرات و هـى (كاتب دار الكتب)، و يعد هذا دليل علـى وجـود دار للكتب فى مصر القديمة ، إلى جانب أنها تعد دليل على وجود مكتبات تحتوى على مجموعات من لفائف البردى محفوظة فى جرار و محفوظة على رفوف.

هذا و تؤكد آثار المصريين القدماء على براعتهم فى كافة مجالات الحياة على إختلافها ، فقد عثـر لهـم على مؤلفات فـى الأدب و الشـعرو القصـة و علـم الجغرافيا و التاريخ و الزراعة و الرياضيات و الفلك و الطب و علم الحيوان و الفلسفة و علم النفس و الهندسة و الصيدلة و الدين .

كمـا تؤكـد دراسـات التـاريخ الفرعـونى و الحضارات القديمة أن الفراعنة لم يأخذوا العلم مـن أى حضارة أخرى و لم ينقلوا عنها و إنما كانت حضاراتهم جزء من إحتياجات مجتمعهم .

٢) في الصين :

تعتبر الصينيون من أقدم الشعوب التى عرفت الكتابة ، حيث كان للصين أدبها و فنونها على مدار التاريخ ، و الدليل على ذلك ما قاله أحد الفلاسفة من أنه قد مل العمل كأمين لمكتبة الملك جو ، حيث كان للنهضة الصينية فى الأدب و الفلسفة أثرها على الكتب و من ثم المكتبات فى القرنين الخامس و السادس ق.م.

٣) في بلاد اليونان:

أدت رطوبة الجو فى بلاد اليونان إلى تعرض كثير من مواد الكتابة التى سجلت تاريخهم القديم للتلف و الفساد ، لهذا لم نعثر لهم على آثار مكتوبة .

هذا و قد عثر السيد (آرثر إيفنز) على ألواح بالقرب من بلاد اليونان تؤكد معرفتهم الكتابة منذ سنة ٢٠٠٠ ق.م. على الأقل .

كما أن الآثار الأدبية الطويلة لهم كالألياذة و الأوديسا تؤكد أنها كانت أشعار مكتوبة ، و إلا إستعصت على الذاكرة و الحفظ .أى أن اليونانيين عرفوا الكتابة منذ أيام هوميروس و أرسطو و أفلاطون

الذى كانت طريقته فى الحوار مع مستمعيه تفرض عليهم ضرورة البحث و الإطلاع.

٤) فى بابل و العراق :

قامت الدولة البابلية فى العراق على أنقاض الدولة السومارية بما عرف عنها من حضارة و إعتماد على الخط السومارى فى تدوين ثقافتهم ، و بذلك فقد ورث البابليون عن السوماريين حضارتهم و تراثهم و قاموا بتطويرها .

هذا و قد قام السوماريون بتسجيل العديد من أمور حياتهم المختلفة مثال ملحمة جلجامش .

▫ أثر ظهور التدوين عند العرب و المسلمين :

كان لنزول القرآن الكريم أثر كبير على العرب و المسلمين بصفة خاصة و على العالم اجمع بصفة عامة ، فكانت أولى آياته تبدأ بكلمة (إقراء) ، كما حث على طلب العلم فى أى مكان حتى و لو فى الصين ، و جعل من يسعى لطلب العلم كالمجاهد فى سبيل الله و حث على إحترام العلماء و تبجيلهم و جعلهم ورثة الأنبياء حيث يحملون على عاتقهم أمانة توصيل العلم ، و ذكر أنهم أكثر العباد خشية لله تعالى .

و لعل من أبرز ما يدل على ذلك أن الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة و السلام جعل فداء أسرى المشركين فى غزوة بدر تعليم عشرة من المسلمين القراءة و الكتابة .

كما إهتم المسلمون بتدوين المصحف الشريف و ضبط آياته منعا للحن و الإلتباس كنتيجة طبيعية لعدم وجود الشكل و النقط فى الكتابة العربية الأولى ، و بذلك يعتبر المصحف الشريف هو أول كتاب عربى ظهر للوجود .

و يعتبر النصف الأول من القرن الأول الهجرى هو بداية حركة التأليف العربية ، و التى أخذت فى الإزدهار بداية من القرن الثانى الهجرى حتى يقال أن إبن شهاب الأزهرى كان إذا وضع كتبه ينشغل بيا عن كل شئ ، ثم ظهرت عمليات جمع الأحاديث النبوية الشريفة و السير ، أعقب ذلك جمع التراث و التاريخ و الأدب فنتج عن ذلك ظهور كتب فى مختلف هذه المجالات ، تلي ذلك ظهور حركات الترجمة التى عمدت إلى نقل تراث و حضارات الشعوب الأخرى إلى العربية لتحقيق أقصى إفادة منها فتمت عمليات ترجمة

من الحضارة الفرعونية فى مصر والحضارة الفارسية فى إيران والحضارة السريانية فى العراق.

تلى عمليات الترجمة و نقل ثقافة الحضارات إلى العربية ظهور ما يعرف بالأمـــالى ، و هـــى ظهـــرت كنتيجة طبيعية لظهور ما يمكن أن يطلق عليه تجـــاوزا بالمسجد الجامعة ، حيث كان طلاب العلم عقب أوقـــات الصلوات يجتمعون مع أحد العلماء و يأخذون عنه العلم و يتولون تدوين ما يمليه عليهم ، لذلك أطلق على هـــذه المكاتيب بالأمالى لأنه كانت تدون عن لسان الشـــيخ أو العالم كما يمليها عليهم إرتجاليا دون سابق ترتيب منه ، و قد إنتشرت هذه الأمالى و ذاع صـــيتها فـــى القـــرن الثالث و الرابع الهجريين.

و قد أصقل ظهور صناعة الورق وجـــود هـــذه الأمالى ، فإنتشرت اعمليات النسخ ، ثم ترتب على ذلك ظهور عمليات التجليد و حوانيت الوراقة التى صاحبها ظهور الوراقيين الذين يعنون بهذ الصناعة .

ومما يلفت الإنتباه أنه رغم هذه الزيادة الكبيـــرة فى حركات التأليف و الترجمة فى المجتمـــع العربـــى الإسلامى وجدت ظاهرة غريبة بـــين أوســـاط بعـــض

المؤلفين ألا و هى ظهور بعض عمليات التخلص من هذه المؤلفات عمدا من قبل مؤلفيها سوا عن طريق حرقها أو بلها بالماء لغسل ما بها أو دفنها و كانت مبرراتهم فى ذلك الآتى :

أ. حتى لا تقع هذه المؤلفات فى أيدى من يسئ إستخدامها.

ب. خشية أصحاب هذه المؤلفات من إساءة إستخدامها بعد وفاتهم و خوفهم من تحملهم وزر ذلك أمام الله.

ج. بعضهم كان لا يرغب فى إفادة أو إطلاع الآخرين عليها و يريد الإحتفاظ الإنفراد بما فيها من معلومات لنفسه .

د. خوفهم من وقوع هذه المؤلفات فى أيدى من لايعرف قدرها ولاقيمتها.

- **ظهور الكتابة فى أوربا :**

- أثر ظهور الديانة المسيحية بشكل كبير على إنتشار الكتابة ، و ذلك على إعتبار أنها ديانة تعتمد على النصوص المكتوبة .

و قد كان التعليم محدودا فى هذه الفترة لأن عدد الذين يقراءون اللغة اللاتينية و يجدونها سواء قراءة أو

كتابة محدودا ، كما كانت هذه الفترة فترة قلاقل و توترات سياسية كنتيجة لهجمات قبائل البربر على كل من إيطاليا و إنجلترا و إبادتها و تدميرها .

ورغم كل ذلك إلا أن هذا لم يعيق إنتشار الكتابة و الكتب ، فنشأت المكتبات فى داخل الأديرة و التى كانت تغطى بالدرجة الأولى الكتب الدينية الخاصة بالصلوات و العبادات ، إلى جانب ما أتيح لها من القليل من الكتب فى باقى الموضوعات الأخرى .

وقد لعب المسيحيين دورا بارزا فى نشر و تطوير الكتب ، حيث كانت كثرة تنقل رجال الدين المسيحى من مكان لآخر تفرض عليهم إصطحاب الكتب الدينية و التى تطلبت الحاجة ضرورة وجودها فى أحجام يسهل حملها فظهرت الكتب الصغيرة الحجم من الرقوق ،و ذلك حيث كانت الرقوق هى الداة المستخدمة فى التدوين فى العصور الوسطى الأوربية لكافة العلوم بما فيها المجالات الدينية .

و بظهور الطباعة على يد يوحنا جوتنبرج الألمانى الجنسية (١٤٠٠-١٤٦٧ م) تغير مجرى

الأحداث بصوة جذرية ، إذ ساهمت فى إنتشار و ذيوع صيت الكتب بدرجة كبيرة .

هذا و يعتبر أول كتاب مطبـوع فـى إوربـا و إستخدم فى طباعته مطبعة يوحنا جوتنبرج هو التـوراة ذات الإثنين و الأربعين سطرا و الذى تمت طباعته سنة ١٤٥٥م ، بعد ذلك ظلت عملية الطباعة قاصرة علـى الكتب الدينية فقط ، ثم رويدا رويدا بدأ النشر فى شـتى الموضوعات ، و خرجت الطباعة من المانيا و إنتشرت إلى مختلف الدول الأخرى .

وقد تميزت هذه الفترة الزمنية من عمر الطباعة الأوربية بأنها كانت حكرا على الألمان فى بـدايتها ، و بأن الطابع كان هو نفسه الناشر و هو نفسه البائع .

كما إتسمت المطبوعات في هذه الفترة بأنها كانت خالية من أى ترقيم للصفحات ، بل إعتمد الترقيم علـى النظام الذى كان متبعا فى المخطوطات من حيث ورود أول كلمة فى كل ورقة فى نهاية الورقة السابقة لها .

قائمة المصادر و المراجع التي إعتمد عليها الفصل :

١. أحمد على تاج . الكتابة ، الكتب، المكتبات : مدخل تاريخي . د.م : د.ن ، ٢٠٠١م.

٢. السيد السيد النشار .تاريخ الكتب و المكتبات في مصر القديمة . الأسكندرية : دار الثقافة العلمية للنشر ، ٢٠٠٠م.

٣. حامد الشافعي دياب . محاضرات شفهية على طلاب المرحلة الجامعية الأولى . جامعة طنطا ، كلية الآداب ، قسم المكتبات .

٤. سيد حسب الله ، محمد جلال غندور .تاريخ الكتب و المكتبات عبر الحضارات الإنسانية .الرياض :دار المريخ ،١٩٩٦م .

٥. عبد الستار الحلوجي . لمحات من تاريخ الكتب و المكتبات .[القاهرة] دار الثقافة للنشر و التوزيع ، ١٩٨٨ .

الفصل الثاني

نشأة وتطور الكتب

تبين من الفصل السابق بداية ظهور الكتابة كوسيلة للإتصال بين الشعوب ، ووسيلة لظهور الحضارات و تبادلها فيما بين الأمم .

ولقد كان ظهور الكتابة هو الإرهاصات الأولى للكتب بشكلها الحالى ، و للمكتبات الأولى ،و ذلك على إعتبار أن ما ترتب على ظهور الكتابة هو ما يطلق عليه مسمى الكتب ، كما أن ظهور الكتب و تجميع عدد منها هو ما يمكن تسميته بالمكتبة .

هذا و قد إرتبط شكل الكتاب فى كل زمان و مكان بالبيئة الموجود بها و ما تتيحه من مواد تصلح للكتابة ، و فيما يلى إيضاح لذلك :

فى العصور الأولى :

ظهرت الكتب المصنوعة من الرقوق و المهارق و العظام ....فكانت الكتب الخشبية عبارة عن مجموعة من الألواح الخشبية المصفوفة معا جنبا إلى جنب و يربطها رابط ، كما كان الحال بالنسبة للكتب القماشية حيث كانت ألواح الأقمشة المصنعة تجمع معا و تأخذ شكل كتاب .

و هناك شكل آخر للكتب ظهر فى الصين قـــديما حيث كانوا يكتبون على أعواد نبات البامبو و التى تشبه الغاب و الأعواد المأخوذة من سيقان النخيل ، و كـــان يكتب على هذه السيقان ، ثم تجمع معا من خلال ثقــب موجود بها فى أعلى و تربط معا ، كذا الأمر بالنســبة لألواح العظام حيث كانت تثقب و تجمع معا بواسطة ما بها من ثقوب .

و و صلت بعض هذه الكتب لعدد ضـــخم مـــن الألواح التى كانت تربط معا ، بحيث يشير آخر لــوح فيها لعدد مكوناتها من الألواح .

أما بعد ظهور الرقوق و البردى و الورق فقــد إختلف شكل الكتاب و أصبح ياخذ شكل مطوية أو لفافة يمكن فردها عند قراءتها ، كما كانوا يلصقون عصا فى بداية الكتاب ليمكن فرده و طيه بسهولة عند الرغبة فى قراءته ، على جانب أنهم كانوا يتركون مسافات معقولة على جانبى الأوراق لتحمى الكتابة من الفقد عند تلــف أطراف الكتاب .

و نظرا لعد عملية التعامل مع الكتب فى شـــكلها المطوى اللفافة ، فقد بدأ التفكير فى تطوير الكتاب بشكله

الدفترى الموجود عندنا اليوم ، و الذى وجد قديما فى صورة بداية فى كتب الواح العظام و الأخشاب المجموعة معا ، و بالفعل بدأ ظهور الكتب من الرقوق و فى شكل كراس عند الرومان ، تلاهم المصريون فى إستخدام الكتب المصنعة من البردى جنبا إلى جنب مع الكتب فى شكل لفافات .

و مع مرور الوقت بدأت الكتب الجلدية من الرقوق يغلب على الكتب الدينية و بدأ إختفاء الكتب فى شكل لفافات و مطويات فيما عدا المكاتبات الرسمية بين رجال الدولة ، خاصة و أن رجال الدين المسيحى كانوا كثيرى الأسفار و التنقل من مكان لآخر ، مما دعت إليه الحاجة لأهمية تغير شكل الكتاب ، بحيث يسهل حمله و التنقل به من مكان لآخر بهدف التعريف بالدين المسيحى و نشره .

و كان مما يميز الكتب فى هذه الفترة الزمنية أن الورقة الواحدة كانت تتكون من عدة أعمدة بحيث يمثل كل عمود منها صفحة من الموجودة الآن ، بمعنى أن الورقة الواحدة من الكتاب كانت تمثل عدة صفحات من الموجودة الآن ، إلى جانب وجود الهوامش فى أوراق

هذه الكتب ، حيث كانت الهوامش صغيرة فـــى حالـــة الكتب الأقل أهمية ، و كانت الهوامش كبيرة فى جالـــة الكتب الأكثر أهمية .

أما ما يميز الكتابة فى هذه الفترة الزمنيـــة فهـــو تشابك الكلمات معا بصورة متصلة بحيث يبدو السطر و كأنه كلمة واحدة ، كما كانت كل ورقة تنتهـــى بكلمـــة تشير لبداية السطر الذى يليها فى الورقة التالية ، و من الحضارات القديمة التى عرفت الكتب نجد :

١. **الحضارة الفرعونية القديمة :**

فقد عرف المصريون القدماء كتب الموتى التـــى كانوا يضعونها مع الموتى فى قبورهم مرافقة مع كتـــب السحرو ذلك إعتقادا منهم أنها تحمى الموتى بعد بعثهم ، و لكى تضمن له الراحة فى الحيـــاة الأبديـــــة التـــى سيحياها .

و هذه الكتب فى بدايتها كانت تدون على جـــدران المعابد ، ثم بعد ظهور البردى أصبحت ترافق الميـــت فى تابوته ، و بعد إنتشار البردى كان الكهنة يـــدونون هذه الكتب ثم يطرحونها للبيع ، و يتركون فيها مســـافة خالية لكتابة إسم المتوفى .

٢. حضارة ما بين النهرين (نهرى دجلة و الفرات بالعراق) :

نتج عن الحضارات التى نشأت فيما بين النهرين عدة حضارات منها حضارة بابل و السومريون و الآشوريون ، و قد إعتمدوا على الكتب المصنوعة من الألواح الطينية نظرا لطبيعة التربة الخصبة فى منطقة ما بين النهرين .

و قد نتج عن حضارات ما بين النهرين كم هائل من الألواح الطينية فى مختلف الموضوعات فمنها ما كان يغطى الأساطير و الحكايات الشعبية و العلوم المختلفة كالطب و الشعر ... كما إهتموا بنسخ هذه الألواح لإتاحتها على نطاق واسع .

٣ . الحضارة اليونانية :

لم تعتمد الحضارة اليونانية فى بدايتها الكتب ، بل إعتمد مثقفى هذه الحضارة فى بدايتها على قراءة ما يكتبون أمام أكبر تجمع من الناس ، و إن كان كبار المؤلفين اليونانيين كانوا يقومون أولا بتدوين كتبهم قبل قراءتها حفاظا عليها من الفقد .

ثم ظهرت عملية نسخ هذه الكتب بهدف إحتفاظ المؤلف على نسخة خاصة من مؤلفه في مكتبته الخاصة .

٤.الحضارة الرومانية :

قام الرومان بنسخ للإنتاج الفكرى الذى عثروا عليه بعد إنتهاء الحضارة اليونانية ، و كان مما ساعد الرومان على زيادة حصيلتهم من الكتب أنهم كانوا يحصلون عليها من ضمن غنائم الحرب .

هذا و بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية فإن العديد من كتبهم و مؤلفاتهم قد إعدمت و إحرقت ، او إستولى عليها الأفراد وأودعوها ضمن مكتباتهم الخاصة.

٥.حضارة الشرق الأقصى :

كان الصينيون أهل حضارة ، و رغم ذلك لم يصلنا من تراثهم الفكرى الكثير بسبب القلاقل و الفتن السياسية التى حلت بحضاراتهم على مر عمرها الزمنى ، فيحكى أن أحد حكامهم أمر بتدمير كافة الألواح الطينية الموجودة لدى الكتبة و ذلك لأن أحدهم كان قد تجرأ عليه فى أحدها .

أما ما لم تطله يد التخريب بفعل إضطراب الأحوال السياسية ، فقد تلف و دمر على مر الزمان كنتيجة لتلف هذه الألواح .

و يحكى أن الهنود كانت لهم أيضا حضارة لا تقل عن مثيلاتها من الحضارات الأخرى ، و لكن نظرا لأنهم كنوا يسجلون تراثهم على أدوات عرضة للتلف كسعف النخيل وأعواد النباتات فلم يصلنا من حضارتهم شيئا .

هذا و فى فترة من فترات حضارة الشرق الأقصى القديمة كان اليابانيين يذهبون إلى الصين للتعليم ،ثم يعودون ومعهم الكتب الصينية ، و بذلك يعملون على نشرها فى بلادهم .

ثم بدا بعد ذلك نشر الكتب فى اليابان بدلا من نقلها من بلاد الصين ،و كانت الكتب فى بدايتها دينية و تقتصر طباعتها و نشرها على المعابد البوذية فقط ، و مع مرور الوقت بدأ نشر و طباعة الكتب اليابانية فى شتى المجالات ، و لكنها تأثرت فيما بعد بسلسلة الحروب الأهلية التى وقعت فى المنطقة و التى ترتب عليها دمار عدد كبير من الكتب الموجودة .

أما في بلاد الهند و مع دخول الفتح الإســلامى إليها ، فقد زادت حركة نشر الكتب التى تخــدم الــدين الجديد بعدما كانت قبل الفتح الإسلامى تخدم الحضـــارة الهندية الموجودة .

الكتب فى العصور الوسطى :

إحتفظت الكتب فى العصور الوسطى بالعديد من خصائص الكتب فى العصور الأولى من حيث الإخراج و شكل الأوراق و إسلوب الترقيم ...

و مع ظهور الطباعة ، و بداية ظهور الكتاب المطبوع و الذى إحتفظ بالعديد من سمات الكتاب المخطوط من حيث الإخراج و شكل الورقة و طريقة عرض المعلومات بها .

و مع ظهور الورق و بداية إنتشاره بدأت الكتب من الرقوق و البردى و غيرها من الوسائط الأخرى تندثر رويدا رويدا ، خاصة بعد إنتشار الورق و إنتقاله من الصين إلى الحضارة العربية الإسلامية ، ثم إنتقاله من الحضارة العربية الإسلامية إلى الأندلس و منها إلى أوروبا بعد سقوط الأندلس فى أيدى الأسبان .

وفى هذه العصور و مع سقوط الإمبراطورية الرومانية هرب العديد من الرهبان و لجأوا إلى الأديرة ، و هناك كانت الفرصة سانحة لهم لنسخ الكتب ، ثم يتولى بعد ذلك الفنانون بعمل الرسومات و الزينة الخاصة بها ،و من هنا جاءت كتب هذه الفترة و قد إمتلئت بالزخارف و الرسومات الفنية .

و لم يقتصر نشاط الرهبان فى هذه الفترة على نسخ الكتب الدينية فى داخل الكنائس فقط ، و لكنهم لجأوا إيضا على نسخ الكتب فى شتى مجالات المعرفة التى تطولها إيديهم ، و العمل على نشرها .

الكتب فى العصور الحديثة :

فى العصور الحديثة و مع ظهور الطباعة و تطورها و تطور أساليبها و و تطور إساليب إخراج الكتب المطبوعة و وضع قواعد و تقنينات لها بدأ الكتاب يأخذ الشكل المعروف به الآن ، بل و نظرا لمعيارية قواعد إخراج الكتب فقد وضعت التعريفات المقننة التى توضح هويته و تميزه عن غيره من أوعية المعلومات الأخرى فكما عرفته منظمة اليونسكو هو

عبارة عن مطبوع غير دورى يزيد عن (٤٩) صفحة غير الغلاف.

هذا و قد ساعد ظهور الطباعة على نشر الكتب و إتاحتها للتداول بسهولة و سرعة و يسر و بتكلفة أقل مما كان عليه الحال قبل ظهورها ، خاصة فى الفترات الأخيرة من لزمن و بعد التطورات و التغييرات التى طرأت على المجتمعات .

فقد انتقلت الطباعة من ألمانيا عندما هاجر بعض الطابعين الألمان إليها و أنشأوا المطابع بها ، و منها إلى هولندا و فرنسا .

ثم بعد ذلك نشطت حركة الطباعة و زادت أعداد الكتب المطبوعة بصورة أثرت على شكل الكتاب و إخراجه من الناحية الفنية .

و حديثا فقد تطور شكل الكتاب و بدأ يخرج عن نطاق الشكل المطبوع و يتجه للأشكال أخرى ، فظهـر الكتاب الإلكترونى سواء فى شكل مسموع أو مرئـى أو سمعى مرئى ، و أخير ظهرت تقنية الإنترنـت التـى تعتبر أحدث الأشكال للكتب .

▫ الكتب عند الأوربيون :

و كما سبق الذكر فإن المسيحية دين ساعد على إنتشار الكتابة و تداولها فى أوساط من يدينون بها ، لهذا فقد إنتشرت الكتب مع إنتشار المسيحية ، فقد كانت الكنائس و الأديرة تقوم بجمع الكتب الدينية و تعرضها كهبات أو للتبادل أو بأسعار رمزية .

كما كان الحكام الأوربيون يحرصون على التقرب لكهنة عن طريق إقتناء الكتب ، هذا و لم يقتصر إقتناء الكتب فى أوروبا على الكتب الدينية فقط ، بل إمتد الأمر إلى لإقتناء الكتب فى شتى المجالات ، فإقتنوا كتب فى الفلسفة و اللغة ...كما إلحق بكل دير مكان لنسخ هذه الكتب تمهيدا لنشرها بعد ذلك .

أما فى فترة العصور الوسطى و هى عصور الظلام فى أوربا و فترة إزدهار الحضارة العربية ، فقد بدأ الأوربيون و إيمانا منهم بقوة الحضارة العربية ، بدأوا فى نقلها بالذهاب إلى الأندلس و أخذ العلم عن العرب المسلمين .

دور العرب و المسلمون فى نشر الكتب :

قبل ظهور الإسلام كان العرب فى شبه الجزيرة العربية متقوقعين حول أنفسهم ، لا يعرفون القـــراءة و الكتابة ، أمة جاهلة ، ثم جاء الإسلام و حـــثهم علـــــى العلم .

ففى عصر ظهور الإســـلام ، كـــان المســـلمون يعتمدون على الذاكرة فى حفظ القـــرآن ، مـــع بعـــض المحاولات النادرة لتدوين القرآن على العظام و ســـعف النخيل و الحجارة ...، و إن كان التدوين الكامل للقرآن تم فى عهد حروب الردة فى عهد سيدنا أبى بكر رضى الله عند و خوف الصحابة من تحريف القرأن بعد موت العديد من حفظته فى الحـــروب و خشـــية عليـــه مـــن التحريف .

وبعد ذلك و فى عهد الحضارة العربية الإسلامية ، و مع إنتشار رقعة الإسلام فى شتى البقاع و إزدهـــار حضارة العرب و إختلاطهم بالعديد مـــن الجنســـيات و الشعوب ، فقد خشى العرب و المسلمون على لغتهم و بدأوا فى تجميع مفرداتها فى كتب أطلق عليها فيما بعد

المعاجم اللغوية ، كما أقبلوا على الكتب إقبـالا منقطـع النظير خاصة فى العصور الأموية و العباسية .

ففى **العصر الأموى** تم توزيع نسخ من القـرآن الكريم على الأقطار المختلفة ضمانا للتوحيد ، كما تـم جمع الأحاديث النبوية الشريفة و الترجمة مـن ثقافـات الأمم الأخرى إلى العربيـة ، و تـم تـدوين التـاريخ الإسلامة و السيرة النبوية و سيرة الصحابة و التـابعين رضى الله عنهم .

أما فى **العصر العباسـي** فقد إزدهـرت حركـة الترجمة و التأليف و النقل من مختلف الحضارات إلـى العربية ، حتى أنه يقال أن الخليفة هارون الرشيد كـان يرسل البعثات الرسمية من الدولة الإسلامية إلى مختلف الأقطار لنقل العلوم عنها أو ترجمتها .

و يقال أنه فى العهدين الأموى و العباسى كانت حلقات العلم تعقد فى قصور الحكام و الخلفاء تشـجيعا لهم على العلم و تبجيلا منهم للعلماء و المتعلمين .

و فى **العصر الفاطمى** أصـبحت القـاهرة أهـم مركزا للعلم على مستوى العالم أجمـع ، و قـد إهـتم الحكام الفاطميين أنفسهم بهذا الإتجاه و إنشأوا الجـامع

الأزهر الذى تحول على اكبر جامعة فى العالم العربى ·
كما إهتم الحكام أنفسهم بإقتناء الكتب و إنشاء مكتبات
خاصة بهم في قصورهم ، و مما يلفت النظر أنه فى
العصر الفاطمى كانوا يولون إهتماما خاصا بنقل الكتب
إلى مصر أكثر من إهتمامهم بنسخها ·

في العصر المملوكي:

أما فى العصر المملوكى فقد إهتم المماليك بالعلم
و بنسخ الكتب و نشرها فى مراكز التعليم ذاتها
بإعتبارها جزءا من دورها التعليمى ·

وقد أثر كل ذلك على إنتشار و إزدهار الكتب
العربية ، و ساعد كل ذلك العرب على تحقيق تقدم فى
مجال نشر الكتب و تحقيقها لم تحققه شعوبا كثيرة
أخرى تملك من مقومات الحضارة ما يؤهلها لهذا الدور
كبلاد الفرس و غيرها ·

مما سبق يتبين أن قياس ثراء الناس بداية من
القرن التاسع و القرن الثالث عشر الميلادى كان يعتمد
على مدى ما يملكون من كتب و مخطوطات ، بحيث
أصبح إقتناء الكتب مظهرا من مظاهر الرقى و الثراء
بغض النظر عن تعلم من يقتنونها و إجادتهم للقراءة

الكتابة من عدمه ، حتى أصبح وجودها فى منازل علية القوم يناظر وجود الأثاث بها ، و لم تقتصر هذه النظرة على منازل العرب و المسلمين فى العصور الأموية و العباسية و لكنها إمتدت إيضا لبعض منازل الغربيين ، حيث كان الغالبية العظمى من الأفراد ينظرون للإقتناءها و كأنه قطعة من ديكور المنزل ، فكل ما يعنيهم من أمرها هو غلافها و زينتها و شكلها .

▫ <u>أنواع الموضوعات التى كتب فيها العرب :</u>

إهتم العرب بكافة العلوم الدينية و الدنيوية ، حيث ألفوا كتب حول الإسلام و تفسيره و علومه ، كما إهتموا بالشعر الذى يعتبرونه سجل العربية الأول، و إهتموا بالهندسة و الرياضيات و إعتبروها أدوات لعلم المنطق ، كما إهتموا بعلم الموازين و نظريات الضوء و الكيمياء ، بالإضافة إهتمامهم بعلوم اللغة و خاصة القواميس اللغوية و علوم التاريخ و تراجم الرجال .

العوامل التى إثرت فى زيادة عدد الكتب العربية و إنتشارها :

صاحب بداية الكتابة فى هذه الموضوعات السابقة **ظهور ما يسمى بحركة التدوين و التأليف** ، حيث عرف العرب حركة الكتابة فى جاهليتهم ولا سيما مع وجود حواجز شبه الجزيرة العربية الواقعة بين الشمال و الجنوب حيث توجد الصخور و الأحجار التى تسهل عملية الكتابة ، فضلا عن عظام أكتاف الإبل و الخشب

الا أن **التدوين** كان يقتصر على مقتضيات الحياة الإجتماعية كتدوين الصكوك و العهود و الأحلاف و المواثيق، أما الأعمال الأدبية و العلمية فلم تكن تدون إلا نادرا ، فقد كانت مسجلة فى الذاكرة و الرواية الشفوية ، و تذكر الروايات إنه عند مجئ الإسلام كان فى مكة سبعه عشر كاتبا ، و فى المدينة أحد عشر كاتبا .

حال الكتب فى عصور الإسلام :

١) **تدوين القرآن الكريم :**

كان تدوين القرآن الكريم هو فاتحة عهد التدوين عند العرب ، و قد عرف كتاب الوحى و اشهرهم زيد

بن ثابت و علي بن أبي طالب و معاذ بن جبل و ســـعد بن ابي وقاص و عثمان بن عفان .

- وكان زيد بن ثابت أكثرهم كتابة ، و ذلك لكثـــرة ملازمته للرسول عليه أفضل الصـــلاة و الســـلام ، و هؤلاء الكتاب إستخدموا العظام و الرقاع كمادة للكتابة .

و عندما حدثت حروب الردة بعد وفاة الرســـول (ص) و إستشهد فيها كثيرون من حفظة القرآن خشـــي عمر بن الخطاب من خطورة هذا الأمر ، فذهب إلـــى الخليفة أبو بكر الصديق و طلب إليه أن يجمع القرآن ، و إستطاع إقناعه بعد نقاش لأن الخليفة لم يكن راغبا في فعل شيء لم يفعله الرسول (ص)قبله و جعلـــه يـــامر الصحابي زيد بن ثابت بجمع القرآن و تدوينه ، و قـــام زيد بتنفيذ أمر الخليفة و جمع القـــرآن مـــن الرقـــاع و العسب و من صدور الحفاظ .

وحفظت الرقوق التي كتب عليها القـــرآن عنـــد الخليفة أبي بكر الصديق ، ثم عند عمر بن الخطابو عند إبنته حفصة بعد وفاته .

أما عن تدوين القرآن الكريم مرة ثانية فقد كـــان في عهد عثمان بن عفان الذي أمر بإحضار الصـــحائف

من عند حفصة ، و أمر الصحابة و خاصة زيد بن ثابت بإعادة تدوين القرآن الكريم مرة ثانية و هـو التـدوين المرتب الذى إستمر بهذا الشكل إلى اليوم ، و إحـتفظ الخليفة بهذه النسخة لنفسه و كتب منها (٥) نسخ أرسلها للمدينة و البصرة و الكوفة و الشام .

٢) **تدوين الحديث الشريف :**

بعد الإنتهاء من تدوين القرآن الكريم بدأت عملية تدوين الحديث الشريف بشكل منظم فى القرن الثانى الهجرى ، و كانت قبلها عملية التدوين للحديث بشكل محدود جدا ، فعندما كان بعض الصحابة يكتبون بعض الأحاديث لدراستها و حفظها ، و كان الرسول (ص) قد نهى عن تدوين الحديث الشريف خلال حياته خشية إختلاطه بآيات القرآن الكريم .

هذا و لقد كان العلماء يهتمون بالعناية و الدقة و الأمانة العلمية عند جمع الأحاديث الصحيحة و فرزهـا من غيرها من الأحاديث المنسوبة الباطلة إلى الرسـول (ص) ، لهذا وضع العلماء قواعد و مناهج للبحـث و القصى و التحقيق إعتبرت رائدة فـى منـاهج البحـث التاريخى .

حركة التأليف عند العرب المسلمين :

نهضت حركة التأليف عند العرب المسلمين فـــى القرن الثانى للهجرة خاصة بعد ان نقل العرب صـــناعة الورق عند الصينين و إستخدموه كمادة للكتابة ، حيـــث أقبل الناس على العلم و إنكبوا على الدراسة و التـــأليف فى جميع الميادين ، و برزت ظاهرة حـــب الكتـــب و إقتناءها ، و أصبحت المدرسة ممثلة فى المسجد أو فى بناء ملحق به .

أثر الثقافات الأجنبية على الثقافة العربية :

تاثر العرب بالثقافات اليونانيـــة و الفارســـية و السريانية و القبطية حيث أخذوا من اليونان فلسفتهم ، و من الفرس علومهم ، و زادوا على هذه العلـــوم ،كمـــا نشطت حركة الترجمة فى عهد الرشيد الذى كان يعهـــد بالإشراف على حركة الترجمة إلى يحى بن ماسوية .، كما كان يدعو فى بلاطه العلماء و المثقفين .

كما أسس المامون أكاديمية الترجمـــة ، وزادت المؤلفات بدرجة كبيرة و لكن جزء منها ضاع بســـبب الإغارات على الدول العربية الإسلامية .

سبب ضياع المؤلفات و الثقافة العربية على مر الأزمان :

١) ألقيت مئات من المؤلفات العربية الإسلامية فى نهر دجلة عند غزو هولاكو .

٢) نقل التراث العربى للغرب عند سقوط الأندلس فى يد الأسبان .

٣) أمر الكاردينال (فرنسيسكو) بإحراق الكتب العربية الإسلامية فى ساحة باب الرملة بغرناطة .

٤) ما بقى من التراث فقد نقل لمكتبات الغرب و تركيا خلال الإستعمار الحديث للبلاد ، و يقدرمعهد المخطوطات العربية عدد المخطوطات فى مكتبات الغرب بنحو (٣٠٠٠٠٠٠) مليون مخطوط ، و ما ظل فى بلاد العرب إعتمد عليه المصلحون فى نهضتهم الحديثة .

و إجمالا فإن ظهور الكتب فى أى مجتمع من المجتمعات يرتبط إرتباطا وثيقا بظهور الحضارة و التطور فيها ، و التى بدورها ترتبط بوجود المكتبات فى

الأمم ، لهذا فإن الكتب دائما ترتبط بحضارات الأمم و بالحركات التنويرية و التثقيفية الموجودة بها .

مما سبق يتبين أن نشأة و ظهور الكتب إرتبط دوما بوجود حضارة ، و العامل الثانى يرتبط بوجود مقومات مادية تسهل و تيسر وجود الكتب ألا و هو وجود مادة تصنع منها الكتب .

هذا و المتعقب لظهور الكتب سواء فى الحضارة العربية الإسلامية أو الغربية ليجد أن كتابة الكتب و طباعتها كانت دائما تبدأ بالكتب الدينية سواء بداية تدوين و جمع المصحف أو طباعة التوراة أو محاولة الكنيسة نشر الكتب التى تبشر بالدين المسيحى و تدعو له ، حيث ألحقت بالمساجد و ملحقاتها ، كما إلحقت بالكنائس و الأديرة مخازن للكتب ، و يعود ذلك لأحد الأسباب التالية أو لبعضها :

١) الدين دائما فى حاجة للتعميم و النشر على إختلاف العصور و الأزمنة .

٢) الأديان على إختلافها تحض على العلم و تدعو له ، لهذا كان ظهور الأديان دوما مرتبطا بإنتشار الكتب .

٣) دائما كانت أماكن العبادة على إختلافها سواء كانت كنائس و أديرة أو معابد أو مساجد هى مراكز لتجمع الناس ،.و من ثم مراكز لنشر الدين و الدعوة له فيما بين العامة .

٤) أماكن العبادة دوما أكثر الأماكن أمانا للحفاظ على الكتب الدينية و ذلك لقدسيتها .

قائمة المصادرو المراجع التى إعتمد عليها الفصل :

١. أحمد على تاج . الكتابة ، الكتـــب، المكتبـــات : مدخل تاريخي . د.م : د.ن ، ٢٠٠١م.

٢. السيد السيد النشار .تاريخ الكتب و المكتبات فى مصر القديمة . الأسكندرية : دار الثقافة العلمية للنشر ،٢٠٠٠م.

٣. حامد الشافعى دياب . محاضرات شفهية علـــى طلاب المرحلة الجامعية الأولى . جامعة طنطا ، كلية الآداب ، قسم المكتبات .

٤. سيد حسب الله ، محمد جلال غنـــدور .تـــاريخ الكتب و المكتبات عبر الحضــارات الإنســـانية .الرياض :دار المريخ ،١٩٩٦م .

٥. عبد الستار الحلوجى . لمحات من تاريخ الكتـــب و المكتبات .[القاهرة] دار الثقافـــة للنشـــر و التوزيع ، ١٩٨٨ .

الفصل الثالث

المكتبات فى العصور القديمة

تعددت المكتبات فى العصور القديمة على مر الزمان ، و دائما كانت المكتبات مصاحبة لوجود الحضارات و التى صاحبت بدورها ظهور الكتابة و الكتب .

لهذا فلم يكن غريبا وجود المكتبات عند المصريين القدماء و شعوب اليونان و الرومان و عند العرب المسلمين و فى بلاد ما بين النهرين (العراق) و فى بلاد الصين و الهند منذ قديم الأزل .

و مما لا شك فيه أن أيا من مكتبات هذه الحضارات لم تصلنا كاملة ، و إنما إندثر العديد منها و لم يصلنا عنه شيئا ، كما وصلتنا بقايا البعض الآخر منه .

بعض هذه المكتبات تم تجديده مرة أخرى مثال ذلك مكتبة الأسكندرية التى إعيد إنشاؤها و تجديدها مرة أخرى مؤخرا ، و فيما يلى عرض لهذه المكتبات قديما :

١) فى مصر الفرعونية :

وجدت المكتبات فى مصر الفرعونية فى غالب الأحيان فى داخل المعابد أو فى قصور الحكام و النبلاء

و كبار التجار ، إلى جانب وجود القليل من المكتبات الخاصة بالأفراد و التى كانت تقتصر على الكهنة و رجال العلم و الدين ، لهذا فلا عجب أن تقتصر موضوعات لفائفها فى الأعم الأغلب على موضوعات الدين و السحر ، و الهدف منها كان فى المقام الأول و الأخير المعتقدات الدينية و الأغراض التعليمية .

هذا و قد أطلق على المكتبات فى العصر الفرعونى عدة مسميات منها :

دار الكتب – دار لفافات الكتب – مقر المخطوطات – ديوان الكتب – خزانة الكتب – دار الكتب المقدسة – بيت الكتابات – بيت البرديات – بيت الكتب المقدسة – بيت الكتب الآلهية .

و من هذه المكتبات نجد :

- **مكتبة الملك خوفو (نموذج لمكتبات الملوك) :**

كانت مملوكة للملك خوفو ، و قد وجدت فى قصره ، و كانت مجموعاتها تختص بالدين و شعائر العبادة و الفنون و العلوم و كافة أمور الدولة السياسية و علاقاتها بغيرها من الدول .

- **مكتبة معبد الكرنك :**

كانت ملحقة بمعبد الكرنك ، و كانت هذه المكتبة ملحقة به ، و أطلق عليها بيت الكتب ، و شأنها كشأن باقى مكتبات المعابد فى عصرها فقد كانت مقرا للتعليم و ممارسة الطقوس الدينية .

لهذا فإن مجموعات هذا المعبد كانت تغطى برديات فى القوانين المقدسة و الأناشيد الدينية و سر الحياة .

- **مكتبة طيبة :**

تم الكشف عنها فى مدينة طيبة المصرية فى عهد الملك رمسيس الثانى بمناسبة تخليد معركة قادش التى إنتصر فيها على الحيثيين ، فأنشأ معبدا له و ألحق به مكتبة و هى التى أطلق عليها مكتبة طيبة (منف).

- **مكتبة الآلهة أزيدا :**

وجدت فى المعبد الخاص بالآلهة أزيدا التى كان يعبدها المصريون و يعتقدون أنها الآلهـــة التـــى تهـــب الحياة ، و كانت عبارة عن مكان يحتفظ فيه بالكتب التى أغلبها دينى ، ووجد بداخل هذه الحفرة مجموعـــة مـــن الأرفف التى كانوا يحفظون عليها لفائف البردى .

- **كتبة معبد الإله حورس (مكتبة إدفو) :**

كانت هذه المكتبة تابعة لمعهد الإله حورس وتم العثور عليها ضمن بقايا المعبد ، و عثر بداخلها على مجموعة من الأرفف فى داخل الجدران يعتقد انها كانت تستخدم لحفظ لفافات البردى بداخلها ،

و إكتشف بداخلها على أقدم نموذج للفهارس قديما و هو عبارة عن قائمة باللفافات التى تحتويها المكتبة .

و هى تعد واحدة من أشهر المكتبات الدينية فــى عصرها ، و أطلق عليها بيت البردى ، و كانت تتناول لفائف تتناول موضوعات الفلك و الدين والصيد .

- **مكتبات قصور الملوك و الحكام :**

كانت هذه المكتبات تابعــة لقصــور الملــوك و الحكام ، لهذا فإنها كانت تغطى فــى الغالــب لفافــات البردى الخاصة بمكاتبات الملوك و اللفافــات الخاصــة بأمور الدولة ، أى كانت تحتوى على الأوراق الرسمية الخاصة بالدولة .

هذا و كانت تحفظ هذه اللفافــات فــى قصــور الملوك داخل صناديق خشبية أو فى جرار من الفخار .

و أغلب الظن أن المكتبات التابعة لقصور الحكام و الملوك كانت أسبق فى الوجود فى مصر الفرعونية من المكتبات الملحقة بالمعابد و تلك الخاصة بالأفراد .

- **دار الكتب فى مصر القديمة :**

كان فى مصر القديمة فى عهد الملك زوسر الرابع دارا للكتب و ذلك فى الفترة من (٣١٠٠-٢٩٦٥) ق.م. ن حيث عثر من ضمن آثار تلك الفترة على عبارة على مقبرة أحد الأشخاص تقول " كاتب دار الكتب "، معنى ذلك أن مصر القديمة قد عرفت المكتبات فى هذه الفترة المبكرة من عمرها .

- **مكتبة تل العمارنة :**

عثر علي بقاياها فى مدينة تل العمارنة التى بناها الملك أمنتحب الرابع عام ١٣٩٦ ق. م. كعاصمة لمصر أنذاك و بنى معبدا تابعا لها و ألحق به تلك المكتبة ، و قد عثر فيها على لفافات من البردى و ألواح طينية فى موضوعات مختلفة .

هذا و إلى جانب كونها مكتبة تابعة للمعبد فقد كانت أيضا بمثابة أرشيف تحتفظ فيه الدولة بمكاتباتها .

* **<u>مكتبة الملك رمسيس الثانى (نموذج لمكتبات الملوك) :</u>**

كانت عبارة عن مكتبة خاصة ملحقة بقصر الملك و حوت العديد من البرديات فى الموضوعات الدينية السائدة فى ذلك العصر .

و بالطبع لم يصلنا شيء من مجموعات هذه المكتبة ، و إنما كل ما وصلنا منها كان عبارة عن كتابات وردت فى المراجع التاريخية التى تؤرخ لتلك الفترة .

* **<u>مكتبة دنــدرة (و تعنى رواق المعبودة أو معبدها) :</u>**

عثر على آثار تشير لوجود مكتبة تسمى دندرة و تقع فى جنوب [illegible] و كانت ملحقة بالمعبد الخاص بإحدى الآلهة التى كانوا يعبدونها .

* **<u>مكتبة آيونو:</u>**

و يطلق عليها مكتبة مدينة الشمس ، و كانت تقع فى عين شمس ، و قد عثر بها على لفائف من البردى تبين أن المصريين هم أول من قسم العام إلى شهور و

أسابيع و أيام ، و تتناول شتى الموضوعات على إختلاف علومها آنذاك بما فيها العلوم الطبية .

أما عن المكتبات الخاصة فمن نماذجها نجد :

- **مكتبة الساحر (جدى) :**

كان أحد السحرة المعروفين بغزارة علمهم ، و عندما سمع به الملك أراد الإفادة من علمه فأرسل فى طلبه ، و عندما رأى الساحر رجال الفرعون طلب منهم أن يحضروا له ما يحمل عليه مكتبته و أعوانه ، و فى هذا إشارة صريحة بوجود المكتبات الخاصة فى عهد الفراعنة لدى العلماء و السحرة فى ذلك الوقت .

و هناك نموذج آخر من المكتبات الموجودة فى مصر الفرعونية و هى المكتبات التعليمية (مكتبات دار الحياة): كانت هذه المكتبات ملحقة بمؤسسات تعليمية هدفها تعليم المصريين و أبناء الشعوب المجاورة ، كما كانت ملتقى للكتاب و العلماء و المثقفين و مقرا لهم .

و قد ضمت هذه الدور لفائف من الكتب فى مختلف الموضوعات الموجودة آنذاك و من أمثلتها فى مصر الفرعونية نجد :

* **مكتبة معبد الأقصر :**

كانت المكتبة تابعة للمعبد و دار الحياة الملحقة به ، و كانت مجموعاتها تركز على أسرار الأرض و خبايا السماء (الفلك و علوم الأرض و الجغرافيا) كما ذكرت مصادر التاريخ القديم .

أمناء المكتبات فى عهد الفراعنة :

فى الغالب كان أمناء المكتبات فى عهد الفراعنة و القائمين بالعمل عليها من الكهنة أو المقربين للفرعون و كاتمى أسراره و مهمتهم الحفاظ على هذه المقتنيات لحين حاجة الفرعون إليها ، و ذلك على إعتبار أن هذه المكتبات كانت تحتوى على أسرار الدولة و مكاتباتها الرسمية .

و من ضمن المسميات التى أطلقت على العاملين فى المكتبات آنذاك : سيد الكتابات السرية – رئيس الأمناء – كاتم أسرار الفرعون – المشرف على مكتبة الآله – كاهن الملك – سيد كل الخزائن – المسئول عن الأرشيف و المكتبة – كاتب دار الكتب – مفتش دار الكتب – رئيس دار الكتب – كاهن دار الكتب – أمين المكتبة – المشرف على المكتبة – المشرف على كتبة

دار الكتب – المشرف على الأسرار – رئيس أمناء المخطوطات .

و قد شغل هذا المنصب فى مصر الفرعونية أشخاص بارزون فى المجتمع آنذاك فمنهم كبار الكهنة و رئيس الوزراء و القضاة و رئيس المهندسين والنبلاء و رؤساء الجنود ، حتى ليقال أن أمناء المكتبات فى مصر الفرعونية كانوا أعضاء فى مجلس الحكم عند الفرعون يرجع إليهم و يستشيرهم فيما يتخذ من قرارات بإعتبارهم من الملمين بالمعرفة فى زمانه .

و هذا إن كان يشير لشىء فإنما يشير لأن هذه الوظيفة كان يشغلها المرموقون فى المجتمع و رفيعى المقام فى الدولة ، و إن دل هذا على شيء فإنما يدل على المكانة الرفيعة التى إحتلتها المكتبات فى مصر القديمة ، و على مدى الرقى عند المصريين القدماء الذين أدركوا أهمية المكتبة و الدور البارز للعاملين فيها منذ قديم الأزل .

تصميم المكتبات فى مصر الفرعونيه :

لم يكن للمكتبات الفرعونية فى مصر القديمة القديمة مبانى مستقلة بذاتها و إنما كانت مصممة بحيث تكون جزءا من المعابد و دور الحياة و القصور ، فهى كانت عبارة عن قاعة أو أكثر ملحقة بأيا مما سبق ، وعلى جدرانها توجد كوات لحفظ لفائف الكتب و التى كانت تحفظ أيضا فى صناديق خشبية أو جرار من الفخار أو خزانات و أحيانا رفوف ، كما كانت جدران المكتبة تزين بالرسومات و الزخارف التى تحمل فى طياتها دلالات دينية .

الموضوعات التى غطتها الكتب فى المكتبات الفرعونية :

غطت مجموعات المكتبات الفرعونية مختلف الموضوعات و العلوم التى كات معروفة آنذاك كالكتب الدينية التى تتناول كيفية أداء الطقوس الدينية ، و الكتب السحرية التى تحتوى على التعاويذ و الطلاسم التى تدعو لحماية الملك من كل سوء ، و قد كانت مثل هذه النوعية من الكتب لا يسمح بالإطلاع عليها إلا

للفرعون ذاته أو كهنته الذين يشتركون فى معه فى أداء الطقوس الدينية .

هذا إلى جانب الكتب التى تحمل علوم الفلك و الطب و الجغرافيا و التاريخ .

الإفادة من المكتبات الفرعونية قديما :

كانت الإفادة من المكتبات الملحقة بدور الحياة قديما متاحة لمن يريد من طبقة المثقفين و الراغبين فى المعرفة ، كذا الأمر بالنسبة للمكتبات الخاصة التى كان يتيحها أصحابها لمن يرغبون .

أما بالنسبة للمكتبات التابعة للقصور الملكية فقد كان الإطلاع على ما بها يقتصر فقط على الفرعون و كهنته المقربون فقط لإحتوائها على الطقوس الدينية و التعاويذ التى تحمى الملك من الأخطار .

و قد عرفت المكتبات الفرعونية القديمة (مكتبات دور الحياة) نظم الإطلاع الداخلى و النسخ (التصوير حاليا) ، و الإعارة الخارجية و التى كانت قاصرة فقط على القضاة و رجال الحكم حيث يمكنهم الحصول على ما يريدون من المكتبات فى أثناء ممارستهم لمهامهم على أن يعيدوه مرة أخرى إليها .

٢) **في العصور البطلمية :**

عند التأريخ للمكتبات القديمـة فـي العصـور البطلمية فى مصر تجدر الإشـارة إلـى أن الحضـارة البطلمية هى جزء من الحضارة اليونانية (الهلينيستية أو الهلينية أو الإغريقية) فى مصر .

تجدر الإشارة أن إلى أن ملوك البطالمـة كـانوا يرغبون فى جعل مصر مركزًا حضاريا فـى المنطقـة كلها ، لهذا بدأ إهتمامهم الملموس بـالعلم و العلمـاء و المثقفين ، و بدأ إهتمامهم بإنشـاء المكتبـات و جمـع التراث الإنسانى فى مراكز ثقافية كبرى .

ومن أبرز النماذج على المكتبات فى العصـور البطلمية نجد مكتبة الأسكندرية القديـمة التى أسسها (بطليموس الأول(سوتر)) بإقتراح من (ديمتريـوس الفاليرى) لكى تكون جامعة لكل التـراث الحضـارى الموجود فى العالم القديم آنذاك .

- **مكتبة الأسكندرية :**

تعتبر مكتبة الأسكندرية القديمة مـن أعظـم و أشهر مكتبات العصر القديم ، إذ كانت تضم مجموعتين

إحداهما فى قصر الملـك ، و الثانيـة بجـوار معبـد السرابيوم .

و من ضمن المسميات التى أطلقت على المكتبة نجد : الخزانة الملوكية – خزانة الأسكندرية – مكتبـة الموسيوم – مكتبة الموسسيون – المكتبـة الرئيسـية – المكتبة الكبرى – المكتبة الأم .

كما أطلق على الملحق التابع لهـا و الـذى تـم إنشاءه فيما بعد المسميات الأتية : المكتبة الصـغرى – مكتبة السرابيوم .

كان الهدف من إنشاء مكتبة الأسكندرية هو جمع الكتب الإغريقية (اليونانية) و ترتيبها و التعليق عليها ، كما أراد البطالمة جعلها مكتبة جامعة لكـل التـراث العلمى و الأدبى فى وقتها من كافة أرجاء العالم.

و قد بذلت جهود جبارة لتحقيق هذا الهـدف ، حتى ليقال أن مبنى المكتبة ذاته كـان يشـغل عشـرة حجرات ضخمة مليئة بالكتب.

مصادر الكتب فى مكتبة الأسكندرية القديمة :

تذكر بعض المصادر أن البدايات الأولى للمكتبة كانت عبارة عن تجميع لما تركته الحضارة الفرعونية من تراث مكتوب ، و يشير البعض الآخر أن نواتها كانت المكتبة الخاصة للفيلسوف أرسطو .

أما عن مصادر تجميع هذه الكتب فى المكتبة القديمة ، فيقال أنهم كانوا يشترونه بأى ثمن و من أى مصدر إذا ما فشلوا فى الحصول على نسخة منها ، و فى الحالات التي يمكن فيها الحصول على نسخة ، كانت الكتب تنسخ و يحتفظ فى المكتبة بالأصول ثم تعطى النسخ لأصحاب هذه الكتب ، مما دعى الكثيرين لإخفاء ما يقتنونه من كتب ، و دعى فى نفس الوقت الحكام البطالمة للبحث و التفتيش عن أى مؤلفات و أخذها من أصحابها ثم نسخها ، على أن يعيدوا النسخ للأفراد و يحتفظون فى المكتبة بالأصول .

و قد كان لدى الملوك البطالمة نهم غير عادى لإقتناء كل ما تقع عليه أيديهم فى المكتبة ، لهذا كانوا يصادرون كل ما يفشلون بالحصول عليه بأى طريق آخر ، و تذكر بعض المصادر ان البطالمة كانوا أحيانا

يدفعون رهنا ماليا كبيرا مقابل حصولهم علـــى أحـــد الكتب للنسخ ثم يستغنون عـــن الـــرهن و يحتفظـــون بالمخطوطة ، و لعل هذا ما يفسر شهرة و ضخامة هذه المكتبة فى عصرها .

و قد كان لإسلوب الإقتناء فى مكتبة الأسكندرية أكبر الأثر فى ذيوع و إنتشار الكتب فى عصرها ، فلم يقتصر الأمر على شراء الكتب مـــن أى مصـــدر ، أو حتى على نسخ ما يتعذر عليها الحصول عليه ، و لكنها كانت أيضا تقوم بإعداد عدة نسخ من الكتاب الواحـــد و تقوم ببيعه لمن يريد إقتناء نسخة من المؤلف .

العاملون فى مكتبة الأسكندرية القديمة :

أما عن العاملين فى هذه المكتبـــة ، فقـــد كـــان الشاعر كاليماخوس من أكبر العلماء المشرفين على هذه المكتبة ، فقد قام بوضع نظام تصنيف لها و لكـــن دون الإعتماد على الرموز كما هو الحال فى نظم التصـــنيف المعاصرة ، و لكنه يعتمد على تقسيم محتويات المكتبة وفقا لموضوعاتها إلى مجموعات .

و يعد (كاليماخوس) من أبرز من عملوا في المكتبة القديمة ، تلاه آخرون و لكنهم لم يأخذوا نفس شهرته .

كما كان ملوك البطالمة يجزلون العطاء لهؤلاء العاملين و يعطونهم رواتب مجزية ، إضافة للهبات و المنح التي يمنحها لهم الحكام في المناسبات المختلفة .

محتويات المكتبة :

كانت المكتبة الرئيسية تحتوى على (٤٩٠٠٠٠) لفافة بردى تقريبا ، أما المكتبة الملحقة فكانت تحتوى على (٤٣٠٠٠) لفافة تقريبا ، و تذكر بعض المصادر أنها كانت تحتوى على (٧٠٠٠٠٠) لفافة .

و على فرض صحة هذه الأرقام فإنها كانت تتضمن دون شك عدة نسخ من الكتاب الواحد ، و كان لها مبالغ كبيرة من المال لشراء الكتب ، كما أنها كانت دائما تقوم بإعداد نسخ من الكتب التي تبلى .

مجموعات مكتبة الأسكندرية القديمة :

ضمت مكتبة الأسكندرية القديمة لفافات في مختلف الموضوعات السائدة أنذاك ، فقد حوت لفافات في الفلسفة و الطب و الفقه و اللغة و الفلك و

الرياضيات و التاريخ و الجغرافيا .. إضافة لما قام العلماء بنقله من الحضارة الفرعونية القديمة و حضارة ما بين النهرين و ماوصلهم من حضارة الشرق الأقصى القديم ، و يعود ذلك لحرص القائمين بالعمل فى هذه المكتبة و ملوك البطالمة لجعلها بؤرة لكل المعارف و العلوم فى زمانها .

شكل الكتب فى مكتبة الأسكندرية القديمة :

كانت الكتب فيها تأخذ شكل لفافات من البردى ، و كما تذكر المصادر فإن طول لفافة البردى كانت تعادل نحو أربعين ورقة من حجم الكتاب المعاصر .

كما كانت الكتب إما مختلطة أو مفردة ، فالمختلطة تضم فى اللفافة الواحدة كتابين أو أكثر ، أما المفردة فقد كانت تضم اللفافة الواحدة كتابا واحدا فقط أو جزاء من كتاب كبير .

أما المؤلفات الهامة الطويلة فكانت توزع على عدة لفائف متساوية الطول مع إعتبار بدايات و نهايات الفصول ، فى حين أن النصوص القصيرة كانت تجمع فى لفائف واحدة ، و قد يدل ذلك على وجود نزعة لإتخاذ طول عادى معين للفافات .

و كانت هذه اللفائف تنتهى فى العادة بإسطوانات خشبية تلف عند طرفيها رغم أن اللفافات كانت محدودة الطول .

مبنى مكتبة الأسكندرية القديمة :

يقال و كما تذكر المصادر أن مبنى المكتبة القديمة كان عبارة عن قاعة مكشوفة مخصصة للدروس و مناظرات المثقفين و الأدباء و للتعليم ، ومتصلة بصالة مكونة من مجموعة من الحجرات من طابقين تصف فيها الكتب و تستعمل كمخزن لها ، و فيه تصف الكتب الفرعونية وحدها و أخرى تخصص للكتب اليونانية ، و مصفوف فى الممر الموصل للمكتبة مجموعة من التماثيل للآلهة و المفكرين فى مدخلها للحماية و التزيين و إعتقاد حماية المكتبة من الشرور ، يضاف على ذلك وجود قاعة لنسخ الكتب ، و أخرى للطعام ، و ثالثة لإقامة العلماء و المبنى كله كان ملحقا بمعبد تحيط جدرانه الرسوم و النقوش الزخرفية .

الإفادة من المكتبة :

كانت الإفادة من مكتبة الأسكندرية متاحة لكل من يرغب من محبى العلم و المعرفة ، رغم أنها كانت فى الأصل متاحة لجماعة محدودة من العلماء .

أتاحت مكتبة الأسكندرية القديمة مجموعاتها لكل من يرغب فى الإطلاع الداخلى بها ، و منعت الإعارة الخارجية مطلقا حفاظا على مقتنياتها .

كما سمحت المكتبة بالنسخ لكل راغب ووفرت أدوات ذلك من أدوات للكتابة و ناسخين و برديات ، كما هيأت الجو المناسب للمطلعين ، فوفرت لهم قاعات للطعام و الشراب و الراحة .

نهاية المكتبة :

تختلف الروايات حول نهاية المكتبة ، فيذكر المؤرخ (بلوتارخ) أن المكتبة أتى عليها حريق كبير فى عهد يوليوس قيصر عام (٤٨) ق.م.

و هذا يشير إلى أن الأحوال و الظروف ساءت فى الأسكندرية فى عهده ، و ذلك نتيجة حصار شعب الأسكندرية له فى قصره ، و أصبح من المؤكد سقوط إسطول القيصر فى يد أعداءه الأسكندريين ، و من ثم

فقد أمر القيصر بحرق أسطوله الراسى فى الميناء الشرقى .

و يبدو أن بعض السفن التجارية التى كانت محملة بالكتب المعدة للتصدير كانت هى الأخرى راسية فى الميناء فأتت عليها النيران ، و كنتيجة لذلك إمتدت النيران إلى المكتبة فقضت على معظم ما كان بها من كتب .

كما أن سنيكا الذى عاش فى منتصف القرن الأول الميلادى يقرر أن جزء من المكتبة يبلغ ما فيه حوالى (٤٠٠٠٠) كتاب قد إلتهمتها النيران فى أثناء حريق السفن فى الميناء و مما يجعل رواية حريق المكتبة أقرب إلى الصحة أن مكان المكتبة كان قريب من الشاطئ الشرقى الذى تم فيه الحريق .

و يذكر البعض الآخر أن المكتبة تم حرقها فى عام (٤٧) ق.م. على يد الرومان (يوليوس قيصر) عندما أمر بحرق السفن الحربية الراسية فى الميناء .

و كتعويضا على دمار المكتبة أهدى القائد أنطونيو لملكة مصر (كليوباترة) جزءا من مكتبة برجامة التى سبق له و إستولى عليها فى غزواته و

فتوحاته لآسيا الصغرى ، و التى كانت غالبية مجموعاتها تدين للوثنية ، لهذا فقد تم تدمير مكتبة الأسكندرية مرة أخرى عند إنتشار المسيحية فى مصر ، و ذلك فى محاولة للقضاء على معاقل الفكر الوثنى فيها و ذلك فى عام (٣٩١) ق.م.

و هناك رأى آخر يرى أن المكتبة قد إندثرت ، فلو أن المكتبة كانت موجودة بالفعل لكان فى إستطاعة البيزنطيين نقلها معهم عند إنسحابهم من المدينة خاصة وأن الهدنة المقررة بين الطرفين و هى أحد عشر شهرا كانت كافية لنقل المكتبة .

هذا و يجمع كثير من المؤرخين على هذا الرأى ، على و أن المكتبة تم تخريبها على يد (أوليان) أحد قواد القيصر فى أواخر القرن الثالث الميلادى و على أن مكتبة السرابيوم قد إمتدت بها الحياة حتى خربت هى الأخرى على يد (تيوفلس) بطريرق الأسكندرية فى عام ٣٩١ ق.م. فى أثناء فترة الإضطرابات التى سادت الأسكندرية لإنتشار الديانة المسيحية بها ووقوف الطبقة الرومانية الحاكمة موقفا مضادا لهذا التوسع المسيحى ، مما دعى المسيحيين إلى هدم معبد السرابيوم الذى كانت

فيه المكتبة باعتباره معقل الوثنية التـى يـدافع الرومان عنها .

أما المؤرخ (يحيى النحوى السكندرى) الـذى نقل عنه أبو الفرج المـالطى و هـو أحـد القساوسـة فيروى أن العرب هم الذين أحرقوا مكتبة الأسـكندرية فى أثناء الفتح الإسلامى لمصر ، و يزعم أن عمرو بن العاص أحرق المكتبة بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطـاب الذى أرسل إليه رسالة يقول فيها : " إذا كانت كتب المكتبة تتمشى مع تعاليم الإسلام فقـد أغنـى الله المسلمين عنها بكتابه الكريم ، و إن كانت تخالف تعاليم الدين فلا حاجة للمسلمين بها ."

و على الرغم من أن هذه القصة المزعومة قـد تناقلها بعض كتاب الغرب و الشرق على السواء كمـا رددتها بعض الكتب المصرية و الأوربية و العربية إلا أن معظم المؤرخين و الباحثين سواء فى الغرب أو فى الشرق ينكرون هذه القصة و يشكون فى صحتها شـكا يصل إلى درجة اليقين .

المؤرخ الإنجليزى (الفريد بتلر) أثبـت فـى كتابه فتح العرب لمصر أم يحى النحوى لم يكن على قيد

الحياة فى الوقت الذى فتح العرب فيه مصر ، بل مـــات قبل ذلك لعدة قرون طويلة.

كما أن المؤرخ الإنجليزى (جيبوتر) يذكر فـــى كتابه سقوط الإمبراطورية الرومانيـــة أن أبـــا الفـــرج المالطى الذى نقل هذه القصة ، و عنه أخذ كتاب الغرب كان غريبا عن الأسكندرية ، فهو أجنبى مسيحى .

و يقرر(جيبوتر) أن هـــذه القصـــة باطلـــة و الهدف منها هو الكيد للعنصر العربى الذى إستولى على الأسكندرية و هى معقل المسيحيين فى ذلك الوقت .

كما يلاحظ أن مؤرخى القرن السادس و الخامس الميلادى لم يذكروا شيئا عن مكتبة الأسكندرية ، مما يدل على عدم وجودها قبل الفتح العربى لمصر ، كما أن كتاب القرن السابع الميلادى و هم المعاصرون لمكتبة الأسكندرية لم يشيروا إلى حريق المكتبة .

لو أن العرب أحرقوا المكتبة لذكر ذلك المؤرخ المصرى المعاصر (حنا النيقوس) الذى كتب تفاصيل دقيقة عن الفتح العربى ، ولا سيما الحوادث التى تتصل بمساوىء العرب .

كما أننا نجد من ناحية أخرى أن المؤرخين العرب المتقدمين من أمثال بن عبد الحكم و الكندى و البلاذورى و غيرهم لم يذكروا شيء مطلقا عن هذا الحريق المذعوم .

و غالبية الظن لمن يميلون لهذا الرأى أن الذى أمر بإحراق المكتبة هو (المقوقس) حاكم مصر فى هذه الفترة ، كما أن العاملين فى الحمامات كانوا من القبط فلو كانوا يرغبون فى الإحتفـــاظ بهـــذه الكتب لفعلـــوا .

هذا و يذهب المجتهدون من الباحثين العرب إلى أن السبب الرئيسى فى إندثار المكتبة و غيرها من المكتبات الأخرى إلى :

١) إستهلاك الكتب من كثرة الإستعمال دون إستبدالها أو إعادة كتابتها أو إصلاح ما بها من تلف نتيجة لعدم وجود صيانة منتظمة لها .

٢) إهتمام الأشخاص بالآداب و العلوم يظهر فى فترات معينة من الزمن و يقل إلى حد ملحوظ فى فترات أخرى ، و فى هذه الفترات الأخيرة تقل العناية بالكتب فتندثر لأن إهتمام الدارسين

يكاد يكون منصرفا إلى الحصول على معاشهم و التفكير فى حياتهم ، و ينعدم إهتماماتهم نهائيا بالإحتفاظ بكنوز أسلافهم ، و من ثم يؤدى إلى فقدان هذا الترتث و إندثاره على مر الزمن .

و على هذا الأساس نستطيع القوا أن مكتبة الأسكندرية القديمة قد احرق جزء كبير منها فى عهد البطالمة ، كما أن العرب لم يحرقوا ما فيها من كتب ، بل على العكس من ذلك فحينما فتح العرب مصرو إحتفظوا بما وجدوه مبعثرا من هذا التراث قاموا بترجمته للغة العربية .

و الإتجاه أن المكتبة تم حرقها إبان عصر الرومان فى حريق الإسطول السابق الإشارة إليه .

بعض المكتبات الأخرى فى مصر البطلمية :

١. لم تندثر كل المكتبات الفرعونية فى العصور البطلمية ، و إنما بقيت بعض مكتبات القصور و المعابد تؤدى دورها فى خدمة المصريين ، حيث أبدى الكثير من المصريين تمسكه و حرصه على عاداته و تقاليده ، و من المكتبات الفرعونية التى

إستمر وجودها حتى زمن البطالمة الإغريق مكتبة معبد الإله إيزيس .

٢. أما عن المكتبات البطلمية الأخرى التى وجدت فى مصر فى العصر اليونانى غير مكتبة الأسكندرية فنجد **مكتبة معبد القيصريون** (و هو إسم إبن الملكة كليوباترا) ،و هذه المكتبة تابعة للمعبد الذى بنته الملكة كليوباترا ملكة مصر كتكريم للقائد أنطونيوس على الهدية التى أهداها لها أثر حريق مكتبة الأسكندرية عام (٤٧) ق.م. ، حيث أهداها جزء من مكتبة برجامة التى كان قد إستولى عليها كغنيمة حرب .

٣) المكتبات فى العـــــراق (بـــلاد ما بين النهـــريـــن) :

وجدت المكتبات فى حضارة ما بين النهرين شأنها شأن غيرها من المكتبات الموجودة آنذاك فى داخل المعابد و القصور .

و قد كانت المكتبات فى هذه الفترة تمثل الحضارات التالية : الحضارة السومارية – الحضارة البابلية – الحضارة الآشورية .

مسميات المكتبات فى هذه الحضارات :

من المسميات التى أطلقت على المكتبات فى هذه الحضارة مسمى : بيت اللوحات – بيت اللوحـــات الكبـــير .

مجموعات مكتبات هذه الحضارات :

غالبية الظن أن مجموعات هذه المكتبات كانت من المواد التى عرفت فى هذه الحضارات ألا و هى الألواح الطينية ، كما كانوا يتبعون نظاما فى ترتيبها بحيث يدون أعلى كل لوح عنوانه و مختصـــر لموضوعه .

حجم المجموعات فى هذه المكتبات :

يرجح أن المكتبات فى هذه الحضارات كانت ضخمة ، فقد عثر على (١٧٠٠٠) من الألواح الطينية مدون عليها نصوصا قانونية و ملكية و معاملات تجارية و سياسية و سياسية و أدبية ، كما عثر على (٢٠٠٠٠٠) من الألواح الطينية التى تعود لمكتبة وجدت فى الحضارة السومارية .

تنظيم المكتبات فى حضارات ما بين النهرين :

عرفت المكتبات فى حضارات ما بين النهرين بتنظيمها و ترتيبها بصورة منطقية حتى يسهل الإفادة منها .

المجالات الموضـوعية التى غطتها هذه المكتبات :

إهتمت هذه المكتبات فى المقام الأول بالقوانين و التشريعات و من أبرز ما خلفته لنا تشريعات حمورابى (ملك بابل) و التى تناولت موضوعات تتعلق بالقضاء و الأمن و حقوق المحاربين و الزواج و الطلاق و التعويضات و الأساطير الشعبية و سير الأبطال و المحاربين و المعاملات التجارية .

و **من أبرز النماذج على هذه المكتبات نجد مكتبة آشور بنيبال** و قد وجدت هذه المكتبة فى قصر الملك آشور بانيبال ، و يقال أن نشأتها كانت فى عهد جده ،و كانت ملحقة بالقصر الخاص به .

المجموعات فى مكتبة آشور بانيبال :

مجموعات هذه المكتبة كانت تضم عددا كبيرا من الألواح الطينية التى تم تجميعها لخدمة رجال الدولة

و رجال الدين ، و يقال أنها كانت تضم حوالى (٢٠٠٠٠) لوح طينى .

التزويد فى مكتبة آشور بانيبال :

يقال أن الملك آشور بانيبال كان يشرف بنفسه على تجميع هذه الألواح و يأمر رجاله أن يجمعوها أو ينسخو منها نسخا تودع فى هذه المكتبة عند الفشل فى العثور على الأصول ، كما يحكى أن الملك كان حريصا على أن يفحص هذه الألواح و يوقع عليها بنفسه .

تنظيم المجموعات فى مكتبة آشور بانيبال :

نظمت مجموعات هذه المكتبة من الألواح الطينية فى كوات داخل الجدران بحيث تجمع الألواح التى تمثل الكتاب الواحد معا فى مكان واحد ، كما كان عندهم نموذج بدائى من الفهارس يعرف بمحتويات المكتبة من الألواح منقوشا على جدران كل كوة .

نهاية مكتبة آشور بانيبال :

و كما كانت نهاية مكتبة الأسكندرية الحريق نتيجة الإضطرابات السياسية فى البلاد ، فلم يكن حظ مكتبة آشور بانيبال بأسعد من حظ مكتبة الأسكندرية ، حيث يقال أنها تأثرت أيضا بالإضطرابات السياسية فى

عهدها ، حيث تذكر المصادر التاريخية أنها تعرضت لحريق أتى على معظم محتوياتها من الألواح الطينية فى إحدى الغزوات التى تعرضت لها البلدة .

٤) المكتبات القديمة فى حضارة الشرق الأقصى القديم :

وجدت المكتبات فى الشرق الأقصى القديم فى الصين و الهند ، و كانت تابعة للمعابد و قصور الحكام شأنها فى ذلك شأن المكتبات فى باقى الحضارات الأخرى .

و كان الشائع فى هذه الحضارات أن تقام المكتبات للطبقة المتميزة من المفكرين و المثقفين و الأدباء .

مصير المكتبات فى حضـــارة الشـــرق الأقصى القديـــم :

إلا أن هذه المكتبات القديمة لم يكن مصيرها بأفضل من مصائر غيرها من المكتبات الأخرى ، فلم يصلنا منها الكثير ، و يعود ذلك إلى أن الهنود و الصينيين كانوا يفضلون الكتابة على جذوع الأشجار و التى كانت بدورها تبلى سريعا .

كما تأثرت المكتبات فى هذه الحضارات أيضا بالظروف و التغييرات السياسية ، فيقال أن أحد حكام الصين قد أمر بتدمير ما يعثر عليه من هذه الألواح ، ذلك لأن أحد المفكرين كان قد تجرأ عليه فى أحد مؤلفاته .

و كانت هذه المكتبات تغطى مذاهب دينية مختلفة ، لهذا فقد كان كل مذهب يطغى يحاول القضاء على مخلفات سابقه ، و من هنا كان الدمار هو مصير هذه المكتبات.

و هناك عامل غاية فى الأهمية يجب عدم إغفاله و هو أن الشعوب الهندية كانت تعتمد على المشافهة فى تدوين حضاراتها و تناقلها من جيل إلى جيل فى غالب الأحيان .

٥) **المكتبات القديمة عند الشعوب اليونانية (فى خارج مصر) :**

كانت المكتبات عند الشعوب اليونانية قاصرة على المكتبات الموجودة لدى الحكام و طبقة الأدباء و المفكرين المحيطين بالملك فقط ، كما كان إستخدام هذه المكتبات غير متاح لأى فرد من العامة ، و إنما كان

الإطلاع على أى من كتبها لا يتم إلا بإذن شخصى من الحاكم نفسه .

و بمرور الوقت ظهرت فئة أخرى من المكتبات فى اليونان ويمكن أن تدخل فى نطاق المكتبات العامة حتى يقال أن عدد المكتبات فى أثينـــا قد وصل إلـــى (٢٨) مكتبة .

هذا و قد غطت المكتبات الأعمال الأدبية الكبيرة فى الأدب اليونانى لكبار الأدباء .

ومن أشهر مكتبات العصر اليونانى نجد المكتبة الخاصة بالفيلسوف أرسطو ، فقد كانت مجموعات هذه المكتبة تغطى كافة مجالات الحياة آنذاك ، كما سمح الفيلسوف أرسطو لكل من يرغب فى الإطلاع على محتوياتها و الإفادة منها .

و قد تعددت الروايات حول مصير هذه المكتبة ، فالبعض يقول أنها سلبت فى أثناء إحدى الحروب أنذاك ، و نقلت محتوياتها إلى مكان آخر ، و البعض الأخر يذكر أنها بيعت بعد وفأة أرسطو و ضمت مقتنياتها إلى مكتبة الأسكندرية القديمة ، و يشير البعض أن الرومان قد إستولوا عليها ، و من ثم فإن مصير هذه المكتبة

مازال مجهولا حتى الآن و لا توجد رواية تحسم نهايتها بصورة قاطعة .

كما هناك أيضا **مكتبة برجامة بآسيا الصغرى** آلتى كان يراد لها أن تكون على غرار مكتبة الأسكندرية ، و إن لم تصل إلى نفس المرتبة و ذلك لأنَ مجموعة العاملين فيها و المتولين لشئونها لم يكونوا على نفس مستوى و كفاءة العاملين فى مكتبة الأسكندرية القديمة ، كما أن علماءها لم يهتموا بنقل ثقافات الحضارات الأخرى ، بل إقتصر نشاطهم على مؤلفاتهم فقط و التى كانت نتاج محاوراتهم مع زملاءهم ، و من ثم فهى تمثل فكرهم فقط ، و بذلك لم يتيحو الفرصة لوجود فكر آخر .

هذا ورغم محاولات حكام مدينة برجامة فى تطوير هذه المكتبة إلا أنهم لم يصلوا بها لنفس مستوى مكتبة الأسكندرية سواء من حيث كم المجموعات أو طبيعتها .

المسميات التى أطلقت على مكتبة برجامة :

من المسميات التى أطلقت على مدينة برجامة نجد : مكتبة برجامون – مكتبة برجاموس – مكتبة برجاموم .

نشأة مكتبة برجامة :

نشأت مكتبة برجامة فى الحضارة اليونانية و إمتدت حتى بدايات الحضارة الرومانية عندما إستولى عليها القائد أنطونيو كغنيمة حرب و أهدى جزء منها إلى الملكة كليوباترا ملكة اليونان كتعويض عن إحتراق مكتبة الأسكندرية عند حريق الميناء كما سبق الذكر .

مجموعات مكتبة برجامة :

و تشير المصادر أن مجموعات هذه المكتبة قد وصلت قبل دمارها إلى (٢٠٠٠٠٠) مؤلف من الرق .

نهاية مكتبة برجامة :

و كما سبق الذكر عند الحديث عن مكتبة الأسكندرية ، فإن نهاية هذه المكتبة كانت على يد القائد (إنطونيو) الذى إستولى عليها و أهداهـــا لملكة مصر (كليوباترا) كتعويض عن إحتراق مكتبة الأسكندرية ، و هذا ما يؤكد إحتراق مكتبة الأسكندرية .

٦) **المكتبات القديمة فى الحضارة الرومانية :**

قامت الحضارة الرومانية القديمة على أنقاض الحضارة اليونانية ، و من ثم فقد كان ظهور المكتبات فى العصر الرومانى هو إمتداد لوجودها فى العصر اليونانى .

فقد إعتنى الرومانيون بالمكتبات و ساعدهم على ذلك إنتصاراتهم المتوالية ، حيث كانوا يأتون بهذه المكتبات بعد الإستيلاء عليها كغنائم فى الحروب التى كانوا يخوضونها ، إضافة إلى أنهم كانوا مولعون بإقتناء الكتب فى قصورهم و التباهى بها بغض النظر عن الإفادة منها .

فئات المكتبات فى بلاد الرومان :

وكما إنتشرت المكتبات فى العصر الرومانى القديم **فى المعابد و قصور الحكام** فقد وجدت أيضا **المكتبات الخاصة** التى يقتنيها الأفراد فى منازلهم بهدف الدراسة و التعليم و خاصة من الطبقة الأرستقراطية التى إهتم كل أفرادها بإقتناء مكتبة للتباهى و كأنها رمزا للرفاهية ، كما ساعد النظام التعليمى المتبع فى بلاد

الرومان على ذيوع و إنتشار المكتبات الخاصة فى المنازل ، لأنه كان يعتمد على التعليم فى المنازل .

و قد وصلت مقتنيات بعض المكتبات الخاصة لدى الأفراد إلى (٣٠٠٠٠) لفافة ، و أحيانا وصلت إلى (٦٠٠٠٠) لفافة .

وقد كانت هذه المكتبات الخاصة ملحقة بدور علية القوم و القادة و العسكريون و التى كانوا يحصلون عليها كغنائم حرب .

و ظهر هناك نمطا آخرا من المكتبات العامة و هى **المكتبات الموجودة فى الحمامات** حيث كانت المكتبات العامة بمثابة منتديات و أندية يجتمع فيها العامة و يمارسون فيها أنشطتهم المختلفة بما فيها عرض قدراتهم الشعرية و الفكرية و ملتقى للأصدقاء و المعارف ، لهذا فقد وجدت بها قاعات ملحقة مليئة بالكتب التى ترضى إحتياجاتهم المتنوعة .

حفظ المجمــوعات فى مكتبات الحضارة الرومانية :

كانت مجموعات المكتبات فى الحضارة الرومانية عبارة عن لفافات من البردى أو الرق ، و

كانت تحفظ فى صناديق معدنية و تصف بطريقة عمودية على الأرفف ، و تلصق عليها قصاصات إرشادية ليسهل التعرف عليها و الوصول إليها .

و من **أبرز النماذج على المكتبات الرومانية الخاصة** تلك المكتبة التى عثر على بقاياها محترقة فى أحد منازل أثرياء الرومان و كانت تقارب (٣٠٠٠) لفافة بردى تقريبا .

و هناك أيضا **مكتبة القائد العسكرى سولا** و التى يقال أنها المكتبة الخاصة للفيلسوف اليونانى أرسطو ، و التى إستولى عليها فى إحدى غزواته لبلاد اليونان .

و كان مما يميز المكتبات الخاصة الرومانية أن مجموعاتها كانت باللغة اليونانية ، و من ثم فإنها تمثل الحضارة اليونانية ، لهذا فقد جاء الفكر الرومانى متأثرا بدرجة كبيرة بالفكر و الحضارة اليونانية .

كما هناك أيضا **مكتبة معبد الحرية** و التى كانت بمثابة مكتبة لكل من يقصدها ، و كان الهدف من وراء إنشاءها أن تكون مكتبة كبرى على غرار مكتبة

الأسكندرية و مكتبة برجامة ، و لكنها لم يكن لها حظ المكتبتين الآخريتين.

هذا و كانت المكتبات فى عهد الرومان ساحات للمحاضرات الملقاة و منتديات لإلتقاء المثقفين و الشعراء و مكانا لعرض الكتب المستنسخة و بيعها ، و بذلك فهى لم تقتصر فقط على كونها مجرد مكانا للقراءة .

و نتيجة لهذا الدور المتعدد للمكتبات فى الحضارة الرومانية ، فقد ظهرت نماذج مصغرة من هذه المكتبات فى الأماكن و المنتديات العامة و أماكن تجمع الناس كالحمامات و الأسواق كما سبق الذكر.

و من نماذج مكتبات الحضارة الرومانية الشهيرة مكتبة ألبيا وجدت هذه المكتبة فى مدينة روما ، و كانت من الشهرة و الضخامة بدرجة دعت الإمبراطور للعناية الخاصة بها ، فتذكر المصادر أن جدرانها كامن مزينة بالرسوم و التماثيل الفنية الرائعة ، كما كانت تحيط بها أيضا التماثيل النصفية لكبار المؤلفين و رجال الفكر و الأدب .

كما هناك أيضا مكتبات الكنائس و كانت هذه المكتبات ملحقة بالكنائس مثال مكتبة كنيسة بيت المقس ، و كانت هذه المكتبات تحتوى على مجموعة صغيرة من الكتب ، و ذلك لأن هذه المجموعات هى التى نجح القساوسة فى إخفاءها فى مخابئ سرية بكنائسهم فى فترة غارات القبائل الجرمانية من البربر على الحضارة الرومانية ، حيث قاموا بتهريب مجموعات مكتبات كنائسهم و إعادة نسخها فى مخابئ سرية و إحتفظوا بها بعد ذلك .

الخدمات فى المكتبات الرومانية القديمة :

إقتصرت الخدمات المقدمة من المكتبات فى هذا العصر على الإطلاع الداخلى فقط ، إضافة لإتاحة بعض المكتبات إمكانية الحصول على نسخ مخطوطة من بعض المقتنيات نظير أجر ، على حين منعت الإعارة الخارجية بشكل نهائى حفاظا على الكتب .

مبانى المكتبات الرومانية القديمة :

كانت المكتبات الرومانية لا تختلف كثيرا من حيث تصميمها عن المكتبات اليونانية ، حيث كانت عبارة عن فتحات فى الجدران تحفظ فيها لفائف الكتب ،

كما كانت هناك قائمة منقوشة على كل جدار توضح محتوياته .

و مما شاع عن المكتبات الرومانية أنها كانت تقسم إلى جزئين إحدهما يخصص للكتب الرومانية و الآخر يخصص للكتب التى تم الإستيلاء عليها إبان الحضارة اليونانية .

هذا و كانت المكتبات الرومانية على قدر كبير من الزخرفة ، إذ كانت الأرضية مغطاة بطبقة من الرخام.

نهاية المكتبات الرومانية القديمة :

و شأن المكتبات الرومانية كشأن غيرها من المكتبات فى العصور القديمة الأخرى فقد كانت نهايته دائما مؤسفة إما الحريق أو السلب و النهب و السرقة كغنائم حرب أو التلف نتيجة عدم تحمل المواد المدون عليها الكتب لعوامل الزمن و بداية تدهور الحضارة الرومانية كنتيجة لتدهور الأحوال الثقافية و التعليمية وظهور حركات القضاء على كل المذاهب الدينية التى تخالف المسيحية عند بداية ظهورها .

العاملون فى المكتبات الرومانية القديمة :

كان يتولى أمرها فى الغالب القساوسة و رجال الدين .

قائمة المصادر و المراجع التى إعتمد عليها الفصل :

١. أحمد على تاج . الكتابة ، الكتب، المكتبات : مدخل تاريخى . د.م : د.ن ، ٢٠٠١م.

٢. السيد السيد النشار .تاريخ الكتب و المكتبات فى مصر القديمة . الأسكندرية : دار الثقافة العلمية للنشر ،٢٠٠٠م.

٣. حامد الشافعى دياب . محاضرات شفهية على طلاب المرحلة الجامعية الأولى . جامعة طنطا ، كلية الآداب ، قسم المكتبات .

٤. سيد حسب الله ، محمد جلال غندور .تاريخ الكتب و المكتبات عبر الحضارات الإنسانية . الرياض : دار المريخ ،١٩٩٦م .

٥. عبد الستار الحلوجى . لمحات من تاريخ الكتب و المكتبات .[القاهرة] : دار الثقافة للنشر و التوزيع ، ١٩٨٨م.

الفصل الرابع

المكتبات فى العصور الوسطى المسيحية

يمكن تقسيم فترة العصور الوسطى و التى تمتد من نهاية الحضارة الرومانية ــــ لا تذكر المصادر التاريخية تاريخا محددا ثابتا لبداية العصور الوسطى ، و لكن تجاوزا يمكن إعتبارها تبدأ من نهاية الحضارات القديمة كما أشار بذلك أحد المصادر التاريخية ــــ و حتى بداية ظهور الحضارة العربية الإسلامية و حتى عام ١٤٥٣م .

<u>أحوال المجتمع الأوروبى فى فترة العصور الوسطى :</u>

مع إقتراب نهاية الحضارة الرومانية فى أوروبا و بداية إضمحلال حالها و إضطراب أمورها بدأ التدهور يصيب المجتمع بصفة عامة فى أوروبا ، و ذلك كنتيجة لبداية سقوط الإمبراطورية الرومانية كنتيجة لهجمات القبائل الجرمانية المتوالية عليها ، كما بدأت الديانة المسيحية فى الإنتشار فى أوروبا أنذاك و أصبحت هى الديانة الرسمية فى البلاد .

و قد كان لهذان العاملان أبلغ الأثر على المكتبات هناك ، فقبائل الغزاة لم يكن لديها أى إهتمام بالعلم ، كما حرصت الديانة المسيحية على القضاء على

أى أثر للوثنية ، لهذا فقد إهتمت بالقضاء على آثار الكتب الوثنية التى تعثر عليها .

و قد إنعكس حال المجتمع على حال المكتبات الموجودة أنذاك بالسلب ، و التى كانت تعتبر من مخلفات الحضارات السابق وجودها ، و إنعكس أثره على الحياة الإجتماعية و الثقافية الموجودة فى هذه الفترة .

و مما يذكر فى هذا الصدد و عند الحديث عن هذه الإنعكاسات السيئة لأحوال المجتمع على المكتبات و على الكتاب وَ الطبقة المثقفة فى المجتمع ، أن مجرد إقتناء الكتب بدون الحصول على تصريح من الكنيسة كان يعتبر جريمة يعاقب عليها بالإعدام أحيانا .

و قد ساعد على تدهور الأحوال سيادة الكنيسة و سيطرتها على المجتمع بدرجة كبيرة وصلت فى بعض الأحيان لإتهام العلماء و المفكرين و أصحاب الرأى الجديد بالكفر و الإلحاد لا لشئ إلا لإختلافهم فى الرأى معها ، و فى الكثير من الأحيان كان يحكم على أمثال هؤلاء بالإعدام ، مما ساهم بصورة أو بأخرى فى قتل الفكر الجديد و تجمد الأفكار الموجودة ، فوقف المجتمع

حيث كان فترات طويلة يعانى الجهل و الظلام فكان الغالبية العظمى من الناس يجهلون اللغة اللاتينية و هى لغة الكتابة و التأليف و الحوار فى هذه الفترة ، حتى أطلق على هذه الفترة من الزمن العصور الوسطى المظلمة .

و لأنه لابد من ظهور النور و بزوغ الشمس مهما غابت ، فقد ظهرت بعض المحاولات الجاهدة من بعض المهتمين بضرورة التجديد و الإصلاح و ظهور نور الحضارة من جديد ، فقد ظهرت بعض الجهود من بعض أفراد الطبقة الراقية فى المجتمع من بعض أفراد حاشية الإمبراطور للإهتمام بالمكتبات من جديد .

و بالفعل دفع ذلك بعض هؤلاء لإنشاء مكتبات تابعة للأديرة و الكنائس ، ووفقا للمعروف فوجود الكتب دائما يرتبط بوجود المكتبات .

دور النبلاء فى إحياء المكتبات فى العصور الوسطى :

ينسب دوما للرومانى (كاسيودورس) فضل إنتشال المكتبات و إحياءها فى فترة العصور الوسطى فى أوروبا ، فقد كان رجل سياسة من الطبقة الراقية فى المجتمع و فى ذات الوقت كان مقربا للإمبراطور

الرومانى ، و إستفاد من ذلك فى إلحاق دور نسخ بالأديرة و الكنائس مهمتها إعادة إستنساخ المخطوطات الموجودة بالدار وترجمة تلك التى يتم الحصول عليها .

و قد تمكن (كاسيودورس) من رصد الأموال الازمة لعمليات الترجمة و الإستنساخ هذه ، كما ساهم ايضا فى توفير القائمين بهذه الأعمال مستغلا فى ذلك قربه من الإمبراطور و الصداقة التى تربطهما .

و فى فترة من فترات حياته إعتزل (كاسيودورس) الحياة العامة و السياسية من شدة حبه وولعه بالكتب ، و إعتكف فى إحدى الأديرة (دير فيفاروم كما سيتبين فيما بعد) فى جنوب إيطاليا و قصر نشاطه على القراءة و نسخ الكتب فقط ، كما كان حريصا على إستقدام النصوص المخطوطة من بلاد الشرق و ترجمتها فى الدير التابع له ، مع الحرص كل الحرص على التحقق من صحة و سلامة النصوص ، و حسن مظهرها و جودته .

و تعتبر هذه هى المحاولات الأولى لظهور المكتبات فى العصور الوسطى .

نشأة المكتبات المسيحية :

منذ منتصف الحضارة الرومانية (و كما ذكر أحد المصادر التاريخية) بدأ ظهور الديانة المسيحية ، و نظرا لأن المسيحية هى دين كتابى يعتمد فى إنتشاره على الحملات التبشيرية التى تستلزم وجود نصوص دينية مكتوبة ، فإن ظهور المسيحية ساعد على ظهور المكتبات المسيحية و إثراءها بالكتب الدينية على أقل تقدير .

فالديانة المسيحية قد ساعدت على إزدهار الأدب المسيحى الذى إزدهر مع إزدهار الأدب الإغريقى و اللاتينى .

و بجوار هذه الكنائس قامت مكتبات مقدسة (مكتبات مسيحية) إحتوت على كتب الطقوس المستخدمة فى الصلوات ، و كتب آباء الكنيسة .

كما أنشأت فى فلسطين مكتبة مسيحية على يد (بامفيلوس) ، كما جمعت الكتب فى أديرة صحراء النوبة فى مصر ، و بنى (أبولينوس) مكتبة ملحقة بكنيسته و كتب على بابها لا يجلس هنا إلا الذين يتبعون شريعة الرب .

كما اسس الإمبراطور قسطنطين مكتبة في بيزنطة جمع فيها عددا كبيرا من الكتب المسيحية ،و بذل خلفاء قسطنطين جهودا كبيرة في توسيع هذه المكتبة ، و هكذا كان لكل دير مكتبة خاصة به .

مدى ثراء مكتبات الأديرة في العصور الوسطى الأوربية :

إتسمت مجموعات مكتبات الأديرة في العصور الوسطى الأوربية بضآلة الحجم و التواضع مقارنة بها في مكتبات العصور القديمة ، فلم تكن مجموعاتها تتجاوز (١٠) مخطوطات ، عكس المكتبات في العصور القديمة و التي جاوزت الآف بكثير .

هناك القليل من المكتبات خاصة بداية من عهد الملك (شارلمان) في ألمانيا و التي إتسمت بزيادة عدد مقتنياتها مقارنة بغيرها من المكتبات الأخرى في هذه الفترة الزمانية ، إلا أنها في جميع الأحوال لم تزيد مقتنياتها عن (٦٠٠) مخطوطة .

مصادر الإقتناء فى مكتبات العصور الوسطى :

كان التزويد فى بدايته و رغم ضآلته يتم من الكنيسة الأم بعدد محدود من الكتب وفقا للإحتياجات الضرورية جدا لكل دير .

تبدأ كل دير بعد ذلك فى زيادة مجموعاتها من المخطوطات بإجتهاد القساوسة و الرهبان العاملين فيها و بإجتهاده فى الحصول على الهدايا التى تأتى إليه من مصادر متعددة كالرهبان و المصلين و الطلاب الجدد الذين يتوافدون على هذه الأديرة .

أما الشراء فلم تكن مكتبات الأديرة تعتمد عليه إلا بصورة محدودة جدا تكاد تقترب إلى ألا وجود ، و يعود ذلك إلى الإرتفاع الرهيب فى أسعار المخطوطات فى ذلك الوقت ، حتى ليقال أن ثمن المخطوطة الواحدة كان من الممكن أن يصل إلى ثمن قطعة أرض وقتها .

كما كانت هذه المقتنيات ملكا للأديرة و الكنائس ، و فى فترة لاحقة أصبحت ملكا لقصور الحكام و النبلاء و رجال الحكم .

كل ذلك أثر على تحجيم عدد المجموعات فى المكتبات الموجودة أنذاك ، و أثر على ضآلة مقتنياتها .

الموضوعات التى غطتها المكتبات فى العصور الوسطى الأوربية :

كان السائد أن تغطى مجموعات مكتبات الأديرة العقائد الدينية السائدة أنذاك و التى فى الغالب تدعو للمسيحية .

كما غطت المجموعات أيضا المخطوطات التى تؤرخ للقديسين و التى تذكر الأحداث التاريخية المعاصرة لفترة العصور الوسطى ، و القوانين التى تسوس الحياة أنذاك و كتب العهدين القديم و الحديث ، إضافة لبعض الكتب فى المنطق و النحو .

يضاف إلى ذلك وجود بعض المخطوطات التى ترجع لحضارات سابقة كالحضارات اليونانية و الرومانية القديمة .

حفظ الكتب فى المكتبات المسيحية :

كانت الكتب فى مكتبات الأديرة القديمة تحفظ فى فجوات فى جدران المكتبات مغطاة بالأخشاب ، و هذه الفجوات لها أرفف و أبواب خشبية .

ثم تطور الحال ووضعت الكتب فى دواليب مغلقة ، أما الطقوس الدينية فكانت تحفظ منفردة مع الأوانى

المقدسة و الذخائر الثمينة فى خزانات خاصة تعرف بالخزانة المقدسة .

و من الأساليب الغريبة التى كانت سائدة فى مكتبات الأديرة فى هذه الفترة الزمانية أن المخطوطات الموجودة فيها كانت تربط بسلاسل خوفا عليها من السرقة و الضياع ، خاصة و أن عمليات الإستنساخ التى كان الرهبان و القساوسة يقومون بها كانت تتم على لفائف الرق لأنه أكثر تحمل و أرخص على حين أن البردى كان يذكرهم بالحضارة اليونانية الوثنية .

و يعكس هذا الإسلوب أول ما يعكس حرص القائمين على أمر هذه المخطوطات على حمايتها و الحفاظ عليها دون أن تتعرض لأى أخطار سواء بالسرقة أو التلف أو التمزيق من أى مستخدم لها ، و يعود ذلك و كما سبق الإشارة إلى صعوبة تعويض هذه المخطوطات فى حالة تلفها أو فقدها أنذاك .

أثر الكنائس المسيحية على مكتبات العصور الوسطى :

ساعدت الكنيسة كثيرا فى الحفاظ على التراث الثقافى و الحضارى فى هذه الفترة الزمنية من عمر التاريخ و ساهمت بصورة أو بأخرى فى توريثه للأجيال التالية ، و يتضح ذلك مما يلى :

١) زاد تأثير الكنيسة المسيحية و خاصة الكنيسة الرومانية عقب الإنقلابات التى نتجت عن الغارات الجرمانية البربرية حتى وصل الأمر إلى تحكمها فى عالم الكتب و المكتبات .

٢) حافظت الكنائس على ما بقى من الأدب القديم بعد الإنقلابات ، و بالرغم من ذلك إستمر تأثير الكنيسة الكاثوليكية بعد سقوط روما و إنتصار المسيحية ، و من أمثلة ذلك :

تم تأسيس دير تسمى (دير فيفارم) فيها ما يشبه الأكاديمية المسيحية ، و كان له نظام يطالب بأن ينسخ الرهبان الكتب العامة و الدينية و يضعوا نسخا منها فى الدير .

٣) و بذلك فقد قامت المدارس بدور تعليمى إلى جانب دورها الدينى فى المجتمع فى فترة عصور الظلام

الأوربية ، مما تطلب ضرورة وجود المكتبات للمساعدة فى العملية التعليمية و كمتطلب أساسى لها .

دور الرهبان فى إنشاء المكتبات فى العصور الوسطى :

كان للظروف السابق الإشارة إليها دورا رئيسيا فى إندثار عددا كبيرا من المخطوطات فى بداية العصور الوسطى ، على حين تم إنقاذ عددا آخرا منها بتهريبه إلى داخل الأديرة و الكنائس الجديدة على يد الرهبان و القساوسة الذين هرب عددا كبيرا منهم إلى أوروبا (إيطاليا و فرنسا على وجه الخصوص) ، و إختبأوا بمخطوطاتهم فى الكنائس بعد الفتح العربى الإسلامى للأندلس إبان فترة الحضارة العربية الإسلامية .

و قد لعب الرهبان فى العصور الوسطى دوراً مهما فى حفظ التراث الموجود من المخطوطات و لفائف البردى ، و بحق يمكن القول أن نشأة المكتبات فى العصور الوسطى الأوربية كان يقع بالدرجة الولى على الرهبان و رجال الكنيسة .

فقد تولوا مهمة إستنساخ عددا كبيرا من الموجود منها و المتاح لديهم فى الأديرة و الذى يغلب عليه الطابع الدينى بصفة عامة ، ثم يقومون بحفظها لديهم أو بيع هذه المستنسخات لمن يريد و يدفع المقابل الذى كان بمثابة مصدر دخل لهم ينفقون منه ، إلى جانب محاولاتهم للتبشير بالدين المسيحـــى الجديد و محاولـــة نشـــــــره .

و من ثم فقد شاركو بصورة أو بأخرى فى نشر التراث الرومانى و ذلك الموروث من الحضارات الأخرى اليونانية و الفرعونية ....، و أثروا على الثقافة و الحركة العلمية أنذاك بمشاركتهم الفعالة فى **تشجيع** نسخ الكتب و ترجمتها و إقامة المكتبات . و فيما يلى عرض لبعض مشاركات الرهبان فى نشر الثقافة و إحياء المكتبات فى فترة العصور الوسطى الأوربية :

١) تحولت إيرلندا للمسيحية على يد القديس باتريك فـــى القرن الخامس الميلادى .
٢) إهتم الرهبان الإيرلنديين بدراسة الآداب الإغريقية و المحفوظات القديمة بحماس و شغف .

٣) قام الرهبان الكاثوليك الإيرلنديين بإستنساخ الكتب الموجودة فى أديرتهم و بذلك فقد ساهموا فى تكوين المكتبات التابعة لهذه الأديرة و تنمية مقتنياتها بما يخدم إحتياجاتهم الفكرية على الأقل و يحمى هذه المؤلفات من التلف و الإندثار.

٤) وضع القديس (كولومبان) أول نواة لإنشاء مكتبة تابعة للدير فى مدينة غالة .

٥) ساعد الرهبان الإيرلنديين على إنشاء مكتبات الأديرة فى إنجلترا ، و من أشهر الرهبان الإنجليز (بندكت) الذى ذهب لروما لإحضار كتب من هناك ، حيث كان كل قديس يتسلم مجموعة من الكتب كنواة لمكتبة جديدة .

٦) لعب الراهب (ألكوين) دورا رئيسيا فى خروج أوروبا من عصور الظلام ، حيث تمكن من إقناع ملك ألمانيا (شارلمان) بالإهتمام بالتعليم بعد إنتشار الأمية و الجهل ، فبدأ الملك يستجيب لطلبات (ألكوين) و قام بفتح المدارس فى الأديرة لتعليم الشعب .

و بذلك فتح الطريق لزيادة الوعى بأهمية وجود الكتب و المكتبات ، و بمرور الوقت زاد وعيه بأهمية وجود المكتبات ، مما دعاه لإنشاء إحداها فى قصره .

و بذلك ففى بداية العصـــور الوســطى إقتصـــر وجود المكتبات على الأديرة فقط ، و لم تكن هنـــاك أى محاولات لوجودها خارج الأديرة ، بســبب الظــروف السابق الإشارة إليها من إنتشار الجهــل و إضمـطراب الأحوال السياسية ، و لكن بمرور بمرور الوقــت بـدأ الإهتمام بإنشاء المكتبات خارجها خاصة فـــى قصـــور الحكم ، و كانت هذه المحاولات الأولى لخروج المكتبة خارج حدود الدار على يد الملـــك (شـــارلمان) ملـــك ألمانيا كما سبق الإشارة .

<u>أشهر مكتبات العصور الوسطى المسيحية :</u>

١) **<u>مكتبات الأديرة :</u>** و من أمثلتها:

أ. **<u>مكتبة (مونت كاسينـــو) :</u>**

أنشاءهـــــــا (البندكتون) فى القرن الثانى عشر الميلادى ، و كانت تعد من أعظـم مكتبات لأوروبا فى عصرها .

ب. مكتبة (كلونى) :

و يقال أن مديرها زودها بما يقرب من مائة مخطوط ، و تم تخريبها على يد (كالفن) فى عام ٥٦٢ م.

ج. مكتبة (فاليرى) :

بلغت قمة مجدها فى القرن الثانى و الثالث عشر الميلادى .

د. مكتبة (دير فيفاروم) :

تعتبر من أقدم مكتبات الأديرة فى أوروبا ، ووجدت فى دير فيفاروم الذى أسسه النبيل و السياسى ثم رجل الدين بعد ذلك (كاسيودورس) ، و من السمات التى ميزت هذه المكتبة إحتوائها على نسخ من الكتاب المقدس و العديد من المؤلفات المسيحية ، إضافة لبعض المؤلفات الوثنية فى شتى الموضوعات .

هـ. مكتبة دير كورفى :

هذه المكتبة كانت فى ألمانيا ، و ترجع لبدايات العصور الوسطى ، و كانت تحتوى على مجموعة نادرة من المخطوطات لكبار المؤلفين و الكتاب .

و. مكتبة دير فولدا :

كانت نشأة هذه المكتبة أيضا فى ألمانيا ، و كانت تابعة لدير فولدا ، و يعود الفضل فى إنشاءهـــــا إلى (رابان مور) حاكم مدينة فولدا فى ألمانيا ، و قد لعبت دورا فى نقل الكتب و التراجم من الحضارة العربية إلى أوروبا .

ز: مكتبة دير رشناو :

كانت أيضا فى ألمانيا ، و إهتمت أيضا بنقل الكتب و المعارف من الحضارة العربية الإسلامية إلى الحضارة الأوربية ، إليها يرجع الفضل إلى الإهتمام بأعمال الرسم و الزخرفة فى المخطوطات .

و يعود لمكتبة هذا الدير الفضل فى تبادل المخطوطات مع مكتبات الأديرة المجاورة ، كما يعود له الفضل فى نقل الكثير من كتب الحضارات السابقة من بلاد العرب ، و قد إزدهرت مكتبة هذا الدير خاصة فى عهد الملك (شارلمان).

ح: **مكتبة دير سانت كاترين :**

توجد فى سيناء بمصر حتى الوقت الحاضر و تحتوى على عددا كبيرا من المخطوطات و الكتب الدينية التى تعود للحضارات السابقة .

٢) **مكتبات المجالس الكنيسية :**

الكثير منها فاق مكتبات الأديرة من حيث النظام الداخلى و قيمة المحتويات ، و كانت نشأتها مـــع نشـــأة الكاتدرائيات في القرن التاسع و العاشر المـــيلادى ، و كانت تلحق بالمجالس الكنيسية ، و مـــن أشـــهر هـــذه المكتبات مكتبة (دوان و كلير مونت و شارتر) .

٣) **مكتبات البابوات :**

كانت البدايات الأولى لظهور مكتبات البـــابوات فى فرنسا ، عندما بدأ البابوات فى إنشـــاء الكنـــائس و إلحاق مكتبات بها لحفظ المخطوطات الخاصة بهم .

من أبرز المكتبات البابوية فى العصور الوسطى المكتبة التى أنشئت فى فرنسا و الملحقة بكنيسة القديس (لورانس) ، و التى تعرضت للتدمير عدة مرات .

و يقال أن هذه المكتبة تعتبر هى النـــواة لمكتبـــة الفاتيكان الموجودة برومـــا حتـــى الأن ، حيـــث كـــان

البابوات يحصلون على كل مقتنيات الرهبان بعد وفاتهم ، و عند عودة البابوات إلى روما فإنهم كانوا يحملون معهم جزء فقط من كتبهم و يتركون الجزء الأكبر ، و قد تم ضم جزء مما تركوا إلى المكتبة الأهلية في باريس ، على حين ترك الجزء الآخر إحدى الأسر التى حصلت عليه و التى قام بابا الفاتيكان بعد ذلك بشراءها منهم و ضمها لمجموعة مكتبة الفاتيكان الموجودة بروما حتى الوقت الحاضر .

٤) **مكتبات الحكام و الأمراء :**

كانت بداية معرفة هذا النوع من المكتبات فى ألمانيا على يد الملك (شارلمان) ، كما كانت فى بدايتها تنشأ داخل القصور الملكية و قصور رجال الحكم لخدمة أعمالهم و لتكون كمكتبات خاصة بهم .

و قد بلغ من إهتمام الملك (شارلمان) بمكتبة قصره أنه كان يطلب من العلماء أن يأتوا من بلادهم إلى قصره مباشرة بما معهم من مخطوطات ، ثم يقوم بتكليف العلماء و المفكرين ورجال الدين فى قصره بتحقيق هذه المخطوطات و حفظها .

و قد كان الملـــك (شـــارلمان) يحـــرص كـــل الحرص على أن يضع بخط يده علامة تدل على ملكيته الكتب و المخطوطات ، و كانت هذه المجموعة كبيرة و ضخمة و تحتوى على نفائس كتب و مخطوطات كبـــار الفلاسفة و المؤلفين فى الحضارتيـــن اليونانيـــة و الرومانيـــة .

بعد الملك (شارلمان) بـــدأ إهتمـــام الملـــوك و الأمراء بإنشاء مكتبات خاصة فـــى قصـــورهم ، ففـــى فرنسا على سبيل المثال قام الملـــوك بجمـــع الكتـــب و المخطوطات الموجودة فى الأديرة و أودعوها فى مكتبة كبيرة ألحقوها بقصورهم الملكية ، و تعتبر هى النـــواة الأولى للمكتبة الوطنية الفرنسية الموجودة حاليا .

و هذا لا يعنى أن المكتبات كانت تشغل إهتمـــام كل الملوك و الأمراء فى فتـــرة العصـــور الوســـطى الأوربية ، بل فالقليل منهم فقط هو مـــن كانـــت لـــه إهتمامات علمية و ثقافية ، و الغالبية من ملوك و حكام هذه الفترة كان يلم بالقراءة فقط دون إلمام بالكتابة ، أو يجهل كلا منهما .

٥) **مكتبات الجامعات :**

صاحبت فكرة إنشاء الجامعات إنشاء مكتبات خاصة بها ، و من أشهر الجامعات جامعة السربون بباريس ، و سبب تسميتها أن أول من أنشاءها كان يدعى (سربون) ، و كانت هذه المكتبة تنقسم إلى :

أ) **المكتبة الكبرى :** و كانت تضم الكتب الأكثر تداولا و المثبتة بسلاسل .

ب) **المكتبة الصغرى :** و كانت تضم الكتب متعددة النسخ و قليلة التداول و التي كانت تعار برهن يختلف تبعا لقيمة الكتاب .

كما أنشئت مكتبات جامعات أخرى غير مكتبة السربون مثل مكتبة جامعة أكسفورد و كامبردج .

الأدوات المستخدمة فى مكتبات العصور الوسطى :

كانت الكتب توضع على رفوف ، ثم ظهر نوع جديد من الأثاث المكتبى عرف بإسم (القماطر) و مفردها (قمطر) و توضع عليه الكتب ، كما لها مقاعد تسمح بالجلوس عليها عند القراءة .

أما فى المكتبات الفخمة فكانت الكتب تصف فيها على قماطر بالقرب من النوافذ بحيث تتعامد مع

الحوائط ، و فى بعض المكتبات كانت الكتب تثبت بسلاسل حديدية تسمح بإستعمالها ، و كانت هذه السلاسل مثبتة من إحدى طرفيها بغلاف الكتاب .

تنظيم المجموعات فى المكتبات الموجودة فى عصور الظلام الأوربية :

لم تحرص المكتبات فى العصور الوسطى على تنظيم مجموعاتها بطريقة ترضى المستفيدين كما كان شائعا فى العصور السابقة أو كما هو متبع فى العصور الحالية ، حيث كان لكل مكتبة طريقتها و إسلوبها فى التنظيم بما يتوائم مع رغبات و أهداف القائمين على أمرها .

و بذلك يمكن القول أن الكتب فى المكتبات المحدودة التى وجدت فى العصور الوسطى (عصور الظلام الأوربية) و كنتيجة للظروف السياسية و العقائدية الموجودة فى هذه الفترة تقسم وفقا للميول الدينية لكل منها .

فقد كانت الكتب الدينية المسيحية تفصل عن الكتب الدينية الوثنية ، كما كانت تفصل الكتب الدينية عن غيرها من الكتب .

كما كانت الكتب الدينية المسيحية توضع فى خزائن ، و كل خزينة مرقمة برقم خاص بها ، كما كانت الكتب غير الدينية تقسم إلى سبع مجموعات وفقـا لموضوعاتها .

كما تذكر بعض المصادر أن بعض هذه المكتبات كانت تنظم الكتب الموجودة بها بصورة مسلسلة .

الخدمات التى كانت تقدمها المكتبات فى العصور الوسطى الأوربية :

كانت الخدمات فى مكتبات العصور الوسطى الأوربية قاصرة على الراهبان و رجال الدين و البابوات و من يرغب من الحكام .

و بداية من عهـد الملك (شارل) بدأ السماح لكل من يريد من العامة فى الإطلاع على المخطوطات التى يريدونها ، و الذين لم يكونوا فى حاجة لمعاونة القائمين على أمر هذه المكتبات و ذلك نظرا لضآلة المتاح من المقتنيات بها .

كما كان يسمح بالإستنساخ (المقابل القديم لخدمة التصوير الحالية) ، و ذلك بمقابل لمن يستطيع ، حيث يحصل الرهبان و القساوسة على المقابل كمصدر دخل

لهم يتعيشون منه ، أو فى الإهتمام بما لديهم من مخطوطات أو زيادتها إذا أمكن لهم ذلك فى هذه الفترة الهامة من عمر التاريخ .

كما ظهر أيضا نمط بدائى للإعارة الخارجية فى هذه المكتبة ، حيث كان أعضاء الكنيسة كل عام يوما واحدا ثم ينادون على من إستعار كتبا و مخطوطات و يطالبون بردها ، و تبدأ إجراءات إعارة الكتب للسنة الجديدة .

و كل هذه الإجراءات التى كانت تتم تحت إشراف المسئول على هذه المكتبات ، حيث كان يحتفظ بقوائم بالكتب و المخطوطات المعارة و التى كانت تقتصر على أعضاء الدير فقط ، و فى النادر من الأحيان كان يسمح لأفراد من الخارج بالإعارة الخارجية ، و كان هذا يتم فى أضيق الحدود نظير رهن يقدمونه ضمانا لرد ما قاموا بإستعارته .

الإفادة من المكتبات فى العصور الوسطى الأوربية :

فقدت المكتبات فى العصور الوسطى الأوربية دورها الذى كانت عليه فى الحضارات السابقة و الإزدهار الذى عاشته فى الحضارات الفرعونية و اليونانية و الرومانية ...

فقد أصبحت المكتبات حكرا على فئة معينة من الناس هم فى الغالب الرهبان و القساوسة و رجال الدين ، فأصبحت مستودعات و خزائن للكتب و المخطوطات بعد أن كانت مكانا لإلتقاء الناس و العامة من كل حدب و صوب للدراسة و التعليم .

كما أصبحت المكتبات فى العصور الوسطى فى أفضل حالاتها حكرا على عدد محدود جدا من المقربين جدا من أصحاب المكتبات و الذين إنحصروا فى المقربين من الرهبان و الحكام من النبلاء و أفراد الطبقة الراقية .

كما إنعدمت إفادة باقى طبقات الناس من إستخدام هذه المكتبات ، و أصبح من الصعب على أى شخص من العامة الحصول على مخطوط لمجرد القراءة و التى كان يجهلها الغالبية أنذاك ، و ساهم فى ذلك أيضا بعد

الأديرة عن أماكن التجمعات و صعوبة وسائل المواصلات أنذاك .

يضاف إلى ذلك أن المكتبات لم تكن تبذل أى جهود فى سبيل تشجيع الإفادة منها ، بل أنها كانت تتفنن فى وضع القيود التى تحد من هذا الإستخدام ، مثال ربط المخطوطات فى سلاسل حتى عند الإطلاع عليها ، و تحديد أيام معينة للإطلاع على المخطوطات ، و الأ يكون أحد المطلعين يقل عن سن الرشد ضمانا لجدية التعامل مع الكتاب .

أسباب تدهور حال المكتبات فى العصور الوسطى الأوربية مقارنة بحالها فى العصور القديمة السابقة :

من العرض السابق يتضح تدهور أحوال المكتبات فى العصور الوسطى الأوربية مقارنة لها بها فى الحضارات القديمة السابقة كحضارة مصر الفرعونية و الحضارة اليونانية و الرومانية القديمة ، و يعود ذلك إلى :

١. تدهور التعليم و ركود الحياة العلمية و الثقافية لدرجة أن أصبح التعبير عن الفكر و إقتناء الكتب غير

الدينية بدون موافقة الكنيسة جريمة قد تصل عقوبتها أحيانا للإعدام .

٢. إضطراب الأحوال السياسية و الإقتصادية فى البلاد مما أثر بالسلب على العلاقات التى تربطها بغيرهـــا من الدول .

٣. سياسة الحكام فى هذه الفترة الزمنيـــة مـــن عمـــر التاريخ أدت لسيادة الجهل و الخوف من التعبير الحر عن الأفكار و الأراء ، مما أثر بالسلب على الحيـــاة الثقافية و التى أثرت بدورها على إنتشـــار حركـــات التأليف و النقل من الحضارات و الثقافات المختلفة و إنعكس بدوره على وجود المكتبات فى هذه الفترة من عمر التاريخ .

٤. إجتمعت كل العوامل السابقة و إثرت على المثقفين و المفكرين و دعت الكثير منهم إلى الهروب لمنـــاطق أخرى يأمنون فيها على أنفسهم و أفكـــارهم ، ممـــا ساعد على نشر الجهل و الخرافات فى هذه الفترة فى أوروبا و حتى أطلق عليها فتـــرة عصـــور الظـــلام الأوربية .

نهايات عصور الظلام الأوربيــة و بــدايات الإنتقــال للحضارة الأوربية الحديثة :

١) لعبت حركات النبلاء الرومان و الرهبان و القساوسة دورا كبيرا في بداية إنقشاع عصور الظلام في أوروبا في العصور الوسطى ، مما ساعد على تقلص سلطة الكنيسة و البابا رويدا رويدا .

٢) ترتب على زيادة الإهتمام بالحركة الثقافية و العلمية في البلاد بداية الإنفتاح على الحضارة العربية التــى كانت في أوج إزدهارها حينذاك حتى وصــلت إلـــى الأندلس .

٣) مع زيادة الإنفتاح وبداية ظهور الحضارة الغربيــة كنتيجة للتبادل التجاري و الثقافي ، بدأت الحضـــارة العربية في الإنهيار كنتيجة لسقوط دولة الأنــدلس و الحملات الصليبية التي كانت تسلب المكتبات العربية الممتلئة بملايين الكتب الموروثــة مــن الحضـــارات السابقة في أثناء غزواتها ، ثم تقوم بنقلها للغرب و و بذلك تنقل معها سرا من أسرار تقدم العرب في هــذه الفترة من التاريخ ، ثم يقوم علماءهم بترجمته و نقله

للغتهم ، و من هنا كان بداية ظهورالحضارة الأوربية الحديثة التى مازالت موجودة حتى عصرنا الحاضر .

٤) كان لظهـــور الرهبان الإنجلـــيزى (ريتشـــارد دى بيرى) دورا كبيرا فى تحريك الإهتمام بالكتب و المكتبات فى فترة عصور الظلام ، فقد ثار على ما ساد فى عصره من إنتشار للجهل وعـــدم الإهتمـــام بالكتب ، بما فى ذلك عرضه لحاجة الناس الضرورية للمكتبات شأنها شأن أى ضروريات أخرى فى الحياة قد يحتاجونها ، إلى جانب معارضته لإنشغال رهبـــان الأديرة بحياتهم و مصالحهم الخاصة عـــن الإهتمـــام بالكتب ، و تذكر المصادر أنهم قد لجأوا فى بعـــض الأحيان لإفتراش الكتب و المخطوطات ليتناولو عليها طعامهم .

٥) كان أيضـــا لظهـــور الشاعـــر الإيطالـــى (بترارك) فى نهاية فترة عصور الظلام الأوربية أثرا كبيرا فى إحياء الإهتمام بالمكتبات فى هذه الفتـــرة ، فقد قضى مدة طويلة من حياته يسعى لجمع الكتـــب و المخطوطات و يحققها .

٦) فى نهاية العصور الوسطى و كنتيجة للعوامل السابقة فقد طرأت العديد من التغييرات على المجتمع ، حيث بدأ الإهتمام بالحياة العلمية و الثقافية ، و بدأت تظهر لدى الطبقة الأرستقراطية النزعة الثقافية كنوعا من التمييز ، حتى أصبح الإهتمام بالكتب و المكتبات نوعا من الحياة الأرستقراطية التى يسعى الجميع إليها .

٧) بعد ذلك بدأ ظهور الطبقة المتوسطة فى المدن الأوربية التى ظهر معها الإهتمام بالأدب و الشعر و الثقافة .

٨) بدأ ظهور الصناعة و التجارة و زادت حركة التنقلات و السفر بين البلدان ، و من ثم زاد الإهتمام بالآداب الشعبية التى إنتشرت بسرعة فى أواخر العصور الوسطى الأوربية بين أفراد الطبقة المتوسطة .

٩) ظهرت طوائف دينية جديدة إهتمت بتعليم الناس ووعظهم و إرشادهم و لم تكتفى بمجرد التعبد و الصلاة فقط ، و ذلك بعدما إنهارت المكتبات التى

كانت تابعة للأديرة ، حتى أن بعضها كان يرهن ما به من كتب و مخطوطات نظير مبالغ مالية ضعيفة .

<u>وجه الشبه و الخلاف بين المكتبات فى العصور القديمة و الوسطى الأوربية :</u>

تشابهت المكتبات فى العصور الوسطى الأوربية مع المكتبات فى العصور القديمة السابقة لها فى عدة نقاط منها طبيعة المواد المصنوع منها الكتب و التى كانت فى الغالب من البرديات و الرقوق ، كما تشابهت فى وجود المكتبات كملحقيات فى المعابد و الدور الدينية و قصور الحكام و النبلاء .

أما عن وجه الخلاف بين المكتبات فى العصرين فيرجع لعدم الإهتمام الكافى بالمكتبات فى فترة العصور الوسطى الأوربية ، و من ثم عدم الإهتمام بالمجموعات أو بالإقتناء أو بالتنظيم الفنى لها أو حتى بتيسير إتاحتها للعامة من الناس ، إلى جانب إرتفاع أسعار الكتب و الحجر على فكر العلماء و المفكرين مما كان له أسوأ الأثر على المكتبات .

فلم تعتمد المكتبات فى العصور الوسطى الأوربية على السلب و النهب عكس ما كان شائعا فى

العصور القديمة ، على حين إعتمدت المكتبات في العصور الوسطى على التبادل بالمخطوطات المكررة بين مكتبات الأديرة و بما يتفق مع نشاط الناسخين من الرهبان .

كانت عمليات النسخ في المكتبات في العصور القديمة يقوم بها العبيد كنوع من السخرة ، على حين أن عمليات النسخ في المكتبات في العصور الوسطى الأوربية فقد كان يقوم بها الرهبان كمصدر دخل لهم أو أملا في رضاء الرب .

قائمة المصادر و المراجع التى إعتمد عليها الفصل :

١. أحمد علي تاج . الكتابة ، الكتب ، المكتبات : مدخل تاريخى . د.م : د.ن ، ٢٠٠١م.

٢. حامد الشافعى دياب . محاضرات شفهية على طلاب المرحلة الجامعية الأولى . جامعة طنطا ، كلية الآداب ، قسم المكتبات .

٣. سيد حسب الله ، محمد جلال غندور . تاريخ الكتب و المكتبات عبر الحضارات الإنسانية . الرياض : دار المريخ ،١٩٩٦م .

٤. عبد الستار الحلوجى . لمحات من تاريخ الكتب و المكتبات .[القاهرة] : دار الثقافة للنشر و التوزيع ، ١٩٨٨ م .

الفصل الخامس

المكتبات عند العرب والمسلمين

كان العرب قبل ظهور الإسلام أهل جاهلية ، فلم تكن لهم أى إهتمامات بالكتب و المكتبات و القـراءة ، ساعدهم على ذلك كثرة ترحالهم لأنهم أهل تجـارة ، و كثرة الحروب و المنازعات بيـنهم و بـين القبائـل و الشعوب المجاورة ، لهذا فلم يعرف العرب الحضـارة إلا مع دخول الإسلام كما سبق بيان ذلك فـى فصـول سابقة .

ففى عصور الجاهلية و قبل الإسلام لم يعـرف العرب نظام المكتبات المعروف عنـد غيـرهم مـن الشعوب ذات الحضارات باستثناء النـادر مـن بعـض النقوش التى عثر عليها عندهم و التى تطلبتها ظـروف إحتكاكهم و تعاملاتهم التجارية مع غيرهم من الشـعوب الأخرى خاصة و أنهم كانوا أهل غلظة و خشـونة و عصبية كما علمتهم حياة الصحـراء التـــى كـانوا يعيشونها .

فقد عاش العرب قبل الإسلام بـدون كتـب و لا كتابة ، لهذا كانوا بسطاء ومحدودى المعرفة فـى كـل شئ فى حياتهم و سلوكياتهم و عاداتهم و تقاليدهم ، و ساعدتهم عصبيتهم و إعتزازهم بأنفسهم ورضاءهم عن

حياتهم فى عدم بذل أى محاولات للتغيير رغم ما ربطتهم من صلات تجارية بغيرهم من البلدان أصحاب الحضارات أنذاك .

و بظهور الإسلام الذى حث على العلم و كانت بداية نزوله (إقرأ) ، و بإنتشاره و كثرة الفتوحات الإسلامية و إمتدادها للبلدان صاحبة الحضارات القديمة كاليونان و الرومان و مصر و بين النهرين و الهند و الصين و إعتناق أهلها الإسلام ، بدأت عملية التأثر والتأثير بين العرب و هذه الحضارات كما سيلى الحديث عن ذلك فى هذا الفصل (حيث مد معتنقوا الإسلام من أهل هذه الحضارات العرب بالكثير من معارفهم و علومهم و كلف العرب النساخ و المترجمون بنقلها إلى العربية بعد ذلك) ، مما كان له أبلغ الأثر فى ظهور الحضارة العربية الإسلامية .

و قد بدأ النشاط العلمى و الأدبى فى العالم الإسلامى فى نهاية القرن الثامن الميلادى تقريبا ، ساعد على ذلك بداية ظهور صناعة الورق التى دخلت إلى العالم العربى أنذاك عن طريق الأسرى الصينين .

أقبل العرب المسلمون على الكتب إقبالا منقطع النظير ، و حققوا فى مجال حفظ الكتب و نشرها تقدما لم تحققه شعوبا كثيرة أخرى كانت تملك من مقومات الحضارة ما يؤهلها لهذا كبلاد الفرس و غيرها ...، فقد كان يقاس ثراء الناس خلال القرون من التاسع و حتى الثالث عشر فى بلاد المسلمين بمدى ما يملكون من كتب و مخطوطات .

حال المكتبات العربية الإسلامية قديما :

نمت الكتب بصورة كبيرة فى عام ٨٩١ م ، حيث بلغت دور الكتب العامة فى بغداد أكثر من مائة مكتبة ، و بدأت كل مدينة تبنى لها دورا للكتب لنشر العلم و الثقافة بين أفراد الناس ، و كان يجمع فيها المترجمون و المؤلفون فى قاعات خصصت لهم .

حال المكتبات العربية الإسلامية فى العصر العباسى :

إهتم العرب فى العصر العباسى بالكتب حيث إزدهرت حركة الترجمة و التأليف ، و أقبل الناس على شراء الكتب و إقتناءها و هى حركة بلغت قمة مجدها فى عهد الخليفة المأمون ، حيث أقيمت فى عهده المكتبات العامة فى المساجد و المدارس ، كما أصبح

لكل شخص مكتبته الخاصة التى يوصى بها لطلبة العلم من بعده .

هذه المكتبات كان معظمها يحتوى على كتب فى شتى الموضوعات ، و بعضها كان يختص بعلوم أخرى محددة ، و هو ما يعرف اليوم بالمكتبات المتخصصة ، ولم يكن هذا غريبا ، حيث حث الإسلام على طلب العلم .

كما إقتدى العرب المسلمين بمكتبات الحضارات الرومانية الشرقية التى إستمر وجودها حتى ذلك الوقت ، و من الأمثلة على ذلك :

١) أنشأ هارون الرشيد مكتبة فى بغداد و زودها بمخطوطات من بيزنطة و البلدان المفتوحة كجزية .

٢) إنتهج إبنه المأمون فى عام (٨٣٣ هـ) نفس منهاج أبيه فى جمع المخطوطات ، و إليه يعود الفضل فى ترجمة أمهات المؤلفات اليونانية و الشرقية إلى اللغة العربية .

٣) كما لم تقتصر أمثال هذه المكتبات على بغداد فقط ، بل وجدت مكتبات أخرى فى الكوفة و البصرة أيضا .

أنواع الموضوعات التى كتب فيها العرب :

إهتم العرب بكافة العلوم الدينيـــة و الدنيويـــة ، حيث ألفوا كتب حول الإسلام و تفسيره و علومه ، كما إهتموا بالشعر الذى يعتبرونه سجل العربيـــة الأول ، و إهتموا بالهندسة و الرياضيات و إعتبروها أدوات لعلـــم المنطق ، كما إهتموا بعلم الموازين و نظريات الضوء و الكيمياء ، بالإضافة إهتمامهم بعلـــوم اللغـــة و خاصـــة القواميس اللغوية و علوم التاريخ و تراجم الرجال .

التدوين فى العصور الإسلامية :

صاحب ظهور هذه الموضوعات ما يسمى بحركة التدوين و التاليف ، حيث عرف العرب حركة الكتابة فى جاهليتهم و لاسيما فى حواجز الجزيرة العربية الواقعة فى الشمال و الجنوب ، حيث توجد الصخور و الأحجار التى تسهل عملية الكتابة ، فضلا عن عظام أكتاف الإبل و الخشب .

إلا أن التدوين كان يقتصر على مقتضيات الحياة الإجتماعية كتدوين الصكوك و العهـود و الأحـــلاف و المواثيق ، أما الأعمال الأدبية و العلمية ، فلـــم تكـــن

تدون إلا نادرا فقد كانت مسجلة فى الذاكرة و الرواية الشفوية ، و تذكر الروايات إنه عند مجىء الإسلام كان فى مكة سبعة عشر كاتبا ، وفى المدينة كان هناك أحد عشر كاتبا .

حال الكتابة فى عصور الإسلام :

- **تدوين القرآن :**

كانت الكتابة خالية من النقط و الشكل ، حيث كان تدوين القرآن فاتحة عهد التدوين عند العرب ، و قد عرف كتاب القرآن بكتاب الوحى ، و أشهرهم زيد بن ثابت ، و على بن أبى طالب ، ومعاذ بن جبل ، و سعد بن إبى وقاص ، و عثمان بن عفان . و كان زيد بن ثابت من أكثرهم كتابة لكثرة ملازمته للرسول (ص) و هؤلاء الكتاب إستخدموا العظام و الرقاع كمادة للكتابة ، و عندما حدثت حروب الردة بعد وفأة الرسول (ص) ، و إستشهد فيها كثيرمن حفظة القرآن خشى عمر بن الخطاب من خطورة هذا الأمر فذهب إلى الخليفة أبو بكر الصديق ، و طلب إليه أن يجمع القرآن ، و إستطاع إقناعه بعد نقاش لأن الخليفة لم يكن راغب فى فعل شىء لم يفعله الرسول (ص) قبله

، و جعله يأمر الصحابى زيد بن ثابت بجمع القرآن و تدوينه و قام زيد بتنفيذ أمر الخليفة و جمع القرآن من الرقاع و العسب ، و من صدور الحفاظ .

و حفظت الرقوق التى كتب عليها القرآن عند الخليفة أبى بكر الصديق ثم عند عمر بن الخطاب ، و عند إبنته حفصة بعد وفاته .

و هكذا يعتبر القرآن هو أول ما دون ، أما عن تدوين القرآن للمرة الثانية ، فكان فى عهد عثمان بن عفان الذى أحضر الصحائف من عند حفصة ، و أمر الصحابة و خاصة زيد بن ثابت بإعادة تدوين القرآن الكريم مرة ثانية و هو التدوين المرتب الذى إستمر بهذا الشكل إلى اليوم ، و إحتفظ الخليفة بهذه النسخة لنفسه و كتب منها (٥) نسخ أرسلها للمدينة و البصرة و الكوفة و الشام .

- **تدوين الحديث الشريف :**

بعد الإنتهاء من تدوين القرآن الكريم بدأت عملية تدوين الحديث الشريف بشكل منظم فى القرن الثانى الهجرى ، و كانت قبلها عملية التدوين للحديث بشكل محدد جدا ، فعندما كان بعض الصحابة يكتبون بعض

الأحاديث لدراستها و حفظها ، و كان الرسول (ص) قد نهى عن تدوين الحديث الشريف خلال حياتـــه خشـــية إختلاطه بآيات القرآن الكريم .

القواعد المتبعة عند تدوين الأحاديث :

كان العلماء يهتمون بالعناية و الدقة و الأمانة العلمية عند جمع الأحاديث الصحيحة و فرزها من غيرها من الأحاديث المنسوبة الباطلة إلى الرسول (ص) ، لهذا وضع العلماء قواعد و مناهج للبحث فى التقصى و التحقيق أعتبرت رائدة فى منهج البحث التاريخى .

و كنتيجة لزيادة عناية العرب المسلمين بمدونى الحديث بدأ إهتمامهم و عنايتهم الخاصة برواته و تتبع أنسابهم مما كان له أكبر الأثر فى ظهور الكتابات الخاصة بالسير و الأنساب .

- **أثر إنتشار الإسلام على الكتابة و التدوين عند العرب :**

كان لإنتشار الإسلام دورا كبيرا فى إزدهار حركة الكتابة و التدوين عند العرب المسلمين ، فنتيجة لإختلاط العرب بغيرهم من الشعوب و الأمم التى فتحوها بدأ ظهور اللحن فى اللغة العربية و ذلك لخلوها من النقط و الشكل فى بدايتها .

لهذا و خوفا من العرب على لغتهم ، و حفاظا منهم على تراثهم فقد رأوا أهمية تجميع مفردات اللغة و الحفاظ عليها من الضياع و الفقد ، و من هنا بدأ ظهور الكتب التى تدون اللغة و التى أصبحت فيما بعد نواة للقواميس و المعاجم اللغوية .

كما نتج عن إنتشار الإسلام من الشرق إلى الغرب و ترامى أطراف دولته ، و دخول الجنسيات و الشعوب المختلفة على إختلاف أجناسها و لغاتها فيه إلى الحاجة الملحة لوجود مدونات باللغة العربية تعلمها و تحفظ ألفاظها و مفرداتها و تبين دلالاتها خاصة و أن القرآن الكريم قد نزل بلسان عربى مبين حرص الجميع على التحدث به .

يضاف إلى ذلك أنه بدخول الإسلام و إنتشـــاره من الشرق فى الهند و الصين إلى الغرب فى الأندلس ، فقد عرف العرب المسلمون أدوات و مواد الكتابة على إختلافها ، و ساعدهم ذلك زيادة حركة التدوين و إنتشار الكتب الذى كان له أكبر الأثر على ظهور المكتبـــات و إزدهارها فى فترة إزدهار الحضارة العربية الإسلامية .

يضاف لذلك أنه ببداية ظهور عملية التدوين عند العرب المسلمين ظهر إهتمامهم بتدوين سيرة الرســـول الكريم (ص) و سيرة الصحابة و التابعين الأوائـــل و التاريخ الإسلامى ، و من هنا ظهرت البواكير الأولـــى لعلم التاريخ عندهم .

مما يذكر فى هذا الصدد المحاولات الأولـــــــــى (لعروة بن الزبير) الذى يعتبر من أوائل مـــن إهـــتم بتدوين السيرة النبوية الشريفة و إحتفظ بها لديه ، حتى يمكن أن يطلق على ذلك بأنه مـــن البـــدايات الأولـــى للمكتبات الخاصة عند العرب المسلمين الأوائل .

حركة التأليف و الترجمة عند العرب المسلمين :

نهضت حركة التأليف عند العرب المسلمين فـــى القرن الثانى للهجرة خاصة بعد أن نقل العرب صـــناعة الورق عن الصينيين و إستخدموه كمادة للكتابة ، حيـــث أقبل الناس على العلم و إنكبوا على الدراسة واتأليف فى جميع الميادين ،كما برزت ظاهرة حب الكتب و إقتناءها و أصبحت المدرسة ممثلة فى المسجد أو فـــى بنـــــاء ملحق به .

هذا و قد برزت حركة التأليف و إزدهرت فـــى فترة الحضارة العربية الإسلامية كنتيجة طبيعية لشـــغف العرب المسلمون على إختلاف طبقـــاتهم و مســـتوياتهم بالقراءة .

هذا و من أبرز المؤلفات العربية التى كانت تقع فى مجلدات ضخمة فى فترة إزدهار الحضارة الإسلامية نجد :

تفسير الطبرى و تاريخه

كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى

مروج الذهب للمسعودى

السماء و العالم لأحمد بن أبان

غريب الحديث لأبى بكر بن الأنبارى

أما عن بداية ظهور حركة الترجمة عند العرب المسلمين فتنسب إلى **(خالد بن يزيد بن معاوية)** الذى يعود للعصر الأموى ، و كان له إهتمام خاص بنقل العلوم و المعارف من اللغات و الحضارات الأخرى إلى بلاد العرب المسلمين .

مما يذكر لخالد بن يزيد في هذا الصدد أنه أمر بإحضار العلماء اليونان المقيمين فى مصر و طلب منهم ترجمة المخطوطات من اللغات القديمة اليونانية و الرومانية و الفرعونية القديم إلى العربية . ثم قام بتجميع هذه المترجمات و إحتفظ بها فيما يمكن ان نطلق عليه البدايات الاولى للمكتبات في العصر العربي الإسلامى .

نماذج من شغف و حب العرب المسلمين للكتب و القراءة :

١) مما يذكر فى هذا الصدد أن الجاحظ على سبيل المثال كان يمر على الوراقين و محلات الوراقة و يبقى فيها للصباح من أجل القراءة و البحث .

كما يذكر عنه أيضا أنه فى إحدى المرات و هو فى نهايات عمره و بعد إن بلغ به العمر مبلغه كان

يجلس و من حوله كتبه مصفوفة فسقطت عليه فلم يستطع زحزحتها من فوقه فمات تحتها .

٢) كما يذكر أن (أبا جعفر احمد المديونى) جمع كتبا كثيرة أنفق عليها أكثر من (٣٠٠,٠٠٠) درهم

٣) و يذكر عن (محمد بن نصر الحاجب) أنه عندما توفى ترك كتبا و مخطوطات بأكثر من (٢٠٠,٠٠٠) دينار .

٤) كما كان (لأبى بكر الصولى) بيتا ضخما ممتلئا كتبا و مخطوطات عثروا عليها عند وفاته .

٥) عندما توفى (أبو جعفر بن الجزار) فى القرن الرابع الميلادى عثروا عنده على (٢٥) قنطارا من الكتب الطبية .

٦) عندما توفى (الصاحب بن عباد) عثروا عنده على مجموعة ضخمة من الكتب و المخطوطات ، كان الفهرست الخاص بها فقط يقع فى (٤) مجلدات ، على عين كانت مجموعة كتبه و مخطوطاته تبلغ حمل أكثر من (٤٠) بعيرا .

و قد بلغ هذا الشغف مبلغه على مستوى البلاد الإسلامية جمعاء من قرطبة و حتى سمرقند ، حتى

ليقال أن عدد المساجد و دور العلم كان يقل عن عدد ما فيها من علماء و طلاب علم ، كما كان من الإلزام على القادرين مد يد العون للمساجد و دور العلم و معاونة غير القادرين من طالبى العلم فى الدولة العربية الإسلامية الممتدة الأطراف .

أثر الثقافات الأجنبية على الثقافة العربية :

تأثر العرب بالثقافات اليونانية و الفارسية و السريانية و القبطية حيث أخذوا من اليونان فلسفتهم ، و من الفرس علومهم و زادوا على هذه العلوم .

كما نشطت حركة الترجمة فى عهد الرشيد الذى كان يعهد بالإشراف على حركة الترجمة إلى (يحى بن ماسوية) ، كما كان يدعو فى بلاطه العلماء و المثقفين .

كما أسس المأمون أكاديمية الترجمة ، و زادت المؤلفات بدرجة كبيرة و لكن جزء منها ضاع بسبب الغارات على الدول العربية الإسلامية .

المكتبات العربية الإسلامية :

عرف المجتمع العربى الإسلامى كل أنواع المكتبات ، و ذلك لأن الدولة العربية الإسلامية كانت تتباهى بوجود هذه المكتبات على أراضيها .

لهذا فلم يكن غريبا ظهور المكتبات الخاصة فى قصور الحكام و الأمراء و الطبقة الغنية كأول أنواع المكتبات فى الحضارة العربية الإسلامية.

هذا و قد كانت بداية نشأة المكتبات العربية فى الحضارة الإسلامية فى عهد بنى أمية (العهد الأموى) ، حيث قاموا بجمع و ترجمة المؤلفات الإغريقية ، كما بدأ أمراء بنى أمية فى جمع و تكوين المكتبات الخاصة فى قصورهم .

أعقب ما سبق بداية ظهور المكتبات العربية الإسلامية العامة و التعليمية التابعة للمساجد ، حيث لم تكن المساجد مراكز للعبادة فقط ، بل كانت مراكز للتزويد بالعلم و أماكن للحياة السياسية و الإجتماعية و مراكز للإدارة و تسهيل أمور الدولة ، لهذا كان المسجد يحتفظ بنسخ للقرآن و تفسيره .

هذا و يعد (خالد بن يزيد بن معاوية) أول من فكر من الأمويين فى إنشاء مكتبة فى العصر الأموى فترة الحضارة العربية الإسلامية .

دور الأمويين فى نشأة و ظهور المكتبات العربية الإسلامية :

يعتبر الأمويون – الدولة الأموية التى قامت فى بغداد – هم واضعى اللبنة الأولى للمكتبات فى العصر العربى الإسلامى ، ففى عهدهم بدأت عمليات النقل و الترجمة من الحضارات الأخرى إلى العالم العربى الإسلامى ، و بدأت عمليات تسجيل التاريخ و السير ، و تجميع الأنساب ، و تدوين علوم اللغة و الفقه ، كما ظهرت فى عهدهم البذور الأولى للمكتبات العربية الأسلامية ، و المكتبات الخاصة المملوكة للأفراد .

إزدهار المكتبات العربية الإسلامية فى العصر العباسى :

يعتبر العصر العباسى – الدولة العباسبة التى قامت فى بغداد – هو عصر قيام المكتبات الإسلامية و إزدهارها بأنواعها المختلفة ، و هو إزدهارساير تألق الحضارة الإسلامية من تطور حركة التأليف و الترجمة

و التعريب إلى قيام المدارس و المعاهد العلمية و إهتمام الخلفاء و الحكام بالعلم و الأدب و قيام صناعة الورق التى أدت بدورها إتساع كبير فى عدد المؤلفات .

و من أبرز نتاج الحضارة العربية الإسلامية فى العصر العباسى المؤلفات التالية :

* كتاب الموطأ للإمام مالك
* الكتب الفقهية للإمام الشافعى
* الكتب الأدبية للجاحظ
* نقل إبن المقفع كتاب كليلة و دمنة إلى اللغة العربية
* قام جورجيوس بن جبرائيل طبيب الخليفة المنصور بنقل كتب الطب من اليونانية إلى اللغة العربية
* الكتب الرياضية للخوارزمى
* كتاب الملوك الغابرين للأصمعى
* أصول النحو للفراء
* الفهرست لإبن النديم
* مروج الذهب للمسعودى
* تاريخ الملوك و الأنبياء لحمزة الأصفهانى

و على ذلك فالحضارة العربية الإسلامية مدينة للعصر العباسى بظهور العديد من المكتبات على إختلاف أنواعها ، ففيه ظهرت المكتبات الملحقة بالمساجد و المكتبات الخاصة و المكتبات العامة و مكتبات الأوقاف و مكتبات البحث و الدرس و مكتبات المشافى (المستشفيات الآن) .

دور الحكام العباسيين فى تطور المكتبات العربية الإسلامية :

رصد الحكام العباسيين الأموال الضخمة و أبرز العلماء و المفكرين و المترجمين لنقل العلوم من الحضارات الأخرى إلى اللغة العربية .

و على ذلك فقد أولى الخلفاء العباسيين عناية خاصة بالمؤسسات العلمية و المكتبات ، كما إهتموا بإنشاء مكتبات أخرى خاصة إلحقت بقصورهم ، و قد ضمت هذه المكتبات نفائس الكتب من مختلف العلوم و الفنون ، كما وجه الوزراء و الأدباء و العلماء عناية كبيرة بالمكتبات الخاصة التى يملكونها ، و أنفقوا عليها من أموالهم الخاصة لشراء الكثير و سمحوا بإعارة كتب

منها إلى طلبة العلم على الرغم من أنها مكتبات خاصة بهم .

دور العصر الفاطمى فى إزدهار المكتبات العربية الإسلامية :

يعود العصر الفاطمى لفترة حكم الخليفة المعز لدين الله الفاطمى فى شمال إفريقيا ، و إتخذوا من القاهرة عاصمة لهم ، و أرادوا أن يجعلوها مركزا حضاريا كبيرا ينافسون به باقى المراكز الثقافية التى وجدت أنذاك ، و إستمرت الدولة الفاطمية سيدة عصرها حتى غزاها صلاح الدين الأيوبى فى عام (٥٦٧) هـ و قضى عليها .

و من أبرز ما أنشىء فى العصر الفاطمى من مراكز ثقافية و حضارية الجامع الأزهر ليكون قلعة للعلوم و الآداب فى عصره ، و الذى تحول فيما بعد إلى الجامع الأزهر .

هناك أيضا مكتبة دار الحكمة و التى سيلى الحديث عنها تفصيلا فيما بعد .

أسماء المكتبات العربية الإسلامية :

أطلق العرب على المكتبة العربية الإسلامية أسماء كثيرة منها دار الكتب أو خزانة الكتب ، و كانت تلحق بالقصر أو بمركز ثقافي أو بمسجد أو مدرسة أو معهد عالي ، و هذا يتناسب مع نوع هذه المكتبة و المهام التي تقوم بها .

أهم المكتبات العربية الإسلامية في العصور الأموي و العباسي و الفاطمي :

- **مكتبة بيت الحكمة في بغداد :**

و تعتبر مكتبة بيت الحكمة هي أول مكتبة رسمية في الدولي ، و كان يطلق عليها أيضا خزانة الحكمة ، و أنشأها هارون الرشيد في نهاية القرن الثاني الهجري لتكون مركزا للترجمة ، ثم إزدهرت في عهد الخليفة المأمون حتى أطلق عليها (دار كتب المأمون ببغداد) و أصبحت بمثابة أكاديمية للعلوم و المعارف و الترجمة .

و قد أصبحت هذه المكتبة في زمن الخليفة المأمون مكانا للتعليم و الدراسة و مستودع للمخطوطات

و مقرا للترجمة و التأليف ، إضافة لوجود مرصدا فلكيا بها أيضا .

و قد عمل بنـو العبـاس علـى جمـع تـراث الحضارات السابقة إليها بشتى الطرق و الأساليب بمـا فى ذلك جمع الكتب و المخطوطات عنوة كغنـائم فـى الغزوات التى كان يرسلها فى الظاهر بسبب حربـى و فى الباطن بهدف جمع التراث الثقـافى ، حيـث كـان حريصا على جعل بيت الحكمة مركزا للتأليف و التعليم و المطالعة .

و كانت مكتبة بيت الحكمة منتدى يجتمـع فيـه رجال العلم و الفكر و الدارسين ، و مركزا للترجمة و النسخ .

و قد جاءت تسميتها (ببيت الحكمة) بدلا مـن تسميتها (بيت الكتب) لأنها لم تقتصـر علـى كونهـا مجرد مستودع للكتب فقط ، بل تجاوزت هذا الدور إلى كونها ملتقى للعلماء و المفكرين و الأدباء .

كما أن مفهوم الفلسفة قديما كان ينصب على كل المعارف و العلوم الثقافية المعروفة أنذاك بما فيها العلوم

الدينية و العلمية و الأدبية من الفقه إلى الطب و الشعر ...

و بلغ من تشجيع الخلفاء و الأمراء للعاملين في هذه المكتبة ما ذكرته المصادر من أنهم كانوا يكافئون العاملين بإعطاءهم زنة ما يقومون بترجمته للغة العربية ذهبا .

- **المكتبة العلمية الأولى :**

أنشاءها خالد بن يزيد بن معاوية ، و أتبعها بمركز النقل و التعريب الذى كان يشرف عليه ، و حوت هذه المكتبة مجموعة جيدة من الكتب المفيدة خاصة كتب علم الفلك و الكتب المترجمة من اليونانية إلى العربية .

- **مكتبة دار الحكمة فى القاهرة :**

أنشأها الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله فى عام (٣٩٥) هـ في القاهرة ، و ذلك لتكون على غرار مكتبة بيت الحكمة فى بغداد و المكتبة المستنصرية فى قرطبة ، و أحيانا كان يطلق عليها (مكتبة دار العلم) .

كان الهدف الأساسى من إنشاء هذه المكتبة جعلها مركزا حضاريا يدعو للمذهب الشيعى الذى يعتنقه الفاطميين .

و مما يذكر عن هذه المكتبة أنها كانت تحتوى على عدد ضخم من المقتنيات القيمة مثال :

كتاب العين للخليل بن أحمد

تاريخ الطبرى

كما يذكر عنها أنها كانت تحتوى على مقتنيات فى كافة العلوم التى وجدت آن ذلك كالفقه و النحو و اللغة و الفلك و العلوم الطبية ...

- **مكتبة الحكَم فى قرطبة بالأندلس :**

أنشأها (عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل) ، و يطلق عليها أحيانا (مكتبة الأمويين) ، و البعض ينسبها إلى (الحكم الثانى و هو نفسه المستنصر بالله) .

أتى إليها حكام الأندلس بالكتب و المخطوطات من كل حدب و صوب سواء من القاهرة أو الأندلس أو بغداد ... ، كما أغدقوا عليها الأموال لتلبية كافة إحتياجاتها .

كما كان وجود المكتبة مشجعا للعلماء و المفكرين على التأليف ، فإزدهرت المؤلفات فى هذه الفترة ، و شجع على ذلك إنتشار إهداء هذه المؤلفات للحكام و الخلفاء بهدف التقرب إليهم و نول رضاهم .

نوعيات المكتبات العربية الإسلامية :

عرف العالم الإسلامى جميع أنواع المكتبات الموجودة اليوم مثل المكتبات الخاصة بالأفراد و المكتبات الملحقة بالمساجد (العامة و التعليمية) و مكتبات الدولة (و هى مكتبات الخلافة) و مكتبات المعاهد و المدارس العلمية (مكتبات المساجد و دور العلم) و المكتبات المتخصصة (مثال مكتبات البيمارستانات و المشافى) .

أولا : المكتبات الخاصة بالأفراد :

عرف العرب إبان فترة الحضارة العربية الإسلامية بحب الكتب ، حتى يقال أن موجة حب الكتب و المخطوطات قد إمتدت من الطبقة الغنية المسلمة إلى باقى الطبقات الأخرى و خاصة الطبقة المتوسطة ، و قد ساعد ذلك على ظهور و إنتشار المكتبات الخاصة المملوكة للأفراد.

و من الأمثلة على هذه المكتبات الخاصة المملوكة للأفراد نجد :

* <u>مكتبة الطبيب الدمشقى السورى (موفق الدين بن المطران)</u> : و الذى كان فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، و كان لديه قرابة (١٠,٠٠٠) مجلد فى العلوم الطبية .

* و من المكتبات الخاصة التى إشتهرت فى مصر <u>مكتبة الطبيب المصرى الشهير (إبراهيم بن الصوفان)</u> : الذى وظف فيها عدد من النساخ ، و بلغت عشرات الآلاف من الكتب .

<u>ثانيا : المكتبات الخاصة بالخلفاء و الحكام :</u>

كانت مجالس الخلفاء فترة الحضارة العربية الإسلامية بمثابة مجالس للعلم و حلقات النقاش و المحاضرة ، لهذا فقد ظهرت الحاجة فى هذه الفترة لوجود الكتب و المخطوطات فى هذه القصور ، و التى ترتب عليها وجود المكتبات .

و قد ساعد تقسيم الدولة الإسلامية الضخمة المترامية الأطراف إلى أجزاء على إنتشار هذه المكتبات و التباهى بها ، حيث بلغ التنافس بين الحكام و الأمراء

على إقتناء الثمين و القيم فى هذه المكتبات أشده ، و من أشهر مكتبـــات الخلفاء الخاصـــة فى هذه الفترة نجد :

١) مكتبة الخليفة المنصور التى ألحقت بقصر الخلافة ، و عمل فيها عدد من الوراقين و النساخين ، كما زودت بمئات المخطوطات فى الشعر و النقد و الدين و الفلسفة و التاريخ ، و قام عدد من المترجمين فيها بأمر الخليفة بترجمة عدد من كتب الفلسفة و الطب اليونانية و كتب الأدب الفارسى إلى العربية .

٢) مكتبة الخليفة القائم بأمر الله .

٣) مكتبة المستنصر بالله .

٤) مكتبة الناصر لدين الله .

٥) مكتبة المستعصم بالله و غيرهـا مـــن مكتبـــات الخلفاء .

٦) مكتبة خالد بن يزيد بن معاويـــة (حكيـــم بـــن مروان) ، و كانت الغالبية العظمى من مجموعاتها فى الكيمياء نظرا لشغف صاحبها بهذا التخصص و بالعلوم بصفة غامة .

٧) مكتبة يحيى بن خالد البرمكى ، و كانت تضم (٣) نسخ من كل مخطوط .

٨) مكتبة الأمويين فى الأندلس : أنشأها الحكم المستنصر ، و جمع لها من الكتب و **المخطوطات ما** ندر فى زمانه من كل صوب و حدب ، **و يقال أن** مجموعاتها قد بلغت حوالى (٤٤,٠٠٠) مجلد .

٩) مكتبة أو خزانة كتب العزيز الفاطمى ، و كان فـــى مصر إبان العصر الفاطمى ، حيث كانـــت المكتبـــات للفاطميين وسيلة تساعدهم فى نشر دعوتهم و مـــذهبهم الشيعى ، و هذا ما يفسر إنشاء المعز لدين الله الفاطمى للجامع الأزهر ليكون معقلا للعلم فى مصر ، و تـــذكر بعض المصادر أن مجموعات هذه المكتبة كانت ضخمة جدا .

ثالثا : مكتبات الوزراء :

من أهم مكتبات الوزراء مكتبة :

١) مكتبة (الفتح بن خاقان) وزير المتوكل .

٢) مكتبة الوزير (المهلبى) التى إحتوت عنـــد وفاتـــه على حوالى (١١٧) ألف كتاب .

٣) مكتبة (بن العميد) وزير البوهيين ، وحوت حمولة مائة جمل من الكتب العملية و الأدبيـــة ، و كانت تفخر بخازنها المـــــؤرخ المعـــــروف (إبن مسكويه) .

٤) مكتبة الأديب الوزير (الصاحب بن عباد) و كانت تحتوى على حوالى (٢٠٦,٠٠٠) مخطوط .

و مما يروى فى ذلك أنه عندما إستدعى السلطان (نوح بن منصور السامانى) الوزير (الصاحب بن عباد) ليوليه الوزارة إعتذر (الصاحب بن عباد) عن ذلك بسبب مكتبته الضخمة التى يصعب عليه نقلها .

و قد كان لمكتبته فهرس ضخم يقع فى عشرة مجلدات و عدد كتبها يفوق ما فى مكتبات أوروبا العامة و الخاصة مجتمعة فى العصر الوسيط .

٥) كما يذكر أحد الرحالة فى نهاية القرن العاشر الميلادى أنه شاهد مجموعات ضخمة من الكتب فى قصر أحد الأمراء البويهيين فى مدينة شيراز (و هو قصر عضد الدولة البويهى) و الذى يقال عنه إنه إقتنى من كل الكتب و المخطوطات الموجودة فى عصره نسخة .

٦) و يذكر رحالة آخر أنه فى بداية القرن الثالث عشر الميلادى وجد ما يقرب من إثنتى عشرة مكتبة فى مدينة ميرف التى كانت تابعة لهم أنذاك .

٧) كما إشتهر الخليفة (الحكم الثالث) بمكتبته العظيمة التى أنشأءها و زودها بمكتبة أخيه الخاصة و مكتبة أبيه ووضعها في قصره فى قرطبة ، و جمع حوله العلماء و الناسخين و المصورين ، و أرسل مبعوث إلى الشـــرق الأقصى بهدف الحصول على مجموعات كبيـــرة مـــن المخطوطات الموجودة هناك .

أشهر المكتبات العربية الإسلامية الخاصة:

١) كان لكل من (عروة بن الزبير) و (عبـــد الله بـــن عباس) مجموعة كتب و مخطوطات خاصة به .

٢) كان لكل من (شهاب الزهرى) و (أبى عمرو بن العلاء) مكتبة خاصـــة مليئـــة بالمخطوطـــات فـــى عصـــره .

٣) مكتبة (على بن يحيى المنجم) التى أنشـــاؤها فـــى بلدته قرب بغداد و سماها (خزانة الحكمة) ، هـــذا و على بن يحيى المنجم هو عالم كبير عاصر عـــدد مـــن الخلفاء منذ خلافة المأمون و حتى المتوكل ، و كانـــت هذه المكتبة مفتوحة امام القراء .

٤) مكتبة إبن النديم
٥) مكتبة الشريف الرضى

المكتبات الخاصة فى الأندلس :

غرفت الأندلس بشغف أهلها الشديد للكتب و إسرافهم فى إقتناءها و زخرفتها ، و كان إقتناء الكتب فى الأندلس شأنها كشأن باقى الأقطار العربية المسلمة مدعاة للتباهى و التفاخر ، حتى وصل الأمر لأن أصبحت الكتب جزء مكمل لأثاث المنازل حتى و إن لم يلم أربابها بالقراءة و الكتابة .

و على ذلك فقد إحتلت المكتبات الخاصة فى الأندلس مكانا بارزا بين المكتبات الإسلامية ، و من أشهرها نجد :

* **مكتبة الطبيب القيروانى (إبن الجزار) :** الذى ترك عند وفاته (٢٥٠) طن من لفائف جلد الغزال التى كتبها بنفسه .

* **مكتبة القاضى أبى المطرف عبد الرحمن بن فطيس :** كان يسارع لإقتناء كل الكتب و المخطوطات التى يعلم بوجودها لدى أحد من الأفراد ، فإذا فشل فى الحصول عليها فإنها كان يسارع بالحصول على نسخة

منها ، و مما يذكر عنه أنه عند وفاته تم بيع كتبه و مخطوطاته على مدار عام كامل .

* **المكتبة المستنصرية بقرطبة :** سيلى الحديث عن هذه المكتبة بالتفصيل في هذا الفصل .

دور النساء فى إنشاء المكتبات الخاصة :

لم يقتصر التعليم و إنشاء المكتبات الخاصة على الرجال ، بل شمل أيضا النساء ، و يدلنا على هذا إحصاء أجرى فى قرطبة فى فترة إزدهار الخلافة على وجود حوالى (١٩٠) إمرأة يجدن الخط الكوفى و يكتبن به المصاحف ، و من أمثلة ذلك :

* (**عائشة بنت الأمير أحمد بن قادم**) أمير قرطبة كانت تمتلك خزانة كتب كبيرة خاصة بها ، و هذا فى الوقت الذى كانت فيه المرأة الأوربية ترزح تحت نير الجهل و العبودية .

رابعا : مكتبات المدارس و المساجد (كنموذج للمكتبات التعليمية) :

لعبت مكتبات المدارس دورا هاما فى نشر العلم و الثقافة ، و كانت ملحقة بالمساجد فى الغالب ، و

تحوى المصادر و المراجع التى تفيد الأساتذة و الطلبة و بخاصة كتب العلوم الإسلامية .

فمنذ ظهور الإسلام إتخذ المسلمون من المسجد مقرا لنشر دعوتهم و مقر للتعليم و منتدى يلتقون فيه ، لهذا فمع ظهور الحضارة العربية الإسلامية و ذيوع إنتشارها بدأ إنتشار المساجد فى ربوع هذه الحضارة ، و تبعها إلحاق الغالبية العظمى من هذه المساجد بمقار للتعليم و الدراسة و نشر الدعوى ، و من أبرز المناطق التى إنتشرت فيها دور العلم الملحقة بالمساجد : القاهرة و بغداد و دمشق و قرطبة .

و تميزت بعض هذه المكتبات بغناها فى المؤلفات بفضل ما كان يهدى من كتب و من كتب ، و من بين أشهر مكتبات ذلك العصر :

١) مكتبة المدرسة النظامية فى بغداد التى أسسها الوزير (الصولجوكى نظام الملك) فى عام ٤٥٩هـ ، و كانت هذه المدرسة تدرس القرآن و الحديث و الفقه على المذاهب الأربعة ، و علم اللغة و الأدب و الجغرافيا و التاريخ و الفلك و الرياضيات .

و قد حوت هذه المكتبة على المؤلفات و المخطوطات التى بلغت عدة الآلآف من النسخ ، و عمل فيها عدد من خيرة العلماء أمثال (يحيى الشيبانى التبريزى) و (عبد القادر الواسطى) .

٢) المكتبة المستنصرية التى أسسها الخليفة المستنصر فى عام (٣٥٠) هـ ، و كانت ذات صبغة إسلامية و دولية ، و إعترفت بها الدولة رسميا للفتوى على المذاهب الإسلامية الأربعة .

هذا و قد إقتنت هذه المكتبة مجموعة قيمة من المقتنيات فى مختلف العلوم و الفنون حتى تميزت هذه المكتبة عن سائر مكتبات عصرها .

مبنى المكتبة المستنصرية :

كان مبنى المكتبة المستنصرية يعد من أجمل المباني العباسية القائمة إلى اليوم ، و قد ضمت هذه المكتبة عشرات الآلآف من الكتب فى مختلف العلوم و بخاصة الدينية و الفقهية منها ، و من أشهر المشرفين عليها (إبن الساعاتى ، و إبن الكتبى ، و إبن الفوطى ، و ياقوت المستعصى).

بالإضافة لهاتين المكتبتين السابقتين كانت هناك مكتبات كثيرة أقل أهمية منهما ، و قد وجدت هذه المكتبات فى مدارس دمشق و القدس و حلب فضلا عن مدارس مصر و الأقطار العربية الأخرى .

خامسا: المكتبات المتخصصة :

إضافة لما سبق فقد إهتم الخلفاء و الحكام بإنشاء مكتبات إلحقت بالمستشفيات وزودوها بالكتب و بخاصة الكتب الطبية لفائدة الأطباء و الطلبة .

و قد كانت هذه المكتبات أيضا أماكن للمناظرة و المناقشة و إعطاء الدروس العلمية و التعرف على آخر ما وصل إليه العلم من تقدم خاصة فى العلوم الطبية .

من أبرز الأمثلة على ذلك المكتبة الضخمة التى أنشأها (نور الشهيد) فى دمشق فى القرن السادس الهجرى و التى كانت ملحقة بالمستشفى الذى أنشـــأه فيها .

أشهر المكتبات المتخصصة فى الحضارة العربية الإسلامية :

من أشهر المكتبات المتخصصة نجد :

١) مكتبة (عضد الدولة البويهى) فى بغداد

٢) مكتبة (بيمارستان نور الدين) الشهير فى سوريا
٣) مكتبة (مركز مراغة العلمى) الذى جمع فيـــــه (نصر الدين الطوسى) قرابة (٤٠٠,٠٠٠) مخطوط

و تذكر المصادر أن مستشفى (قلاوون) بالقاهرة إحتوت على (١٠٠,٠٠٠) مجلد بمكتباتها

سادسا : المكتبات الأكاديمية و المعاهدية :

حتى القرون الخمسة الأولى فى الإسلام و حتى إقتراب إنتهاء الحضارة العربية الإسلامية كانت مكتبات المساجد تلعب دور المكتبات العامة و التعليمية فى نفس الوقت كما سبق الإشارة لذلك ، ،هذا كما حوت المساجد و دور العلم الإسلامية مجموعات ضخمة من الكتب و المخطوطات .

هذا و قد إنتشرت مكتبات المؤسسات التعليمية فى العصر العباسى ، و فُتحت للمطالعة أمام القراء و الباحثين و خصصت لها أبنية مستقلة ، أو ألحقت بالمعاهد العلمية ، و من أشهـــر هذه المكتبات نجد :

١) مكتبة بيت الحكمة ببغداد
٢) مكتبة دار الحكمة بالقاهرة
٣) مكتبة جامعة قرطبة بالأندلس

هذا و سبق الحديث عن كل منهم فى مكانه

سابعا : المكتبات العامة فى الحضارة العربية الإسلامية :

تعتبر المكتبات الملحقة بالمساجد ضمن إطار المكتبات العامة أيضا إلى جانب أنها تدخل ضمن إطار المكتبات التعليمية ، و ذلك لأن المسجد كان بمثابة ملتقى علمى و دينى و إجتماعى عند المسلمين إبان فترة الحضارة العربية الإسلامية .

هذا علاوة على وجود بعض المكتبات التى أنشئت فترة الحضارة العربية الإسلامية و لم تكن ملحقة بالمسجد رغم إتاحة الإفادة منها لكل من يريد ، من النماذج على ذلك فى الحضارة العربية الإسلامية نجد :

١) مكتبة جامع (مرو) و الذى كان موجودا فى حوالى عام (٦١٦ هـ) ، كان هذا المسجد يضم مكتبتين كبيرتين تسمى إحداهما (مكتبة العزيزية) نسبة إلى (عزيز الدين الزنجانة) الذى أوقفها لخدمة من يريد ، و كانت تضم حوالى (١٢,٠٠٠) كتاب مخطوط تقريبا ، و المكتبة الثانية كانت

تسمى (مكتبة الكمالية) ربما يرجع مسماها لمن وهبها و أنشأها لخدمة العامة أيضا .

٢) كما تذكر المصادر وجود مكتبة عامة أُنشئت فى العصر الأموى على يد (عبد الحكم بن عمرو بن صفوان الجمحى) ، حيث أقام فى منزله منتدى يشبه تثقيفى ترفيهى يشبه ما تقوم به المكتبات و دور الثقافة فى العصر الحاضر ، حيث أتاح فى منتداه لكل من يرغب فى الإفادة و الترفيه المخطوطات لمن يريد القراءة ، و ألعاب التسلية لمن يريد الترفيه .

٣) و من أشهر المكتبات العامة فى الدولة الإسلامية أيضا مكتبة (سابور بن أردشير) ، و هو وزير (بهاء الدولة البويهى) ببغداد ، و أنشأها فى عام ٣٨٢ هـ فى بغداد لكى تناظر مكتبة بيت الحكمة التى أنشأها الخليفة المأمون فى بغداد ، وهى جزء من دار العلم ، و أوقف عليها أوقافا كثيرة ، و أعطاها الهبات بلا حدود . و بلغت مجموعة كتبها أكثر من (١٠,٠٠٠) مجلدا ، أغلبها كانت مدونة بخطوط أصحابها .

و بلغ من شهرتها أن المؤلفين كانوا يسعون لإيداع نسخ من كتبهم بها و هو ما يسمى (تخليدا) فى إصطلاح ذلك الزمان .

كما رحل إلى هذه المكتبة (أبو العلا المعرى) و ذكر أمناءها فى رسالة الغفران التى دونها .

٤) كما يذكر أيضا فى هذا الصدد مكتبة (دار العلم) التى أنشاءها الخليفة (جعفر بن حمدان) بالموصل فى القرن الخامس الهجرى بهدف الدعوة و نشر المذاهب الشيعية ، وقد أوقفها منشؤها على كل طالب علم ، و لم يمنع أحدا من دخولها إذا جاءها غريب يطلب علم ، حتى ليقال أنه كان يعطى الأوراق و الأموال و الأحبار للمعسرين الذين يطلبون العلم .

٥) و هناك مكتبة أخرى كانت ملحقة بمكتبة دار العلم ، و أنشئت فى القرن الخامس الهجرى ، وكانت تهتم بنشر المذهب الشيعى ، و حرص منشئوها على أن يجلبوا لها نوادر الكتب و نفائس المخطوطات حتى قدر عدد كتبها فى إبان مجدها بثلاثة ملايين مجلد ، و هو رقم لا يخلو من مبالغة ، و لكنه يعكس ضخامة حجم هذه المكتبة التى إمتدت بها الحياة حتى أحرقها

الصليبيون عندما إحتلوا بلدة طرابلس التى كانت موجودة فى الشام أنذاك .

٦) هناك أيضا (مكتبة بنى عمار) فى طرابلس بالشام وجدت فى القرن الخامس الهجرى ، و إستمرت حتى فترة الحروب الصليبية .

إهتمت هذه المكتبة بنشر المذهب الشيعى الذى كان يعتنقه منشئوها ، لهذا كانت مجموعاتها ضخمة من حيث الكم ، كما كان هناك إهتمام بما تحويه من مقتنيات من حيث الزخرفة و التجليد .

و هذه المكتبات العامة كانت تقدم خدماتها من إعارة و إرشاد بلا مقابل ، و كان بعضها يمضى إلى ماهو أبعد من ذلك فيقدم لرواده الوافدين من غير القادرين رواتب كما سبق الإشارة لذلك .

هذا و قد ساهم فى ضخامة مجموعات هذه المكتبات خاصة فى فترات إزدهار الحضارة العربية الإسلامية أن بعض مقتنى المكتبات الخاصة كانوا يوصون بمكتباتهم لهذه المكتبات العامة بعد وفاتهم ، مثال ذلك مكتبة الصاحب عباد التى أوصى بها بعد وفأته لتضم لإحدى المكتبات العامة التى وجدت أنذاك .

يتبين من العرض السابق أن الحكم العباسى فى بغداد فى العراق و الشام ، و الحكم الفاطمى فى مصر و شمال إفريقيا ، و الحكم الأموى فى قرطبة بالأندلس قد ساهموا بدرجة كبيرة فى نهضة الحضارة العربية الإسلامية بما أنشاؤه من مكتبات ضخمة إبان فترة الحضارة العربية الإسلامية ، و أنهم قد ساهموا بدرجة كبيرة فى حفظ التراث العربى حتى وقتنا الحاضر ، و فى حماية تراث الحضارات القديمة السابقة حتى الآن .

و مما يذكر فى ذلك أن الفاطميين أرادوا جعل القاهرة عاصمتهم مركزا ثقافيا كبيرا على مستوى العالم . فحرصوا على ضم أقيم المجموعات لمساجدها و لمكتباتهم الخاصة ، كما أنشاءوا الجامع الأزهر ليكون قبلة الطلاب و العلماء و المفكرين و الذى تحول إلى جامعة الأزهر فيما بعد .

رواد المكتبات العربية الإسلامية (المستفيدون منها):

أما عن رواد هذه فكانوا من طلبة العلم أو من العلماء أو الكتاب أو الشعراء أو القضاة ، و كانت مطالعتهم تتسم بطابع البحث و الجدية ، إذ أن قلة منهم كانت تقرا للتسلية

والإمتاع فقـط ، معنى ذلـك أن منشــؤ المكتبات فى العصر العباسى هـــم الخلفاء و العلماء و الأدباء و الـــوزراء .

تنظيم المكتبات العربية و الإسلامية :

كانت المكتبات العربية و الإسلامية فى تلك العصور متعددة الخدمات متنوعة الإختصاصات حافلة بالمجلدات تمتاز بحسن التنظيم و الترتيب ، حتى لتذكر بعض المصادر التاريخية أن بعض مكتبات الحضارة العربية الإسلامية تم تصنيفها وفقا لموضوعاتها أو وفقا لمادة صنعها و شكلها .

و هذا يعكس إهتمام العاملون فى هذه المكتبات بتنظيم الكتب فى أماكنها المخصصة لها داخل الدواليب أو الأرفف ، فعرف العرب قوائم الكتب و هى عبارة عن قوائم تدون فيها المخطوطات و تكون فى شكل مجلد أو بأسماء الكتب و المؤلفين و تعلق على مدخل كل قسم أو على الجدران ، كما عرف العرب نظم تصنيف المخطوطات وفقا للغة المدون بها .

كانت الكتب ترتب فوق رفوف مفتوحة مثبتة على الجدران و داخل الغرف تبعا لموضوعاتها ، فهناك

غرفة للكتب فى اللغة العربية ، و ثانية للكتب فى الفقه و ثالثة للكتب فى الحديث ...

أما الكتب النفيسة فكانت تحفظ فى صناديق صغيرة من الجلد أو الورق يكتب عليها عنوان الكتاب و إسم مؤلفه ليتعرف عليه بسهولة ، و كانت عناوين الكتب و أسماء مؤلفيها تكتب عادة على أطراف الكتب التى توضع مستلقية على أرفف تبعا لحجمها بحيث يكون الأكبر منها فى الأسفل ، و الأصغر منها إلى أعلى بشكل مواجه للقراء و ذلك حتى يتعرفوا عليها .

هذا و لا يزال عدد من المخطوطات المحفوظة فى صناديقها الجلدية موجودة إلى اليوم فى بعض دور المخطوطات و المكتبات العربية و الأجنبية .

و من أبرز الأمثلة على ذلك أن مكتبة دار الحكمة الموجودة فى القاهرة فترة العصر الفاطمى كانت ترتب مخطوطاتها بلصق ورقة على باب كل خزانة ، و يكتب على هذا الملصق ما تحويه من كتب و مخطوطات و محتوى كل منها و موضوعه .

كما كانت تصنف قاعاتها وفقا لطبيعة و موضوع المخطوطات التى تحتويها ، فعلى سبيل المثال كانت

هناك قاعة لكتب الفقه ، و أخرى لكتب الطب ، و ثالثة لقراءة القرآن ، و رابعة لكتب النحو و اللغة .

و أيا كان الوضع فإن هذا لا يعكس سوى ماضى هذه المكتبات و يقف على مدى تطور العرب المسلمين فى هذا الصدد .

و قد إنعكس كل هذا على مستوى أداء هذه المكتبات و على مستوى ما تقدم من خدمات ، و نتحدث فيما يلى عن بعض هذه الجوانب :

أولا : المبانى :

لم يكن للمكتبات فى العصر الإسلامي أول الأمر أبنية مستقلة خاصة بها ، و إنما كانت فى الغالب ملحقة بمؤسسات مثل مكتبة (خالد بن اليزيد) ، و مكتبة بيت الحكمة ببغداد ، بينما كانت مكتبات المساجد و المدارس ملحقة بهذه المؤسسات التى كانت تخدمها .

و لكن فيما بعد أصبح لبعض المكتبات أبنية خاصة بها أنشئت أصلا لتكون مقرا للمكتبة مثل مكتبة دار الحكمة بالقاهرة الذى ضم أربعين غرفة واسعة تربط بينهما أروقة واسعة فسيحة خصص بعضها

للمطالعة ، و بعضها للمطالعة ، و بعضها الآخر للنسخ و الترجمة و الحلقات العلمية و المناظرات الأدبية .

و قد أسست هذه الغرف تأسيسا عظيما ، و فرشت أرضها بالسجاد و علقت الستائر السميكة على الأبواب و النوافذ لمنع الغبار و إتقاء البرد شتاءا ، و من حر الشمس صيفا و حماية للقراء و الكتب على حد سواء.

هذا و قد قال (المقريزى) فى بيت الحكمة أنها لم تفتح أبوابها للجماهير إلا بعد أن فُرشت و زُخرفت و علقت على جميع أبوابها و ممراتها الستائر ، و تجمع حولها الخدم و الفراشون و غيرهم ، و سمعوا بخدماتها.

دخل هذه المكتبة أحد السياح فى أثناء إزدهارها فرأى فيها قطع من الحرير الأزرق غريب الصنعة ووجد فيها صور و أقاليم الأرض و جبالها و بحارها و مدنها و أنهارها و سكانها و جميع المواطن المقدسة مدونة بأسماء جبالها و طرقها و بحارها و مدنها و أنهارها بالذهب .

و مما يذكر فى تصميم و بناء مكتبة بيت الحكمة فى بغداد وجود غرف بها مخصصة للقائمين بالترجمة

و الناسخين و قاعات مخصصة لتناول الطعام و الشراب و الراحة للقراء و العاملين ، و مما لا مبالغة فيه أيضا وجود بعض عازفى الموسيقى في هذه الغرف ليتولوا الترفيه عن العاملين و المترددين فى أوقات راحتهم .

هذا و إن دل على شيء فإنما يدل على شدة إهتمام الحكام بالمكتبة و مكانتها المرموقة عندهم فى هذا الوقت .

أما عن مبانى مكتبة دار الحكمة فى القاهرة فقد خصصت في المكتبة أيضا قاعة للمحاضرات و المناقشات و أخرى للقراءة و الإطلاع ، و آخر لقراءة القرآن الكريم ، و هى بذلك تشلبهت إلى حد كبير مع مكتبة بيت الحكمة فى بغداد ، و يبدو من ذلك أن هذا هو التصميم المتبع فى مبانى المكتبات فى هذه الفترة .

ثانيا : التزويد و الإقتناء :

تزويد المكتبات بالكتب كان يتم بعدة طرق و هى الشراء و الوقف و النسخ و الإهداء و التبادل و المصادرة و الترجمة ، و فيما يلى عرض لكل من هذه الطرق بشيء من التفصيل :

١) **الشراء :**

كان الحكام العرب ينفقون بسخاء على شراء الكتب و إقتناؤها فى المكتبات التى ينشئونها ، فمما يذكر فى هذا الصدد أن الخليفة المأمون أنفق على شراء الكتب باللغات الأجنبية من شتى الرقاع مبالغ طائلة لكى يضيفها إلى المكتبات الموجودة فى عصره مثال (بيت الكتب) .

٢) **النسخ :**

إهتم الحكام العرب بنسخ ما لديهم من مخطوطات بهدف نشرها و إتاحة الإطلاع عليها ، و إستعانوا فى ذلك بالمهرة من النساخ الذين كانوا يغدقون عليهم بالأموال الطائلة لضمان عطاءهم .

نجد من أمثال هؤلاء الناسخين (عولان الشعوبى النسابه) ، و سمى بالنسابه لأنه كان يتولى نسخ المخطوطات التى تدون أنساب العرب .

٣) **الترجمة :**

تعتبر الترجمة مصدرا رئيسيا لنقل تراث الحضارات القديمة إلى الحضارة العربية الإسلامية ،

حيث إعتمد عليها العرب فى تكوين حضارتهم خاصة فى نقل العلوم العلمية و الرياضية .

و من أبرز المترجمين المعروفين فى الحضارة العربيـــة الإسلامية (إسحق بن حنين) و (عولان النسابه) السابق ذكره .

<u>٤) مصادرة المخطوطـــات :</u>

كان الحكام العرب المسلمون إذا ما فشلوا فى شراء أى مخطوطة أو إستنساخها فإنهم يحصلون عليها عنوة من أصحابها لإيداعها فى المكتبات التى يتولون إنشاءها ، فمما يُذكر فى هذا الصدد أنهم كانوا يرسلون الغزوات الحربية لأماكن الحضارات القديمة و يصادرون ما يجدونه من مخطوطات بها و يضيفونها لمكتباتهم .

و من أبرز الأمثلة على ذلك أن الخليفة المأمون فترة العصر العباسى أرسل إلى حاكم مدينة صقلية يطلب منه أن يهبه مكتبة مدينة صقلية الموجودة أنذاك فوهبها إياه و ذلك لمعرفته إنه إذا لم يذعن له فسوف يرسل حملة عسكرية ليصادرها فى فترة من فترات إزدهار الحضارة العربية الإسلامية .

يضاف إلى ذلك أن مجموعات مكتبة بيت الحكمة فى بغداد كانت تعتمد بصورة رئيسية على ما جلبه الخليفة هارون الرشيد و المأمون أثناء حملاتهم و غزواتهم الحربية للهند و إيران و آسيا الصغرى ، إضافة لما كان يجمعه كغنائم من بلاد الشام و القسطنطنية .

الصيانة و الترميم :

عرفت الحضارة العربية الإسلامية صيانة و ترميم ما تملكه من كتب و مخطوطات ، فمما يذكر فى هذا الصدد أن مكتبة (دار الحكمة) فى القاهرة ، و التى أنشأهـــا الحاكم بأمر الله الفاطمـــى فى عـــام (٣٩٥) هـ كانت تخصص جزءا من ميزانيتها لصيانة و ترميم مقتنياتها التى تتلف من كثرة إستعمالها و تداولها .

كما يذكر أيضا أن مكتبة (بيت الحكمة) فى بغداد كانت أيضا تخصص جزءا من ميزانيتها لتجليد الكتب التى تتعرض للتلف من جراء كثرة الإستعمال و ذلك فى عهد الخليفة المأمون .

العاملون فى المكتبة :

كان يعمل فى المكتبة مجموعة من الموظفين هم :

١) يرأسهم **أمين المكتبة** أو **خازن المكتبة** كما كان يسمى فى كثير من الأحيان و يتم إختياره عادة من بين مشاهير العلماء و الأدباء لشغل هذا المنصب الرفيع .

و كان من بين أمناء المكتبة أنذاك (سهل بن هارون بن راهبون) و (سعيد بن هارون بن راهبون) و كانا فارسيا الأصل ، عملا فى بيت الحكمة فى بغداد إبان عهد الخليفة المأمون .

أما فى دار الحكمة بالقاهرة فكان يشغل منصب الأمين (على بن محمد الشيبانى) الذى عرف بالإطلاع الواسع ، و له مؤلفات كثيرة .

و بلغ دور خازن الكتب مبلغا رفيعا من العلم و الإطلاع ، حتى أن العالم المشهور (إبن مسكويه) كان خازنا بمكتبة (العميد بن الوزير) ، كما كان (الشريف المرتضى) خازنا لمكتبة (سابور بن أردشير ببغداد) .

كما كان أمين المكتبة أيضا مسئولا عن تزويد المكتبة بالكتب و الإشراف على الفهارس و حسن تنظيمها ، و كان يساعد العلماء و القراء لإيجاد ما يبحثون عنه من كتب فى المكتبة ، و فوق ذلك كان مسئولا عن حماية الكتب من التلف و الضياع .

وقد كان لبعض المكتبات أكثر من أمين مكتبة يسمى الأول الوكيل و هو المشرف الأعلى ، كما يسمى الثانى الخازن ، و يسمى الثالث المشرف .

٢) **الناسخون** ، و تتفاوت أعدادهم مع ما يطلب من كل منهم فى المكتبة ، و قد عرف هؤلاء بحسن الخط و إتقانه بمهارة و فن رفيع ، كما كانوا يقومون بعمل نسخ مما لديهم و يتولون توزيعها على المكتبات الحديثة .

٣) كما كان يعمل بالمكتبات أنذاك مجموعة من **المترجمون** الذين كانوا يعملون بجانب الناسخين فى بعض المكتبات و بخاصة فى عهد الرشيد و المأمون حيث إزدهرت عملية النقل و الترجمة إلى اللغة العربية .

و كانت المكتبات تقدم للناسخين و المترجمين أوراق الكتابة و الحبر ، فضلا عن الطعام و الشراب و المسكن .

٤) كما عمل فى المكتبات الإسلامية أيضا **المجلدون** داخل أقسام التجليد ، و قاموا بتجليد ما نسخه الناسخون من كتب ، أو ترميم الكتب التالفة من كثرة الإستعمال .

و كثيرا ما كانت الجلود الجيدة تستخدم فى هذا العمل مثل جلد الغزلان و الماعز ، لتخرج لنا أغلفة رائعة ، هذا و قد إنعكس ذلك على فن التجليد عند العرب المسلمين حتى وصل إلى درجة كبيرة من الرقى .

٥) كما كانت هناك فئة **المناولين** من بين فئة العاملين فى المكتبة ، حيث كان عمله محصورا فى إرشاد القراء نحو أماكن وجود الكتب التى يبحثون عنها ، و إعارتها للقراءة الداخلية و الخارجية .

٦) **المسئولون عن تنظيم المكتبة** :و تتولى هذه الفئة مهمة تنظيم الأثاث فى المكتبة و نقل الكتب و ما إلى ذلك من أعمال النظافة .

* تنظيم المكتبات العربية و الإسلامية فى العصور الوسطى :

كانت المكتبات تحوى سجلات و فهارس لتنظيم الكتب و تسهيل الرجوع إليها ، فضلا عن المراجع الببليوجرافية ، و هو شبيه بما تقوم به المكتبة الحديثة اليوم من مهـــام مع فارق العصر الـــذى توجد فيه .

هذا و من أشهر ما إقتنت مكتبات هذا العصر من كتب ببليوجرافيـــه (كتاب الفهرست) لإبن النديـــم الذى يعتبر شاهد على كثرة المؤلفات و المترجمات فى عهد الحضارة العربية الإسلامية .

*ميزانية المكتبات و رواتب العاملين فيها فى الحضارة العربية الإسلامية :

كانت رواتب العاملين فى المكتبات العربية الإسلامية تدفع نقدا ، كما كانت مرتفعة إذا ما قيست برواتب العاملين فى مجالات أخرى من الأعمال الإدارية ، كما كان الناسخون و الحراس و المراقبون يحصلون أيضا على رواتب لقاء عملهم فى المكتبة ، و كانت هذه الميزانية تأتى من وقف الأمراء و الحكام لهذه المكتبات .

هذا و قد حددتُ أوجه صرف الميزانية المخصصة للمكتبات فى العصر العربى الإسلامى فى النقاط التالية :

- شراء مستلزمات النسخ من حبر و أوراق و رقوق و صمغ ، شراء مستلزمات صيانة و ترميم المخطوطات ، و دفع رواتب العاملين فى المكتبة ، شراء مستلزمات فرش المكتبة من مسانـــد أرضية لازمة لجلوس المترددين فى المكتبة .

*** الإستعارة و آدابها :**

كانت كل المكتبات بأنواعها تسمح بالإطلاع الداخلى لمستفيديها ، الذى لم تكن عليه قيود من أى نوع كما كان الحال فى مكتبة دار الحكمة فى القاهرة فترة العصر الفاطمى .

كما سمحت معظمها بالإعارة الخارجية للنسخ ، و كانت هذه الإعارة تتم برهن أو بدون رهن ، و ذلك تبعا لندرة الكتاب ووفرة نسخه فى المكتبة ، فضلا عن سمعة المستعير .

و كانت هناك مدة محددة للإعارة قال عنها إبن جماعة فى كتابه (تذكرة السامع) ما يلى : " ينص

على طالب العلم أن يعتنى بتحصيل الكتب المحتاج إليها فى العلوم النافعة ما أمكنه شرائه أو إعارته لأنها ألة التحصيل ، و إذا إستعار كتابا فلا يبطىء به من غير حاجة ، و أن يشكر للمستفيد أن يصلح كتاب غيره دون أن يأخذ إذن صاحبه إلا فى القرآن الكريم، فإن كان مغلوطا أو منحوتا و جب إصلاحه ، فإن لم يكن خطه مناسبا أمر من يكتب بخط و لا يعلق عليه ولا يكتب شيء فى بياض إلا إذا رضى صاحبه ذلك ، و لا يعيره غيره و لا يودعه بغير ضرورة و لا يشرح منه بغير إذن ، إذا كان الكتاب وقفا على من ينتفع به غير معين فلا بأس بالنسخ منه مع الإحتياط ، و إذا نسخ من الكتاب أو طالعه فلا يضعه على الأرض مفروشا منشورا بل يجعله من كتابين أو شيئين أو كرسى الكتب المعروف كى لا يسرع تقطيع جمله ، و لا يطوى حاشية الورقة و زاويتها كما يفعل كثير من الجهلة ، و لا يعلم بعود أو بشيء جاف بل بورقة و نحوها ، و إذا إستعار كتابه فلابد أن يتفقده عند أخذه ورده " .

ورغم ذلك فإن بعض المترددين على المكتبة كان لا يسعى للقراءة أو الإطلاع على المخطوطات ، فقد

سعى بعضهم إلى نسخ ما يحتاجون إليه منها ، كما أن بعضهم الآخر كان يحضر بهدف التعلم من حلقات العلم التى كانت تعقد بالمكتبة أو بالمقر التابعة له .

و هكذا كانت المكتبات العربية و الإسلامية فى إتساعها و حسن تنظيمها و إتقانها و غزارة مجموعاتها و تنوع أهدافها و خدماتها ، لقد أدت خدمات بارزة فى نشر العلم و إتساع الثقافة ، و لعبت دورا قويا مؤثرا فى تقدم الحضارة العالمية .

نهايات المكتبات فى الحضارة العربية الإسلامية :

مما يذكر في هذا الصدد أن الغالبية العظمى من المكتبات التى وجدت فترة الحضارة العربية الإسلامية تلاشت و إندثرت بمرور الوقت بإنتهاء هذه الحضارة سواء بالحرق أو التقادم أو السرقة و السلب و النهب أو إغراق الكتب و المخطوطات التي كانت تعج بها هذه المكتبات فى الأنهار فى نهاية هذه الحضارة .

و من أبرز الأمثلة على ذلك نجد :

١) نهاية مكتبة بيت الحكمة أو (دار المأمون) و التى سبق الإشارة إليها سابقا فكما تذكر المصادر كانت على يد (هـــــولاكو) قائد المغـــول فى عام (٦٥٦)

هـ إبان فترة الغزو التتارى على البلاد العربية الإسلامية .

٢) يذكر أن نهاية مكتبة (سابور بن أردشير) و التى وجدت فى بغداد فى فترة حكم البويهيين فى بغداد كانت فى عام (٤٤٧) هـ عندما إحترقت فى إحدى المعارك الحربية التى قادها (طغرل السلجوقى) الذى إستولى على ما يريده منها قبل إحراقها .

٣) كانت نهاية مكتبة (دار العلم) أو مكتبة (دار الحكمة) التى أنشاءها الفاطميين فى القاهرة كما سبق الذكر نتيجة لسوء الأحوال السياسية و القلاقل التى سادت البلد فى هذه الفترة ، حيث تذكر المصادر أن بعض مقتنياتها قد تبدد ، و بعضها تم إغراقه فى النيل ، و بعضها تم حرقه أو طُمس ما بها من كتابة و إستخدمت كأحذية للعامة و العبيد .

و تذكر المصادر التاريخية أن نهاية المكتبة كان فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله ففى عهده حدثت العديد من القلاقل و الفتن نتيجة لزيادة الجدل حول العديد من الأمور الدينية و الفقهية مما دعى الخليفة سدا لباب

الخلاف بين العلماء إلى تدمير نسبة كبيرة من هذه المكتبة .

و بغزو صلاح الدين الأيوبى للدولة الفاطمية تم القضاء على كافة المكتبات التى وجدت فى هذه الفترة و مصادرة جميع مقتنياتها فى عام (٥٦٧) هـ ، و ذلك لأنها جميعها كانت تدعو للمذاهب الشيعية التى تتبناها الدولة الفاطمية .

٤) كانت نهاية مكتبة الحكم فى قرطبة بالأندلس كنهاية مكتبة دار الحكمة فى القاهرة ، فنتيجة لتردى الأوضاع السياسية و الإقتصادية فى البلاد بعد وفأة (الحكم) تدهورت الأوضاع الثقافية و العلمية ، مما أثر على حال المكتبة التى تشتت مجموعاتها و تفرقت و عرضها ذلك للسلب و النهب .

٥) كان نهاية (مكتبة بنى عمار) التى وجدت فى طرابلس بالشام على يد الصليبيين فترة الحروب الصليبية على العالم العربى الإسلامى فى عام (٥٠٢) هـ .

و بالعرض السابق يتبين لنا أن تدهور و إندثار المكتبات العربية الإسلامية إرتبط إرتباطا وثيقا بتدهور الحضارة العربية الإسلامية التى تعرضت للدمار على

أيدى الحملات العسكرية التى شنها المغول و الصليبين مما أصاب الكيان العربى الإسلامى بالضعف و التفتت فى الفترة من القرن الثانى عشر و حتى القرن الخامس عشر الميلادى و حتى الآن ن مما أتاح افرصة لظهور حضارة أخرى سيلى الحديث عنها فى الفصل القادم بإذن الله .

أثر الثقافة العربية والحضارة العربية الإسلامية على الغرب :

تأثرت الثقافة العربية الإسلامية بالحضارات و الثقافات التى سبقتها كالحضارة الفرعونية و الصينية و الرومانية و اليونانية و نقلت عنها و ترجمت تراثها و أفادت منه فى بناء حضارتها التى سرعان ما بدأت تتلاشى ليحل محلها الحضارة الأوربية الحديثة .

هذا و قد نقلت الحضارة الأوربية الحديثة فى نهضتها المعاصرة من الحضارة العربية و ترجمت تراثها، و من بواكير المحاولات الأولى لملوك أوروبا فى فترة إزدهار الحضارة العربية الإسلامية نجد :

١) كان لأحد حكام أوروبا (فردريك الثانى) علاقات قوية بالعالم الإسلامى ، حتى أنه أمر بترجمة

كثيرا من الآداب العربية و نقلها لبلاده لتكوين مكتبة خاصة به .

٢) هناك أيضا (لويس التاسع) حاكم فرنسا و الى سمع عن حاكم عربى يقوم بدأب بجمع جميع ما تصل إليه يده من كتب فطلب منه نسخها على نفقته الخاصة ووضعها فى مكتبته الخاصة لكى يطلع عليها كل من يريد .

٣) كما لا ينسى أثر المكتبات الأسبانية التى وجدت فى الحضارة العربية الإسلامية على مكتبات أوروبا فى العصور الوسطى الأوربية ، فقد لعبت دورا هاما فى كونها حلقة وصل بين الحضارات اليونانية و الرومانية و الفرعونية و الصينية و بين النهرين و أوروبا .

و بذلك يتبين لنا دور العرب المسلمون فى نقل تراث الحضارات السابقة إليهم ، ثم حفاظهم على هذا التراث إلى أن تم نقله إلى أوروبا لتقوم عليه حضارتهم الحالية .

و بحق كانت المكتبات فى هذه الفترة من عمر الزمان بمثابة مرآة تعكس صورة الحضارة العربية الإسلامية و شموخها أنذاك .

قائمة المصادر و المراجع التى إعتمد عليها الفصل :

١. أحمد على تاج . الكتابة ، الكتب، المكتبات : مدخل تاريخي . د.م : د.ن ، ٢٠٠١م.

٢. ألفرد هيسيل ؛ تعريب شعبان خليفة. تاريخ المكتبات .القاهرة : المكتبة الأكاديمية ، ١٩٩٣ م .

٣. حامد الشافعي دياب . محاضرات شفهية على طلاب المرحلة الجامعية الأولى . جامعة طنطا ، كلية الآداب ، قسم المكتبات .

٤. سيد حسب الله ، محمد جلال غندور .تاريخ الكتب و المكتبات عبر الحضارات الإنسانية .الرياض : دار المريخ ،١٩٩٦م .

٥. عبد الستار الحلوجي . لمحات من تاريخ الكتب و المكتبات .[القاهرة] دار الثقافة للنشر و التوزيع ، ١٩٨٨ .

الفصل السادس

المكتبات فى العصور الحديثة

بينما كانت أوروبا تعيش ظلمات العصور الوسطى ، و بينما كان العرب يعيشون أوج إزدهار حضارتهم ، بدأت أوروبا بخطى عثرة تتطلع لحضارة العرب و ما ألفوه و نقلوه من حضارات الأمم السابقة فى الأندلس ، و بدأت بعض المحاولات البطيئة لتعلم هذا الإنتاج المؤلف و المنقول بدأت بمحاولات قليلة لتعلم اللغة العربية .

بدأ بعض الأساقفة هذه المحاولات ، ففا تذكره المصادر أن أسقف مدينة طليطلة فى القرن الثانى عشر الميلادى مدرسة صغيرة للترجمة و نقل كل ما أفرزته الحضارة العربية من مؤلفات و أعمال منقولة من تراث الحضارات السابقة إلى اللغة اللاتينية .

ترتب على المحاولات الأولى لهذا الأسقف أن تم نقل و ترجمة المؤلفات العربية و المؤلفات بالغات الحضارات السابقة إلى اللغة اللاتينية ، فتُرجمت الكتب فى شتى المجالات لمختلف المؤافين كإبن سيناء و الكندى و الفارابى و إبن رشد ... و فى مختلف المجالات كالفلسفة و الطب و الرياضيات و الكيمياء ....، حتى ليقال أنه فى نهاية القرنين الثانى عشر و

الثالث عشر الميلاديين زاد عدد الكتب المترجمة عن (٣٠٠) كتاب مترجم إلى اللغة اللاتينية .

و مع نهاية القرن الثالث عشر الميلادى و بداية نشاط المسيحية و ظهور طوائف متعددة لها و بداية ظهور و إنتشار الحركات التبشيرية لها و الطوائف المتعددة كطائفة الفرنسيسكان و الدومينكان و محاولاتهم الإنتشار فى إرجاء أوروبا ، بدأت تظهر المكتبات التابعة لهم خاصة فى المدن الكبرى كإكسفورد و باريس ، لدرجة أن بعض هذه المكتبات كانت تعد قوائم ببليوجرافية بمقتنياتها .

و على ذلك فإن رجال الدين المسيحى هم أول من حمل على عاتقه مسئولية هذه الفترة الإنتقالية من عمر أوروبا ، حتى ليقال أن أحدهم قد أوصى بمكتبته الضخمة كهبة لمكتبة الرهبان بمدينة أكسفورد ، و التى أصبحت فيما بعد نواة لمكتبة جامعة أكسفورد .

و بداية من انقرن الرابع عشر الميلادى بدأ ظهور المؤسسات التعليمية فى أوروبا ، و بدأت معها محاولات فصل المكتبات عن الكنائس و تركيز العمليات العلمية و الفكرية فى هذه المؤسسات .

و على ذلك فقد بدأ ظهور النواة الأولى للجامعات التى ظهرت فى أماكن متعددة كفيينا فى سويسرا و كمبردج و إكسفورد فى إنجلترا .

و بظهور الجامعات فى أوروبا و بداية فصل الدين عن التعليم بدأ إستقلال هذه المؤسسات التعليمية ، و بدأ الإهتمام بالعلوم الدنيوية على إختلافها كالفلسفة و الطب و المنطق و الرياضيات ... .

و ترتب على ذلك نشاط عمليات إنتاج و بيع الكتب التى يحتاجها راغبى العلم داخل هذه المؤسسات التعليمية .

من أبرز شخصيات هذه الفترة الذين أثروا فى الحياة الثقافية فى هذه الفترة الإنتقالية لأوروبا كانا :

١) (ريتشارد دى بيرو) رجل الدين الإنجليزى.

٢) (بترارك) الشاعر الإيطالى .

اللذين إهتما بإقتناء الكتب و سافرا لجمعها من كل حدب و صوب و ألفا العديد منها و حثا على إقتناءها و العناية بها و الحرص عليها .

و بنهاية القرن الرابع عشر الميلادى بدأ إنتشار تداول الكتب و المخطوطات فى أوروبا بين مختلف

الطبقات خاصة الطبقة الوسطى كثيرة العدد ، و إنتشر الورق الذى ساعد على إزدهار **عمليات النسخ** و إنتشارها .

مع بداية قدوم القرن الخامس عشر الميلادى بلغت حركة الإهتمام فى أوروبا قمة إزدهارها ، و بإنتصاف هذا القرن بدأ ظهور الطباعة **بالحروف** المتحركة فى أوروبا ، و كان ذلك إيذانا **بعهد** جديد على أوروبا .

نشأة الطباعة بالحروف المتحركة :

يؤرخ للمكتبات فى العصر الحديث **ببداية ظهور و نشأة الطباعة بالحروف المتحركة** و التى بدأ ظهورها من منتصف القرن الخامس عشر الميلادى .

و قد تم **إختراع الطباعة** بالحروف المتحركة التى تجمع معا لتجميع الكلمات و تضم **ليطبع** بها ثم **تفك و تغسل** لتستخدم من جديد ، و ذلك بعد أن كانت الطباعة بالألواح فى كل من الصين و اليابان هى المستخدمة حتى النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادى .

هذا و تنسب الطباعة بالحروف المتحركة إلـــى **يوحنا جوتنبرج** الألمانى الجنسية و الذى كان يعمل فى مسبك للذهب و إستقى من ظروف عمله فكرة إنصهار المعادن .

و تعد التوراة ذات الإثنين و الأربعين سطرا هى **أول كتاب تمت طباعته** بالمطبعة الجديدة فى أوروبا ، كـــان ذلـــك فـــى عام (١٤٥٥) م.

أما عن إنتشار الطباعة ، فقد ظلـــت الطباعـــة محصورة فى ألمانيا حتى عام (١٤٦٥ م) ، و نقلهـــا الألمان لدول أوروبا و خاصة إيطاليا التى تعتبـــر مـــن أول الدول الأوربية التـــى عرفـــت مطبعـــة يوحنـــا جوتنبر ج .

هذا و قد تلتها فرنسا التى تعتبـــر ثـــانى دولـــة أوربية ، حيث دخلتها فى عـــام (١٤٧٠) م ، عنـــدما وجه أمين مكتبة السربون الدعوة لثلاث طباعين ألمـــان لإنشاء مطبعة جوتنبر ج فى الجامعـــة لوضـــع و طبـــع الكتب الدراسية باللغة اللاتينية .

ثم بعد ذلك إنتشرت لباقى دول أوروبا خاصة فى القرنيين السابع و الثامن عشر الميلاديين .

أول **طابع ألمانى الجنسية كان يوحنا جوتنبرج** ، أما **أول طابع غير ألمانى الجنسية فكان إيطالى الأصل و يدعى (جونسون)** ، و تعلم فن الطباعة فى ألمانيا ، أما أول أعماله فكانت طبع الإنجيل باللغة الإيطالية فى عام (١٤٧٠) م ، حيث تخصص فى طبع الكتب السماوية و كتب آباء الكنيسة و مؤلفات التراث اليونانى و الرومانى القديم .

ملحوظات هامة عن فترة ظهور الطباعة بالحروف المتحركة فى أوروبا :

١) تميز النصف الثانى من القرن الخامس عشر بأن أوائل الطباعين كانوا من الألمان ، كما أن أوائل المطبوعات كانت نصوص دينية باللغة اللاتينية ، و الناشر كان هو الطابع و بائع الكتب .

٢) الناشر لم يكن يستخدم أى ترقيم للأوراق ، بل كانت تستخدم (التعقيبات) ، و هى الكلمة الأولى من أول كل ورقة تالية ، و كانت تُكتب فى ذيل الورقة التى تسبقها لتساعد على ترتيب أوراق الكتاب .

٣) بيانات النشر (إسم الناشر و تاريخ النشر) كانت تذكر فى نهاية الكتاب المطبوع و ليس فى أوله كما

هو الحال الآن ، و ذلك تقليدا للمخطوطات فى ذلــك الوقت .

٤) أتاحت الطباعة الوقت و الفرصة لتجارة الكتــب أن تنشط و للثقافة أن تصل إلى كل مكان علـــى وجــه الأرض .

٥) بدأ ظهور مبانى خاصة بالمكتبات تتبــع الجامعـــات الموجودة أنذاك فى هذه الفترة ، و ذلك بعد أن كانت هذه المكتبات محاولات بدائية تابعة لدور العبــادة و الكنائس ثم موجودة داخل الجامعات دون إســتقلالية فى المكان ، بحيث خصصت لهـــا أمـــاكن تســمح بالإطلاع داخلها .

تخريب و دمار المكتبات التى ظهرت فى أوروبا فى هذه الفترة :

مع نهاية القرن الخامس عشر الميلادى و بدايـــة ظهـــور القـــرن الســـادس عشـــر المـــيلادى ظهـــر (مارتن لوثر) بحركاته الإصلاحية و بما حملـــه مـــن دعوة للمذهب البروتستانتى .

فكان ذلك هو بداية ظهور الفتن فى أوروبا فى هذه الفترة ، حيث حدث الصراع ما بين المذهب البروتستانتى و المذهب الكاثوليكى .

و نتج عن ذلك أن تعرضت المكتبات التابعة للكنائس فى هذه الفترة للتخريب و التدمير فى كل من إنجلترا و فرنسا و ألمانيا فى الفترة من (١٥٢٥ م – ١٥٩٨ م) .

نتج ذلك عن ظهور الحروب الأهلية بين الناس و وجود بعض الحكام المستبدين الذين لا يدركون قيمة الكتب .

دفع ذلك رجال هؤلاء لحرق الموجود منها و خاصة الكتب الدينية فى محاولة للقضاء على الفتن التى ظهرت فى البلاد فى هذه الفترة من امثال (هنرى الثامن ملك إنجلترا) .

نتج عن كل ذلك تدمير عدد كبير من المكتبات الموجودة فى هذه الفترة ، و القضاء على عدد ضخم من الكتب الدينية الموجودة .

تذكر المصادر أن مكتبة جامعة إكسفورد التى وجدت أنذاك تم تدميرها بالكامل و ظلت هكذا إلى أن

تم إحياءها فى عهد الملكـــة إليزابيث فى عــــــام (١٦٠٢ م) .

دفعت هذه الفتن و هذه الحركات التدميرية بعض مقتنى الكتب و محبيها إلى إخفاء ما عندهم منها .

ظلت محاولات الإهتمام بالمكتبات فـــى أوروبـــا طيلة هذه الفترة تتم فى الخفاء كما سبق الإشارة لذلك و حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادى .

مع ظهور القرن السابع عشر الميلادى عـــاودت أوروبا الإهتمام بالكتب و المكتبات مرة أخرى خاصـــة بين طبقة النبلاء فى فرنسا .

أبرز من أثروا فى تطور حال المكتبات فى أوروبا :

١) يعد (**جبرائيل نوديه**) الإنجليزى الأصل صـــاحب إسهامات لا تنكر فى هذا المجال .

فقد وضع فى عـــام (١٦٤٢ م) الأســس الأولى لعلم تنظيم المكتبات فى أوروبا و الذى يقوم عليه علم تنظيم المكتبات حتى وقتنا الحاضر .

كما طالب بضرورة تنظيم الكتـــب و صـــفها ليسهل الوصول إليها موضوعى ، ثم تصف الكتب تحت كل موضوع وفقا لموضوعات أخرى أدق .

و إقترح وضع الكتب القديمة الموجودة بالمكتبة بصورة منفصلة عن تلك حديثة الورود للمكتبة ليسهل الفصل بينهم .

كما إقترح وجود أداة منظمة للتعريف بالكتب الموجودة بالمكتبة و تعتبر هى البدايات الأولى للفهارس الموضوعية و فهارس المؤلفين الموجودة حاليا .

أما فى مجال ترشيد وجوه الإنفاق فى المكتبات فقد طالب بترشيد الأموال المنفقة فى التجليد الفاخر للكتب و توجيه هذه النفقات إلى شراء المزيد منها .

ولم ينسى جبرائيل نوديه فى ذلك أن يشير لأهمية وجود المكتبة فى موقع مناسب بعيدا عن مصادر الضوضاء و المعيشة .

٢) كما يعد (<u>جون ديورى</u>) الإنجليزى و أمين المكتبة الملكية أيضا من ضمن المساهمين فى النهضة المكتبية فى أوروبا ، فيعد أول من إقترح وجود مكتبة وطنية فى بريطانيا فى عام (١٦٥٠م) .

٣) كما ظهر <u>مليفل ديوى</u> الذى يعود إليه الفضل فى وضع أول خطة للتصنيف تعتمد على الرمز فى عهده ، فبفضله ظهرت الطبعة الأولى من خطة

التصنيف المعروفة بإسمه حتى اليوم في عام (١٨٧٦م) .

بدأ ملفل ديوى حياته كمساعد مكتبى ، و يعد من مؤسسى جمعية المكتبات الأمريكية ، كما يعد من أوائل من أسس مكتبة خاصة بتدريس علم المكتبات و تأهيل العاملين فى هذا المجال .

تعد خطة التصنيف التى وضعها ملفل ديوى من أشهر خطط التصنيف المعروفة و المستخدمة حتى الآن .

٤) كما يعد **توماس جيفرسون** صاحب فضل كبير على المكتبات فى الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد كان أول أمين لمكتبة الكونجرس الأمريكية منذ بداية نشأتها فى عام (١٨٠٠م) و حتى نهاية رحلة حياته الطويلة التى إستمرت (ثلاث و ثمانون) عاما .

لم يقتصر دور توماس جيفرسون على كونه مجرد أمين لمكتبة الكونجرس منذ نشأتها و حتى وفاته ، بل لقد لعب دورا هاما فى إعادة بناءها و تأثيثها عندما تعرضت لحريق هائل أتى عليها .

ففى عام (١٨١٤ م) عندما تعرضت المكتبة لحريق عرض التبرع بمكتبته الخاصة لتكون نواة لإعادة إنشاء مكتبة الكونجرس مرة أخرى ، و تم شراء مكتبته الخاصة بالفعل لتصبح نواة لإنشاءها مرة أخرى فى عام (١٨١٥م).

و بذلك يعد توماس جيفرسون من ذوى الفضل على المكتبات فى العالم الجديد (الولايات المتحدة الأمريكية حاليا) ، و على المكتبات العامة و مكتبة الكونجرس بصفة خاصة .

٥) و يضاف لهؤلاء (أندرو كارنيجى) و هو أحد رجال الأعمال و الصناعة فى أمريكا ، و قد ساهم بدرجة كبيرة فى تمويل المكتبات العامة على الأرض الجديدة أمريكا ، و مول بمفرده (١٧٠٠) مكتبة عامة خلال ثمانى و عشرون عاما فى الولايات المتحدة الأمريكية .

كما ساهم أيضا فى تأسيس و تمويل المكتبات العامة فى خارج الولايات المتحدة الأمريكية ، فيذكر أنه مول (٨٠٠) مكتبة عامة فى مختلف البلدان الأوربية التى تتحدث اللغة الإنجليزية .

٦) هناك أيضا (**جون جاكوب أستور**) أحد أثرياء مدينة نيويورك ، حيث تبرع فى عام (١٨٤٨ م) بمبلغ (٤٠٠,٠٠٠) دولارا أمريكيا لإنشاء مكتبة عامة فى مدينة نيويورك .

٧) كما أوصى رجل الأعمال (**صمويل تيلدن**) بجزء من ثروته لإنشاء مكتبة عامة فى مدينة نيويورك أيضا .

٨) أيضا من ضمن من أثروا تاريخ المكتبات فى الولايات المتحدة الأمريكية بتبرعاتهم و هباتهم الخاصة لصالح بناء المكتبات على أرض العالم الجديد نجد أفراد من أمثال : (**أنكريزا ماذر**) و (**وليام بيرد**) و (**بيتر فورس**) و (**جيمس بينزو**) ، و هناك أيضا مؤسسات من أبرزها مؤسسة (**لينوكس**) .

٩) هناك أيضا (**القس بغنون**) و كان ألمانى الأصل و أول من وضع قواعد لإستخدام المكتبات العامة فـــى بداية نشأتها .

فقد كانت فى بدايتها تضع القواعد التـــى تحكـــم إفادة الجمهور منها و التى كانت تعيق إطلاعه على مـــا بها بسهولة .

من العراقيل التى كانت معروفة أنـــذاك عـــدم السماح بإرتياد المكتبات إلا فـــى أوقـــات معينـــة مـــن الإسبوع ، و ألا يقل عمر المترددين عليها عن إحدى و عشرين عاما ، مع عدم السماح بالإعارة الخارجيـــة و قصر الإفادة على الإطلاع الداخلى فقط .

١٠) هناك أيضا (جان موجيرو) أمين المكتبة الأهلية فى باريس و الذى لعب دورا كبيرا فى نموها و تزويدها بكم كبير من المخطوطات القيمة و النادرة من الأديرة المحيطة بها لسابق عمله فيها .

١١) كما يوجد (فان برات) الفرنسى الأصل الذى تولى إدارة المكتبة الأهلية فى باريس ، و قام بتزويدها بمجموعة كبيرة من الكتب قام بتجميعها من المخازن الأوربية للبلدان المجاورة .

١٢) قام المهندس (**هنرى لا بروست**) فى عام (١٨٦٠م) بتصميم قاعة المطالعة الخاصة بالمكتبة الأهلية فى باريس .

١٣) هناك أيضا (**أنطونيو بانتيزى**) ، و هو إيطالى الأصل و كان يعمل مديراً لمكتبة المتحف البريطانى ، و يعد من مديريها اللامعين ، و إليه يعود فضل إدخال العديد من التطويرات على مبنى مكتبة المتحف البريطانى و خدماتها .

حيث أقام مكتبة للمراجع و أنشأ العديد من المخازن حولها ، و أقام العديد من الأرفف المتحركة التى يسهل تحريكها ، و المنخفضة التى يسهل الوصول إليها فى منتصف القــرن التاسع عشر الميلادى .

١٤) يضــــاف لهؤلاء الناشر (هان) و هو من (هانوفر) ، و قد ساهم بدور كبير فى تاثيث دار الكتب الألمانية حينما تبرع للبرلمان الألمانى بمكتبته الخاصة كاملة فى عام (١٨٤٨م) .

١٥) و هناك أيضا السيدة (كريستينــــــــا) التى تعود أصولها للسويد ، و لهذه السيـــــدة أثر كبير على المكتبات فى روما فقد ضمت إليهـــــا

محموعات مكتبتها الخاصة .
كانت هذه السيدة إمرأة مثقفة فى مجتمعها إهتمت بجمع الكتب و المخطوطات إقتداءًا بأبيها الذى كانت له نفس الهواية ، و حملت معها كل ما لديها من كتب و مخطوطات فى أثناء إنتقالها من السويد إلى روما .

تاريخ الكتابة فى أوروبا :

يعتبر العصر الحديث هو أخصب فترات تاريخ أوروبا الثقافى و الحضارى ، فهو عصر التنوير الذى تقدمت فيه العلوم .

فيه نشأت المنظمات العلمية و إجتهد المفكرون فى إيجاد تفسيرات منطقية لظواهر الحياة و الطبيعة ، كما تأسست فيها الأكاديميات العلمية و قامت نهضة فى مجال الكتب و المكتبات فى هذه الفترة .

فيعود إنشاء الغالبية العظمى من المكتبات فى أوروبا إلى القرنين السابع و الثامن عشر الميلاديين (الفترة من ١٦٠٠ – ١٧٠٠ م) .

هذا و الغالبية العظمى من المكتبات فى هذه الفترة نشأت إعتمادا علي مكتبات أخرى كانت موجودة بالفعل و لكنها كانت تابعة لملوك و حكام أو رهبان و

قساوسة تم الإستيلاء عليها عنوة فى إحدى ـعار اـ
السياسية أو تنازلوا عنها طواعية ، و تعتبر هى مجر ـ
إمتداد أو إزدهار لهـــا فقط .

و فيما يلى عرض لبعض البدايات الأولى للمكتبات التى شهدت بداية النهضة الأوربية الحديثة فى هذ المجال بداية من القرن السادس عشر الميلادى :

أولا فى فرنسا :

قامت **فى فرنسـا** مكتبات رائعــــة تألقت و إز ـ هرت منها :

١) **مكتبة المؤرخ الفرنسى (جاك دى تو)** :_كانت تضم (٩٠٠٠) كتاب مخطوط .

٢) **مكتبة (رويال)** : تعد من أهم المكتبات فى فرنسا بعد أن حصلت على رعاية و عناية الملوك لويس الرابع عشر و الخامس عشر و السادس عشر ، فمنذ عام (١٧٣٢) م كانت تفتح أبوابها أمام القراء .

٣) **مكتبة الدوق لويس دى لافالبير :** كان الدوق يعيش فى القرن الثامن عشر الميلادى و كان يمتلك مكتبة ضخمة حتى لتذكر المصادر أن بيع هذه المكتبة بعد وفاته إستمر أحد و ثمانيين يوما .

٤) يذكر أن **نابليون بونابرت** كان يصحب معه فى حروبه و تنقلاته مكتبة ضخمة تزيد عن (٣٠٠٠) مجلد ، كما كان يجمع ما يعثر عليه من كتب فى أثناء هده الحملات و يصحبها معه إلى فرنسا بعد ذلك لتودع فى مكتبة باريس الأهلية التى تم إنشاءها فى القرن الثامن عشر الميلادى .

ثانيا : فى بريطانيا :

هذا و الحال **فى بريطانيا** لم يكن مثله فى فرنسا . فقد ظلت المكتبات متخلفة بعض الشىء عن فرنسا و خاصة المكتبات الوطنية .

حيث وجه الحكام إهتماماتهم نحو مكتبات المناطق المركزية و مكتبة المتحف البريطانى ، و هى نوع خاص من المكتبات حل محل المكتبة الوطنية . كما قامت فى بريطانيا النوادى المكتبية (Library Clubs) ، و من أمثلة مكتبات هذه الفترة نجد :

١) **مكتبة البودليان** بأكسفورد : وكانت تضم (٢٠٠٠) كتاب فى بداية نشأتها فى بدايات القرن

السابع عشر الهجرى ، ثم وصلت إلى (٣٦,٠٠٠) بعد ذلك منهم (٦٠٠٠) مخطوط .

٢) **مكتبة كمبردج :** لم يكن بها سوى (١٠٠٠) كتاب مطبوع و (٤٠٠) مخطوط ، ثم وصلت مجموعاتها فيما بعد إلى (١٤,٠٠٠) كتاب في عام (١٧١٠ م) .

٣) **مكتبة الأسقف (مور)** : كانت تضم أكثر من (٣٠,٠٠٠) كتاب مطبوع و (١٧٩٠) كتاب مخطوط .

٤) **مكتبة السير (هانز سلون)** : كانت تضم (٤٠,٠٠٠) كتاب مطبوع و (٣٥١٦) كتاب مخطوط .

٥) **مكتبة (روبرت و إدوارد هارلى)** : كانت تضم (٨٥,٠٠٠) كتاب مطبوع و (٧٦٣٩) كتاب مخطوط .

ثالثا : فى إيطاليا :

أما **فى إيطاليا** إتجهت الأنظار إلى مدينة فلورنسا التى ظهرت فيها أفكار المكتبى المشهور

(أنطونيوما جبليابيشى) و الذى كان لأفكاره تأثير هام على تطوير المكتبات الإيطالية .

و قد إستمر التوسع فى بناء المكتبات الإيطالية حتى أصبح بها الآن (١٤) مكتبة دولة .

رابعا : فى المانيا :

أما **فى ألمانيا** فقد لعبت الجامعات دورا هاما فى نشر العلم و الثقافة و خاصة فى جامعة (جوتنجن) و فيها لمع عدد من الأساتذة العلماء البارزين أمثال الفيلسوف (كنت) .

هذا و قد أخذت مكتبات الجامعات على عاتقها مهمة تطوير المكتبات و خاصة فى مجال إنشاء و تطوير الفهارس .

كما لعبت جمعيات القراء دورا هاما فى نشر الثقافة ، و كانت بعض هذه الجمعيات تعتنى بالعلوم الطبيعية و التطبيقية ، مما ساعد على إنشاء المكتبات المتخصصة .

و بداية من أوائل القرن التاسع عشر بدأت أوروبا تنهض من غفوتها بفضل نشاط المكتبات و إنتشار الحركات التعليمية و الثقافية .

ففى هذه الفترة ظهرت خطط التصنيف المختلفة و بدأ ظهور علم الببليوجرافيا و عقد المؤتمرات التى تناقش قضايا المكتبات و الكتب .

كما بدأ ظهور الأنواع المختلفة للمكتبات بشكل أوضح ، و بدأ إستخدام التقنيات الحديثة فى مجال المكتبات فظهرت المصغرات الفيلمية و ماكينات التصوير و الإستنساخ ، كما ظهرت أنماط جديدة من الخدمات ، إلى أن أنهى الحاسب الآلى و ظهوره مؤخرا كل ذلك بما أحدثه من ثورة فى مجال المكتبات .

و فى الفقرات التالية عرض تاريخى مختصر لأهم المكتبات التى ظهرت خلال فترة النهضة الأوربية و مازالت موجودة فى بعض دولها حتى الآن ، و التى تعود بتاريخها كإمتداد لوجود قديم لها فى غالب الأحيان ، مع الإشارة لتجربة المصرية فى هذا الصدد :

أولا فى فرنسا :

يعتبر قيام الثورة الفرنسية فترة تحول و إصلاحات هامة إنعكست بدورها على المجتمع بشكل قوى حيث قامت الثورة بالأتى :

١) فقد أممت الثورة الفرنسية ممتلكات المكتبات و جعلتها ممتلكات وطنية .

٢) كما أنشأت لجان المكتبات ، و كان من بين مهامها حصر المخطوطات النادرة و إيداعها المكتبات الكبرى ، و مالم تستطع الحصول عليه عن طريق هذه اللجان حصلت عليه بواسطة تجـــار المخطوطات .

٣) نهبت حروب نابليون العديد من المكتبات الوربية ، و خاصة المكتبات البروسية (ألمانيا) ، و الإيطالية فى صالح المكتبات الفرنسية .

٤) فى نوفمبر من عام (١٧٨٩) م أممت الثورة الفرنسية أملاك الكنيسة و بالتالى محتويات مكتباتها ، ثم إتسع هذا التأميم ليشمل مكتبات النبلاء ، و قد أخذت كتب كثيرة ووزعت على مكتبات المدن ، بينما أرسلت الكتب الهامة إلى المكتبة الوطنية فى باريس ، و بذلك فقد أُنشئت المكتبات العامة فى فرنسا بعد تأميم المكتبات الخاصة المملوكة للأفراد و جعلها تدخل فى الملكية العامة للشعب .

و من أبرز المكتبات فى فرنسا :

أولا : المكتبة الوطنية فى باريس :

نشأتها :

تعد هذه المكتبة أقدم مكتبة وطنية فى العالم ، و يُطلق عليها أيضا المكتبة الأهلية إذ تعود بذورها إلى عام (١٣٨٦ م) فى عهد الملك شارل الخامس ، ثم أُعيد إنشاءها ثانية عام (١٥١٨ م) فى عهد الملك فرانسوا الأول تحت إسـم مكتبـة (رويال) .

إتاحتها للجمهور :

فتحت هذه المكتبة أبوابها للجمهور بداية من عام (١٦٩٢ م) مرتين فى الإسبوع ، ثم بعد قيام الثورة الفرنسية فى عام (١٧٨٩ م) إستولت الثورة عليها و حولتها لمكتبة عامة و سميت منذ ذلك التاريخ بالمكتبة الوطنية الفرنسية ، و أصبحت تفتح أبوابها للجمهور طيلة أيام الإسبوع .

التزويد فى المكتبة الوطنية بباريس :

وبذلك و بموجب قرار الثورة أصبحت مكتبة رويال مكتبة وطنية تحت إسم المكتبة الوطنية ، و مع هذا القرار بدأ رصيدها ينمو نموا كبيرا من خلال سياسة المركزية التى إتبعتها الحكومة الفرنسية ، إضافة

إلى المجموعات التى أحضرها نابليون معه من مكتبات هولندا و ألمانيا و أسبانيا و إيطاليا و على وجه الخصوص من مكتبات الأديرة .

كما إعتمدت المكتبة أيضا على الشراء للمخطوطات النادرة و الكتب الثمينة و ذلك فى عهد (فان رايت) الذى كان أمينا لها .

و فى عام (١٨٠٥ م) بدات المكتبة تتبادل ما تحتاج إليه من كتب و مخطوطات مع النسخ المكررة الموجودة لدى المكتبات الأخرى .

<u>حجم المقتنيات فى المكتبة الوطنية فى باريس :</u>

إستمر نمو هذه حتى وصل عدد مجموعاتها عام (١٨٣٠ م) إلى (٤٦٠,٠٠٠) مجلد مطبوع ، و (٨٠,٠٠٠) مجلد مخطوط .

كما إستمرت مجموعات هذه المكتبة فى النمو بالرغم من تعثرها أثناء الحربين العالميتين الأولـــــى و الثانية ، حتى وصـــل عدد المواد المكتبيـــــة فيها من كتـــــب و غيرها فى عام (١٩٧٥ م) إلـــى أكثـــر من (٢٠,٠٠٠,٠٠٠) مادة بينها

(٨,٠٠٠,٠٠٠) مخطـوط ، و (٥٠٠,٠٠٠) دوريـــــة .

الأقسام الرئيسية التى تضمها المكتبة :

تضم المكتبة ثمانية أقسام رئيسية هى :

١) **قسم الإيداع و الببليوجرافية الوطنية :**

يهتم هذا القسم بالإيداع القانونى و إستلام النسخ الخاصة بالمكتبة من كتب و رسائل جامعية و خرائط و إسطوانات و صور و أطالس و غيرها من المواد التى حددها قانون الإيداع ، كما ينشر هذا القسم نشرة إسبوعية بكل ما يصدر فى فرنسا من مواد ثقافية مرتبة وفق تنظيم ديوى العشرى .

٢) **قسم الكتب المطبوعة :**

يهتم هذا القسم بالكتب المطبوعة ، و يحتوى على ما يزيد عن (١٠,٠٠٠,٠٠٠) مجلد .

٣) **قسم الدوريات :**

تأسس هذا القسم فى عام (١٩٤٥ م) بعد فصله عن قسم المطبوعـــــات ، و يضم اليوم أكـــــثر من (٥٠٠,٠٠٠) عنوان .

٤) **قسم المخطوطات :**

و هو من أقدم أقسام المكتبة ، إذ تأســس فى عام (١٧٢١ م) ، و يحتوى اليوم على أكثر من (١٠٠,٠٠٠) مخطوطة .

٥) **قسم النقود و الميداليات :**

يرجع تاريخ هذا القسم إلى القرن السادس عشر الميلادى ، و يضم مجموعات رائعة من النقود القديمة و الميداليات الفضية و الذهبية و التحف الذهبية ، و يحتوى على أكثر من (٤٠٠,٠٠٠) قطعة نقدية و ميدالية من أنحاء العالم .

٦) **قسم الخرائط :**

قسم مجموعة ضخمة من الأطالس و الرسوم التى تقدر بأكثر من (٨٠٠,٠٠٠) خريطـــــة ، و (٢٠٠٠) أطلس ، و (٤٠٠٠) مجلة جغرافية .

٧) **المكتبة الموسيقية :**

و تضم روائع المؤلفات الموسيقية و تقدر بأكثر من (٤٤,٠٠٠) قطعة موسيقية .

٨) **قسم التصوير :**

و يتولى عمليات الطبع و الإستنساخ .

٩) قسم التجليد و الصيانة :

و يتولى عمليات التجليد و صيانة المخطوطات و الصور و الرسوم و غيرها من المواد التى تحتويها المكتبة .

من المكتبات الأخرى الموجودة فى فرنسا :

مكتبات جامعة باريس ، و هى عبارة عن مجموعة من المكتبات الجامعية الفرنسية تضم مكتبة جامعة السربون و مكتبة أورساى و مكتبة كلية الحقوق و مكتبة كلية الطب و مكتبة كلية الصيدلة و مكتبة سان جنيف و مكتبة التوثيق الدولى المعاصر و المكتبة الجامعية المركزية و مكتبات الجامعات الموجودة فى أقاليـــم فرنسا .

و تغطى هذه المكتبات كافة الموضوعات و المجالات فى شتى قطاعات المعرفة من دين و قانون و سياسة و طب ...

ثانيا : المكتبات فى بريطانيا :

لعل أشهر و أكبر المكتبات فى بريطانيا هى مكتبة المتحف البريطانى .

نشأة مكتبة المتحف البريطانى :

تأسست هذه المكتبة فى عام (١٧٥٤ م) بقرار من البرلمان البريطانى ، ثم فتحت أبوابها للجمهور فيما بعد في عام (١٧٦٠م) ، و أصبحت تعرف بإسم المكتبة الوطنية البريطانية .

النواة الأولى لمجموعات المكتبة :

تعد مكتبة السير (هانز سلون) هى النواة الأولى لهذه المكتبة ، هذا و تحتوى مكتبة المتحف البريطانى على المجموعات الخاصة للعديد من الأشخاص ، و هذا ما يفسر قيمة مجموعاتها .

هذا و تحتوى هذه المكتبة على مجموعات المكتبة الخاصة لكل من مجموعة مكتبة هارليام القانونية ، و مجموعة سير روبرت بروس كوتون من العملات المعدنية الأثرية ، إضافة لما جمعته الإمبراطورية البريطانية من المناطق التى دخلتها ، و عدد (٦٠,٠٠٠) مجلد أهداها لها الملك جورج الرابع و غيره من الملوك و الأمراء و هواة جمع الكتب و المخطوطات .

التزويد و الإقتناء فى مكتبة المتحف البريطانى :

نظرا لأنهذه هى المكتبة الوطنية فى لندن العاصمة البريطانية ، فإنها تعد المكتبة الأولى فيها ، لهذا فإنها **تحرص على إقتناء نسخة من كل مطبوع يصدر فى بريطانيا و فقا لقانون الإيداع** الذى سيلى الحديث عنه .

كما أخذت المكتبة تستقبل المجموعات النادرة من الكتب و المخطوطات من أنحـــــاء دول العالم و من مصادر الإهداء السابق الإشارة إليها .

أعطى ذلك لهذه المكتبة شهرة واسعة ، و ساعدها فى ذلك قوة بريطانيا العظمى خلال القرن الثامن عشر و التاسع عشر الميلادى .

الدمار الذى لحق بالمكتبة خلال تاريخها :

تعرضت المكتبة للقصف فى خلال الحرب العالمية الثانية ، و أحرق بسببها أكثر من (٢٠٠,٠٠٠) مجلدا ، علما بأن مخطوطاتها و كتبها النادرة كانت قد نقلت إلى أماكـــن آمنة خوفا من الحريق .

كما ظلت المكتبة مفتوحة أمام القراء فى خلال سنوات الحرب ، أما بعد إنتهاء الحرب فقد أُعيد ترميم الأجزاء المحطمة من البناء و بخاصة مخازن الكتب التى إنتهى ترميمها فى عام (١٩٥٤ م) و قسم الجرائد الذى إنتهى ترميمه فى عام (١٩٥٧ م) .

مجموعة مقتنيات المكتبة :

أخذت المكتبة على عاتقها مهمة إصدار الببليوجرافية الوطنية B.N.B. (British National Bibliography) ، كما كانت مجموعات المكتبة نفسها فى عام (١٩٥٠م) تقارب (٦٠٠٠,٠٠٠) مجلد و (٥٥,٠٠٠) مخطوط ، و (٢٤٠٠) ورقة بردى ، بالإضافة إلى قسم الشرقيات الذى يحتوى على (١٣٠,٠٠٠) مجلد و (١٧,٠٠٠) مخطوط .

كما تحتوى المكتبة على مجموعة نادرة من كتب مكتبة الأسكندرية ، و أيضا على مجموعات هامة من القطع الموسيقية و الإسطوانات و الأشرطة المسجلة و الخرائط و المصورات الجغرافية و النقود القديمة و التحف و غيرها .

تصميم مبنى مكتبة المتحف البريطانى :

تشتهر المكتبة بقاعة مطالعتها الدائرية ذات القيمة العالية التى شُيدت فى عام (١٨٥٧ م) و التى تتسع للمئات من القراء و المطالعين .

كما وُضعت الكتب و المخطوطات فيها فوق رفوف دائرية متحركة تحيط بالقاعة ، كما أنها كانت منخفضة فى إرتفاعها بحيث يمكن الوصول إليها دون الحاجة لسلالم .

هذا و أُلحق بالمكتبة مجموعة من المخازن حتى تُستخدم كمخازن لحفظ الكتب و المخطوطات ، و وُفرت لها عناصر الحماية و الأمان .

الأقسام الإدارية لمكتبة المتحف البريطانى :

يوجد فى المكتبة أقسام خاصة بالأعمال الفنية و الإعارة و خدمة المراجع ، كما يوجد فيها عدد من الأقسام الهامة الأخرى مثل :

- قسم الخرائط و المصورات الجغرافية .
- قسم المطبوعات الحكومية
- قسم المخطوطات
- قسم الدراسات الشرقية

- قسم الصور و اللوحات و الرسوم
- المكتبة الموسيقية
- قسم الصحف
- قسم التصوير
- المكتبة العلمية و التكنولوجية

و هى قسم أُنشىء فى المكتبة فى عام (١٩٦٠ م) ، و يعد من أفضل الأقسام المرجعية فى المجالات العلمية و التكنولوجية فى العالم ، و يضم هذا القسم أكثر من (١٠٠٠,٠٠٠) مجلد متخصص فى العلوم و التكنولوجيا .

حجم المقتنيات فى مكتبة المتحف البريطانى :

تحتوى مكتبة المتحف البريطانى اليوم على ما يزيد عن (١٠,٠٠٠,٠٠٠) مجلد و (٣٠,٠٠٠) مخطوطة من العالم العربى .

نماذج لمكتبات أخرى موجودة فى بريطانيا :

توجد مجموعة أخرى من المكتبات فى بريطانيا مثل المكتبة الوطنية المركزية فى لندن ، و المكتبة الوطنية لأيرلندا ، و المكتبة الوطنية لويلز ، و المكتبة الوطنية لأستكلندا ، هذا بالإضافة للمكتبات الجامعية و العامة .

و من أبرز هذه النماذج شهرة مكتبة جامعة أكسفورد :

تعد مكتبة جامعة أكسفورد هى أول مكتبة جامعية فى بريطانيا تم تدميرها عدة مرات خلال فترات الحروب و القلاقل السياسية ، ثم أُعيد تاسيسها مرة أخرى بجهود ذاتية و إعتمادا على تبرعات الأشخاص و أعيد إفتتاحها فى عام (١٦٠٢ م) .

تبلغ مجموعة مقتنيات هذه المكتبة أكثر من (٥٠,٠٠٠) مخطوط ، إضافة لمقتنياتها من القطع الأثرية و اللوحات الفنية لكبار الفنانين...

ثالثا : المكتبات فى أمريكا الشمالية :

من أبرز المكتبات فى أمريكا الشمالية **مكتبة الكونجـــرس** (Library of Congress) .

نشأتها و تاريخها :

تعد هذه المكتبة عند بداية نشأتها بمثابة مكتبة خاصة بأعضاء الكونجرس الأمريكى ، ثم بعد ذلك أُتيحت للجمهور ، و تطورت فيما بعد فأصبحت بمثابة المكتبة الوطنية و التشريعية لأمريكا .

تأسست هذه المكتبة فى عام (١٨٠٠ م) بقرار من الكونجرس الأمريكى ، لهذا أخذت إسمه ، و تبناها

توماس جيفرسون الذى كانت جميع عمليات التزويد فيها تتم بناء على مقترحاته ، كما كان نموها بطيئا طوال القرن الأول لإنشاءها .

هذا و قد إحترقت هذه المكتبة كلية فى عام (١٨١٤ م) حين غزا الجيش البريطانى أمريكا حيث قام الجنود البريطانيون بإحراقها و أتت النيران على معظم محتوياتها ، ثم أعيد تكوينها و بناءها من جديد بقرار من الكونجرس الأمريكى على يد (توماس جيفرسون) الذى أهداها مكتبته الخاصة كنواة جديدة لإنشاءها و تعويضا عن إحتراق مجموعاتها أثناء الغزو.

و ما لبثت هذه المكتبة أن أُبتليت بحريقين متعاقبين الأول فى عام (١٨٢٥ م) ، و الثانى فى عـــام (١٨٥١ م) و لكنه كان حريق غير متعمد ، حيث دمر جزء كبير من مقتنياتها ، و لكنها صمدت و شقت طريقها ثانية حتى بلغت عند إنتقالها فى عام (١٨٩٧ م.) إلى مبناها الجديد (٨٠٠,٠٠٠) مجلد ، و (٢٠٠,٠٠٠) نشرة ، و سيلى الحديث عن ذلك فى فقرات قادمة .

ميزانية مكتبة الكونجرس :

كانت أول ميزانية خُصصت لمكتبة الكونجرس (٥٠٠٠) دولارا أمريكيا فى العام ، و بعد الحريق الثانى الذى تعرضت له رصدت لها ميزانية تقدر بحوالى (٧٥,٠٠٠) دولارا .

إدارة مكتبة الكونجرس :

إسندت إدارة المكتبة فى عام (١٨٩٩ م) إلى (هربرت بوتنام) أمين مكتبة بوسطن العامة ، و يعد هو صاحب الفضل الكبير فى تنظيمها و زيادة رصيدها من المقتنيات .

مجموعة المقتنيات فى مكتبة الكونجرس :

بلغت مجموعة المقتنيات فى مكتبة الكونجرس فى عـــام (١٩٣٩ م) حوالى (٦,٠٠٠,٠٠٠) مجلد ، و فى عام (١٩٥٢ م) وصل هذا الرصيد إلى (٩,٠٠٠,٠٠٠) مجلد .

هذا و قد تطلب الأمر إلى الحاجة لمبانى جديدة للمكتبة ، لهذا تم بناء ملحق إضافى لها يتسع للقراء و الموظفين و العمليات و الخدمات المكتبية التى تقدمها المكتبة .

هذا و قد بلغت جملة المجموعات فى مكتبة الكونجرس عند بدء إنشاءها فى القرن التاسع عشر الميلادى ما يزيد أكثر من (١,٠٠٠,٠٠٠) مجلد و مخطوط .

و فى بداية القرن العشرين تبع مكتبة الكونجرس أكثر من مائة مكتبة عامة فرعية موزعة على ولاياتها المختلفة ، و تمتلك الواحدة منها ما يزيد عن (١,٠٠٠,٠٠٠) مجلد .

كما تقتنى المكتبة الآن ما يزيد عن (١٠٠,٠٠٠,٠٠٠) مليون مجلد فى شتى فروع المعرفة البشرية .

أهمية مكتبة الكونجرس :

تكمن أهمية مكتبة الكونجرس فى كونها مركزا للثقافة و المعارف و العلوم نظرا للكم الهائل مما تقتنيه من مجموعات فى شتى المجالات ، فرغم كونها مجرد مكتبة إلا أنها تعتبر بمثابة جامعة فى شتى المجالات .

مجموعات مكتبة الكونجرس :

تُعد مجموعات مكتبة الكونجرس (Library of Congress) أضخم المجموعات فى العالم من حيث عدد الكتب و الدوريات و المطبوعات الأخرى ، إلى جانب الأوعية المكتبية كالأفلام و الأسطوانات و أوراق الميكروفيلم و بطاقات الميكروفيش و الخرائط و الرسوم ، و القطع الموسيقية و المخطوطات التى نمت بدرجة كبيرة .

هذا و تركز المكتبة على المجموعات الأمريكية بصفة خاصة ، كما تغطى المجموعات المنشورة على مستوى العالم أجمع و بكل اللغات خاصة اللغات الشرقية .

و المجموعات فى المكتبة تمثل كافة أشكال الوعية ، فهى ما بين مطبوعة على إختلاف أنواعها ، و مخطوطات ووثائق و مواد سمعية و بصرية ، و أوعية مستحدثة .

تدمير مكتبة الكونجرس قديما :

تعرضت مكتبة الكونجرس منذ نشأتها و عبر تاريخها الطويل و عمرها الزمنى المعروف منذ عام (١٨٠٠) م إلى حريقين هائلين أتيا على الغالبية العظمى من محتوياتها و هما :

١) الأول كان بعد أربع عشرة عاما من نشأتها فى عام (١٨٠٠ م) ، حيث تعرضت فى عام (١٨١٤ م) و أثناء حرب الإستقلال الأمريكية ، تعرضت المكتبة لحريق هائل متعمد من قبل القوات الإنجليزية أتى على كل مقتنياتها ، و لم يفكر فى إعادة إنشاءها مرة أخرى إلا بعد إنتهاء الحرب بينهما فى عام (١٨١٥م) .

٢) كما تعرضت المكتبة مرة أخرى لحريق هائل و لكنه لم يكن متعمد هذه المرة فى عام (١٨٥١م) قضى على أكثر من نصف مقتنياتها ، حتى لتذكر المصادر أنه قضى على الغالبية العظمى من مقتنياتها و لم يتبقى منها سوى أقل من (٢٠,٠٠٠) مجلد .

ميزانية مكتبة الكونجرس :

بعد الحريق الهائل الذى تعرضت له و قضى على مجموعاته فى أثنا الغزو البريطانى لأمريكا فى عام (١٨٤١م) بدأ تأسيسها من جديد بميزانية تقدر بحوالى (٥,٠٠٠) دولاراً أمريكياً .

بعد ذلك و بعد إعادة إفتتاحها فى عام (١٨١٥م) بدأ تخصيص ميزانية سنوية لها فى العام تقدر بحوالى (٥,٠٠٠) دورا سنويا .

و بعد الحريق الهائل الآخر الذى تعرضت له فى عام (١٨٥١ م) و عند إعادة إنشاءها مرة أخرى خصصت لها ميزانية سنوية تقدر بحوالى (٧٥,٠٠٠) دولارا .

العمليات الفنية فى مكتبة الكونجرس :

تتبع مكتبة الكونجرس نظام تصنيف خاص بها و هو نظام تصنيف مكتبة الكونجرس ، و تتبع نظام فهرسة محسب تتيحه للمكتبات خارج و داخل الولايات المتحدة الأمريكية ، و تعتبر هذه المكتبة الآن من أضخم المكتبات على مستوى العالم ، و تستحق أن تكون بجدارة مكتبة عالمية .

التنظيم الإدارى لمكتبة الكونجرس :

تضم المكتبة ثمانى عشرة قسما موزعا على مبنيين ضخمين متجاورين ، و هذه الأقسام هى :

١) **إدارة الإيداع :**

يتولى هذا القسم إستلام نسخ الإيداع التى تدخل المكتبة ، لأن مكتبة الكونجرس بمثابة المكتبة القومية لأمريكا ، و يطبق فيها نظام الإيداع القانونى منذ عام (١٨٧٠ م) .

٢) **المكتبة القانونية :**

مجموعاتها هى من أقدم مجموعات المكتبة على وجه الإطلاق ، إذ وُجدت المجموعات القانونية فيها منذ تأسيسها .

٣) **قسم الخدمات الفنية :**

يشمل هذا القسم شُعب التزويد و التصنيف و الفهرسة و الببليوجرافيا الوطنية ، و يضم هذا القسم أكبر عدد من موظفى المكتبة .

٤) و من الأقسام الأخرى الموجودة بمكتبة الكونجرس ما يلى :

- قسم المراجع
- قسم خدمات المعوقين
- قسم الخرائط و الجغرافيا
- قسم المخطوطات
- قسم الإعارة
- قسم الموسيقى
- قسم المجموعات الشرقية
- قسم التصوير و الإستنساخ
- قسم الكتب النادرة
- قسم العلوم و التكنولوجيا
- قسم الدوريات
- قسم اللغات السلوفاكية و أواسط أوروبا
- قسم المخازن و القراء
- قسم أمريكا اللاتينية
- مكتب مدير المكتبة و معاونيه (الهيئة الإدارية للمكتبة)

هذا و ينبغى ألا نغفل **وجود مؤسسة للأسبانية** تم إنشاءها فى عام (١٩٢٧ م) بتبرع من أحد الأشخاص ، و فى عام (١٩٢٨ م) تم تعيين مستشار فى الأدب الأسبانى ، ثم أُنشئت غرفة مستقلة فى المكتبة لقراءة اللغة الأسبانية ، و بعد سنوات قليلة إنضمت هذه المؤسسة للمكتبة .

الخدمات التى تتيحها المكتبة :

تتيح المكتبة لجمهور مستفيديها جميع الخدمات حديثا ، أما فيما مضى و فى نشأتها الأولى فإنها كانت تتيح الفهرس الموحد لها للجمهور ، كما كانت تتيح خدمة الإستنساخ و التصوير حديثا بعد ظهور تقنية ماكينات التصوير ، إضافة لما تعده من ببليوجرافيات فى شتى الموضوعات و المناسبات .

التزويد فى مكتبة الكونجرس :

تعتمد مكتبة الكونجرس على الإيداع الذى يكفل لها الحصول على نسختين من كل مطبوع ينشر فى داخل الولايات المتحدة الأمريكية بموجب قانون الإيداع الذى بدأ يطبق لديها بداية من عام (١٨٧٠ م) .

ثم تعمل لمكتبه على الشراء حسب ... ممثلون و كاتب فى جميع انحاء العالم مهمتهم حصول على او شراء جميع المطبوعات التى تناسب المكتبه و بجميع اللغات

و تعتمد ايضا المكتبه على التبادل و الاهداء و الاستهداء حتى ليقال ان نواة المجموعة الموسيقيه التى تملكها كان عبارة عن هبة من مؤسسات و أفراد

و من الجدير بالذكر أن المكتبة كانت تعرض شراء المكتبات الخاصة من أصحابها باى مقابل فى سبيل تعويض مجموعات المكتبة التى تم تدميرها فى الحريقين اللذين تعرضت لهما المكتبة ، و على وجه الخصوص المكتبات الخاصة ذات القيمة العلمية و الثقافية الكبيرة .

<u>نماذج لمكتبات أخرى فى أمريكا :</u>

هذا و يوجد عدد آخر من المكتبات الضخمة فى الولايات المتحدة الأمريكية مثل :

١) المكتبة القومية الطبية ، و أنشئت فى عام ١٨٣٦م خاصة بالجيش الأمريكى ، هذا و قد تعدل إسمها عدة مرات حتى إستقر الأمر على مسمى المكتبة القومية

الطبية فى عام ١٩٥٦م ، تقدم هذه المكتبة العديد من الخدمات الطبية على مستوى العالم للباحثين فى المجالات الطبية و للأطباء على مستوى العالم .

٢) مكتبة نيويورك العامة ، تعد من أكبر المكتبات العامة على مستوى العالم ، و أُنشئت فى عـــام ١٨٤٨م بإهداء مالىٍ لإنشاءها من أحد أثرياء مدينة نيويورك ، وتبلغ مجموعاتها أكثر من (١٠,٠٠٠,٠٠٠) كتاب .

هذا و قد إعتمدت المكتبة خلال رحلة إنشاءها و نموها على هبات و عطايا العديد من رجال المال و الأعمال ، و تعد من أكبر المكتبات العامة على مستوى العالم ، حتى أنها تشرف الآن على العديد من المكتبات الأخرى على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية تكاد تصل إلى أكثر من (٢٠٠) مكتبة .

٣) مكتبة هنتنجتون فى كاليفورنيا

٤) مكتبة جامعة هارفارد و تزيد مجموعاتها عن (٧,٠٠٠;,٠٠٠) مجلد ، و عمرها أكثر من (٣٣٠) عاما ، و تعتبر هى أول مكتبة جامعية أنشئت فى الولايات المتحدة الأمريكية ، و يعود تاريخ إنشاءها

إلى عام ١٦٣٨م ، و تنسب بمسماها إلى رجل الدين (جون هارفارد) الذى أهداها (٤٠٠) كتاب و مبلغ كبير من المال .

٥) مكتبة جامعة ييل و تزيد مجموعاتها عن (٧,٠٠٠,٠٠٠) مجلد .

٦) مكتبات جامعات وسط غرب أمريكا ، هى مكتبات حديثة النشأة لحد كبير و مجموعاتها لا تزيد عـــن المليون .

٧) مكتبة فيلادلفيـــا التعاونية ، و هى تعتبر أول مكتبة عامة تعاونية للإعارة ، تم إنشاءها فى عام (١٧٣١ م) .

و تعتمد فكرة هذه المكتبة على أن يدفع المساهمون فى تكوين هذه المكتبة بدفع إشتراكات يعتمد عليها فى شراء الكتب التى تُعار لمن يطلبها بالمجان .

ملحوظة :

يتضح من العرض السابق لتاريخ المكتبات فى الولايات المتحدة الأمريكية أنه:

١) بالرغم من حداثة تاريخ أمريكا إلا أن إهتمامها بإنشاء المكتبات على أراضيها و مبالغتها فى هذا الإهتمام إنما يعكس إيمانا راسخا لدى حكامها على مدار التاريخ بأهمية المكتبة و حيوية دورها فى تطور و رقى الشعوب .

٢) يعود إهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بالمكتبات لمجموعة المهاجرين الإنجليز إليها فى عام (١٦٠٧م) ، فقد بدأت محاولاتهم الأولى بإنشاء مجموعات خاصة من الكتب و المخطوطات على سبيل كونها مكتبات خاصة بهم .

٣) بدأت حركة إنشاء المكتبات فى العالم الحديث (أمريكا) و بدأت تنهض رويدا رويدا ، حتى أنه يؤرخ لتاريخ المكتبات الجامعية فى أمريكا بتاريخ إنشاء مكتبة جامعة هارفارد فى عام (١٦٣٨ م) .

٤) يؤرخ لتاريخ المكتبات العامة فى أمريكا بتاريخ إنشاء مكتبة الإعارة فى عام (١٧٣١م) . و هذه

المكتبة تم تأسيسها عن طريق إشتراك مجموعة من الأفراد (أى بمساهمات أهلية من الأفراد) ، و تم شراء مجموعة كتب للمكتبة ، بحيث يسمح لأى منهم بالإعارة الخارجية المجانية من هذه الكتب .

٥) يعود تاريخ إزدهار العديد من المكتبات المدرسية و المتخصصة و نهضتها إلى القرن الثامن عشر الميلادى حيث تضاعف إهتمام الحكومة بالمكتبات منذ ذلك التاريخ .

٦) بعد هذا التاريخ بدأ إنشاء المكتبات فى أمريكا الأرض الجديدة الواحدة تلو الأخرى ، و قد رصدت الحكومة الأمريكية لهذه المكتبات مبالغ طائلة ، كما أولتها رعايتها و إهتمامها و جهودها إيمانا منها بدور هذه المكتبات فى نهضتها و بناء حضارتها .

٧) بدأت أمريكا الأرض الجديدة هذه النهضة المكتبية على أراضيها بداية من القرن الثامن عشر الميلادى ، و إستمرت هذه النهضة حتى بلغت أوجها فى القرن التاسع عشر الميلادى بنشأة مكتبة الكونجرس العامة السابق الإشارة إليها ، و العديد من المكتبات الأخرى .

رابعا المكتبات فى ألمانيا :

نمت المكتبات و إزدهرت قبل الحرب العالمية الثانية و خاصة المكتبات العامة التى كانت تعرف بمكتبات البلدية ، ثم نكبتها الحرب بعد ذلك ، و من النماذج على هذه المكتبات نجد :

١) دار الكتب الألمانية ، أُقترح إنشاءها فى عام (١٨٤٨ م) ، و بالفعل بدأت الجهود بتجميع الإنتاج الفكرى لها من كل حدب و صوب خاصة الصادر منه باللغة الألمانية ، كما كان الإتفاق أن يتم إنشاءها فى عام (١٩١٣م) ، و بالفعل تم إنشاءها و تقديمها للجمهور فى عام (١٩١٦ م) .

مسميات المكتبة الوطنية فى ألمانيا :

أطلقت عدة مسميات على هذه المكتبة منذ بداية نشأتها و حتى الآن ، من هذه المسميات : مكتبة مقاطعة بروسيا ، المكتبة الوطنية لألمانيا الشرقية .

أهداف دار الكتب الألمانية :

كان الهدف من إنشاء دار الكتب الألمانية تجميع الإنتاج الفكرى الصادر باللغة الألمانية و حفظه و تيسير

الإفاده منه سواء عن طريق تقديم خدمات الإعاره الخارجية أو الإطلاع الداخلى أو الخدمات المرجعية ...

حجم مقتنيات المكتبة :

في الفترة التى أطلق عليها فيها مكتبة ولاية بروسيا فى برلين كانت تحتوى على (٣,٠٠٠,٠٠٠) مجلدا وحدها ، على حين إحتوت كل المكتبات الأخرى فى مدينة برلين مجتمعة على (٨,٠٠٠,٠٠٠) مجلد .

٢) إشتملت مكتبة ولاية بافاريا فى مدينة ميونخ على أكثر من (٢,٠٠٠,٠٠٠) مجلد .

٣) بعد ضم ألمانيا للنمسا ضُمت لألمانيا مكتبة فيينا القومية و مكتبة جامعة فيينا و خمس مكتبات أخرى تحتوى على أكثر من نصف مليون مجلد .

مشكلة الإقتناء فى دار الكتب الألمانية (المكتبة الوطنية الألمانية) منذ نشأتها :

على الرغم من التفكير فى إنشاء المكتبات الألمانية منذ فترة مبكرة إلا أنها بدأت فى تقديم خدماتها كمكتبات عامة فى فترة متأخرة (١٩١٦م) كما سبق الإشارة لذلك بسبب مشاكل الإيداع القانونى

للمطبوعات بها و تزويدها بالمقتنيـــات اللازمة لإفتتاحها .

طرق التزويد فى المكتبة الوطنية الألمانية:

إعتمدت المكتبة الوطنية الألمانية منذ بداية نشاتها على الهدايا و الهبات التى كانت تحصل عليها من الناشرين و الأفراد مثال (هان) .

خامسا : المكتبات فىَ إيطاليا :

١) **المكتبة القومية المركزية فى فلورنسا** ، و تزيد مجموعاتها على (٣,٠٠٠,٠٠٠) مجلد .

٢) **مكتبة فيكتور إيمانويل الثانى القومية المركزية فى روما** ، و هى تركز على جمع الكتب الأجنبية و تنشر قوائم ببليوجرافية بها .

٣) **مكتبة الفاتيكان** ، وقد قامت هذه المكتبة فى أساسها على المكتبات الخاصة للأفراد من البابوات منذ العصور الوسطى ، ووجدت فى مدينة روما .

كما بدأ الإهتمام الفعلى بمجموعاتها و مقتنياتها بداية من القرن التاسع عشر الميلادى ، و أتيحت للقراءة و عامة الناس بداية من عام (١٨٨٨م) بعد أن كانت حكرا على رجال الدين و الكنيسة فقط ،

حتى أصبحت من أهم المكتبات العامة الموجودة فى إيطاليا على وجه الإطلاق .

أهمية مكتبة الفاتيكان :

لهذه المكتبة قيمة كبيرة فى البحث و الدراسة و ذلك لما تحتويه من مجموعات قيمة ذات قيمة علمية و تاريخية عالية ، حيث تحتوى المكتبة على مجموعة من المخطوطات ذات قيمة تاريخية تعود لعصور و أزمان تاريخية ماضية .

كما أنها ألحقت بها مدرسة لتعليم و تخريج أمناء المكتبات الذين يعملون فيها ضمانا لزيادة كفاءتهم .

المجموعات الموجودة فى مكتبة الفاتيكان بروما :

تعود عظمة و ضخامة مجموعات مكتبة الفاتيكان إلى أنها تضم مقتنيات عدة مكتبات أخرى إضافة لمجموعاتها الأصلية ، فقد ضمت إليها محموعات مكتبة كريستينا السويدية الأصل ، و هى كانت إمرأة متقفة فى مجتمعها اهتمت بجمع الكتب و المخطوطات إقتداءا بأبيها الذى كانت له نفس الهواية ، و حملت معها كل ما لديها من كتب و مخطوطات فى أثناء إنتقالها من السويد إلى روما .

كما ضمت أيضا لمكتبة الفاتيكان مجموعات مكتبة أوربينو التى أسسها فردريك ، و مكتبة البلاتين حيث أهداها حاكم بافاريا إلى البابا فى عام (١٦٢٣ م) لأسباب سياسية .

تنظيم المجموعات فى مكتبة الفاتيكان بروما :

تتبع مكتبة الفاتيكان العامة بروما نظاما للتصنيف و الفهرسة يشبه المطبق فى مكتبة الكونجرس الأمريكية ، و يعود ذلك إلى إرسال مجموعة من العاملين فى مكتبة الفاتيكان العامة إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتعلم علم المكتبات بها .

من المكتبات الإيطالية الأخرى :

هناك أيضا **مكتبة الملك فيتوريف إمانويل الثانى الوطنية المركزية** ، و قد أنشئت فى روما فى عام (١٨٧٥ م) ، و تحتوى على أكثر من (٢,٠٠٠,٠٠٠) مجلد .

كما توجد هناك أيضا **المكتبة الوطنية بفلورنسا** و التى أنشئت فى عام (١٧٢٧م) و تحتوى على (٤,٠٠٠,٠٠٠) مجلد .

و **مكتبة أمبروزيان** التى أُنشئت فى ميلانو فى عام (١٦٠٩م) و تضم عددا كبيرا من المقتنيات مع التركيز على المجموعات الدينية .

سادسا : المكتبات فى روسيا :

١) توجد مكتبة لينجراد العامة و هى تعد أقدم مكتبة قومية عامة ، و تأتى أهميتها من إستيلاء الحكومة على المكتبات الخاصة المملوكة للأفراد و إضافتها للمكتبة العامة ، و تتبادل المكتبة الخدمات مع مكتبة الفاتيكان و مكتبة الكونجرس .

نشأة مكتبة لينجراد فى روسيا :

أُنشئت هذه المكتبة فى عام (١٧٠٠ م) ، ثم غير إسمها إلى (المكتبة الملكية) فى عـــام (١٨٦٢ م) ، ثم فى عام (١٩١٧م) تحولت إلى (المكتبة الوطنية) فى عقاب الثورة البلشفية و التغيرات السياسية التى طرأت فى البلاد ، و بعد ذلك تحول مسماها إلى (مكتبـة لينين) فى عـــام (١٩٢٤ م) ، و يطلق عليها أيضا (مكتبة لينجراد العامة) .

مجموعات مكتبة لينين الوطنية :

شُيد لهذه المكتبة مبنى جديد نُقلت إليه فى عام (١٩٣٠م) ، حيث تضخمت مجموعاتها بحجم تطلب ضرورة نقلها إلى مكان أوسع خاصة بعدما صادرت روسيا مجموعات المكتبات الكبرى التى تم الإستيلاء عليها فى أعقاب الثورة الروسية بما فيها المكتبة الملكية و ضمتها إليها .

و مما يذكر فى هذا الصدد أنه بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية كانت تحتوى على أكثر من (١٤,٠٠٠,٠٠٠) مجلد مطبوع فقط ، أما الكتب المخطوطة و المطبوعات النادرة فإن أعدادها تزيد عن (٤٦,٠٠٠) مخطوط .

أما الآن فإن حجم مقتنياتها يزيد عن (٣٠,٠٠٠,٠٠٠) كتاب مطبوع ، و أكثر من (٢,٥٠٠,٠٠٠) مخطوط ، وتعتبر هذه المكتبة من أكبر و أضخم المكتبات على مستوى العالم .

٢) مكتبة أكاديمية العلوم بلننجراد : أُنشئت فى عام (١٧١٤ م) ، و هى تعد من أقدم المكتبات الأكاديمية فى روسيا .

سابعا : المكتبات فى سويسرا :

المكتبة القومية السويسرية فى بيرن ، و إنشئت فى عام (١٨٩٥م) ، و تقتنى أكثر من (١,٠٠٠,٠٠٠) مجلد ، و تم تحديث المكتبة و الإهتمام بها حتى أنها إنتقلت إلى المبنى الذى توجد فيه حاليا فى عام (١٩٣١م) ، و يودع فى هذه المكتبة نسخ من كل الإنتاج الفكرى المنشور فى سويسرا مجانا و دون حصول الناشرين أو المؤلفين على مقابل .

ثامنا : المكتبات فى أسبانيا :

١) تعد المكتبة الوطنية فى مدريد من أهم المكتبات الأسبانية ، و قد أُنشئت فى عام ١٧١٢م ، و تقتنى المكتبة الوطنية فى أسبانيا مجموعة ضخمة من المقتنيات فى شتى فروع المعرفة البشرية ، و قد ضم إلى مجموعات المكتبة المركز القومى الببليوجرافى الأسبانى .

٢) هناك أيضا مكتبة جامعة مدريد .

تاسعا : المكتبات فى البرتغال :

١) أنشئت المكتبة الوطنية فى البرتغال فى عام (١٧٩٦م) فى مدينة لشبونة ، و تحتوى على مجموعة ضخمة من المقتنيات التى تركز بصفة أساسية على الإنتاج الفكرى البرتغالى .

٢) هناك أيضا مكتبة **جامعة كوامبرا** ، و قد أنشئت فى عام (١٥٩١م) ، و تعتبر هى ثانى مكتبة فى البرتغال من حيث حجم مقتنياتها بعد المكتبة الوطنية فى لشبونة .

٣) **المكتبة الملكية :** و تحتوى هذه المكتبة على مجموعة ضخمة من المقتنيات القيمة ذات القيمة التاريخية .

عاشرا : المكتبات فى أمريكا الجنوبية :

١) تعد المكتبة الوطنية فى الأرجنتين من أبرز و أكبر المكتبات فى أمريكا الجنوبية فى العصر الحديث ، هذا و قد أنشئت هذه المكتبة فى عام (١٨١٠م) فى خلال القرن التاسع عشر الميلادى .

٢) هناك أيضا المكتبة الوطنية البرازيلية و التى أُنشئت أيضا فى عام (١٨١٠ م) أيضا و تضم مقتنياتها

كتب و مخطوطات نادرة تعود للعصور الأولى حينما أتى الغزاة و معهم كتبهم من أماكن مختلفـــة من العالم .

إحدى عشر : المكتبات فى مصر :

تُعد دار الكتب و الوثائق القومية من أبرز المكتبات التى وُجدت فى مصر فى العصر الحديث ، و فيما يلى بعض المعلومات عنها :

١) **النشأة و التطور :**

كان إنشاءها وليد إهتمام على باشا مبارك ، ثم إنتقل هذا الإهتمام إلى إسماعيل خديوى مصر فأصدر أوامره لعلى باشا مبارك فى شهر مارس من عام (١٨٧٠م) بجمع المخطوطات النفيسة و الموقوفة على المساجد و الأخرجة ليتكون من هذا الشتات نواة مكتبة عامة يؤمها شتى أفراد الشعب .

٢) **مكان مجموعاتها :**

شغلت هذه المجموعات طابقا من ثرايا مصطفى فاضل بدرب الجماميز ، ثم إنتقلت فى عام (١٩٠٤ م) إلى المبنى القائم بميدان أحمد ماهر ، أما الآن فتشغل المبنى المُطل على كورنيش النيل .

تقتنى المكتبة مجموعات قيمة منها مجموعات المكتبات الخاصة لكل من : محمد على و خليل أغا و أحمد طلعت و أحمد زكى و أحمد تيمور ، هذا فضلا عن مجموعات المخطوطات النفيسة و البرديات العربية و التحف و المصاحف الرائعة التذهيب و العمارة الإسلامية .

٣) <u>المسميات المختلفة لدار الكتب المصرية</u> :

سميت دار الكتب منذ نشأتها بعدة مسميات مختلفة و هى :

- الكتب خانة الخديوية المصرية فى عام ١٨٧٠م
- دار الكتب الخديويه فى عام ١٩٠٠م
- دار الكتب السلطانية فى عام ١٩١٦م
- دار الكتب المصرية فى عام ١٩٢٧م
- دار الكتب و الوثائق القومية فى عام ١٩٦١م
- الهيئة المصريه العامه للكتاب فى عام ١٩٧١م

<u>مجموعات دار الكتب المصرية</u> :

تعود النواة الأولى لمجموعات دار الكتب المصرية إلى مجموعات الكتب الموجودة فى مكتبات

المساجد المصرية و المكتبات التابعة للأوقاف و التى زادت عن (٣٠,٠٠٠) مجلداً .

المجموعات الخاصة التى أُضيفت لمكتبة الدار :

أضيف لمكتبة الدار المجموعات الخاصة للعديد من الأدباء و الشخصيات العامة و كبار المفكرين سواء عن طريق الإهداء أو الإستهداء أو الشراء ، و من هذه المجموعات نجد :

- مجموعة المخطوطات الخاصة بشركة (حسن باشا المناسترلى) و تقدر بحوالى (٢٠٠٠) مخطوطاً .
- المجموعة القانونية الخاصة بقدرى باشا .
- المجموعة التاريخية الخاصة بخليل باشا النبراوى .
- المجموعة الأدبية للدكتور بيومى فتحى فى اللغة العربية و آدابها .
- المكتبة الخاصة لمحمود عباس العقاد .
- المكتبة الخاصة لطه حسين .
- المكتبة الخاصة لتوفيق الحكيم .
- المكتبة الخاصة لطلعت حرب باشا .
- المكتبة الخاصة للسيد عمر مكرم .

- ضُمت للدار المجموعات التى كانت موجودة فى بعض المدارس الحكومية .
- ضُمت للدار المجموعات التى كانت موجودة فى محطات السكك الحديدية .

<u>إدارة دار مصر للكتب و الوثائق القومية :</u>

تولى رئاسة هذه المكتبة فى أول أمرها مجموعة من الخبراء و خاصة الألمان مثل : شتيرن – شادة

هذا و يعتبر أحمد لطفى السيد هو أول مدير لدار الكتب من المصريين .

<u>التزويد و تنمية المجوعات فى مكتبة دار الكتب المصرية :</u>

إعتمدت دار الكتب المصرية عبر تاريخها الطويل على الطرق الآتية للتزويد :

- الإهداء (بطلب المكتبات الخاصة من أصحابها وورثتهم) .
- الإستهداء (بطلب المكتبات الخاصة من أصحابها وورثتهم) .
- الإيداع القانونى

تنظيم المجموعات فى دار الكتب المصرية :

تم تنظيم المجموعات فى الكتبخانة الخديوية وفقا للغاتها بغض النظر عن موضوعها ، ثم داخل كل لغة يتم تنظيم المجموعات وفقا للأشكالها و موضوعاتها كالتالى :

١) **القسم العربى** : و يضم هذا القسم المجموعات باللغة العربية بغض النظر عن كونها مطبوعة أو مخطوطة .

٢) **القسم الشرقى** : و يضم هذا القسم المجموعات باللغات الشرقية كاللغة التركية و الفارسيـــــة .

٣) **القسم الأجنبى** : ويضم هذا القسم المؤلفات باللغات الأجنبية سواء كتبها مصريون أو أجانب مقيمون فى مصر أو خارجها أو التى تتحدث عن مصر بصفة عامة .

المكتبات الفرعية التابعة لدار الكتب المصرية :

بعد إنشاء الكتبخانة الخديوية فى عام (١٨٧٠م) و تتابع نموها ، أنشىء لها فروع تابعة لها فى مختلف المناطق بالقاهرة الكبرى فى الفترة ما بين عامى (١٩٤٨ م و حتى عام ١٩٥٢م) .

من المناطق التى أُنشىء فيها فروع لدار الكتب شبرا و حى الزيتون و حلوان و الخليفة و الروضة و المنيرة و حدائق القبة و التحرير و منشية البكـــــرى .

كما أُنشئت فروع و منافذ لتقديم خدمات دار الكتب المصرية لمختلف أرجاء مصر بعيدا عن القاهرة الكبرى ، و هذه المنافذ أصبحت تابعة لوزارة الثقافة بعد تبعية دار الكتب لها مؤخراً ، و أصبحت فروع دار الكتب القديمة جزءا من بيوت و قصور الثقافة فى أرجاء مصر .

ملحوظة هامة جدا :

ظلت المكتبة تحمل إسم دار الكتب المصرية ، و تهتم بتجميع الإنتاج الفكرى و تنظيمه و تقديمه للعلماء و الباحثين و تحفظه للأجيال المتعاقبة حتى أصبحت المكتبة القومية لمصر .

و بداية من عام (١٩٦١ م) ضُمت دار الكتب إلى دار الوثائق و سميت دار الكتب و الوثائق القومية ، و بذلك ضاعت بعض معالم ووظائف الدار .

أما بداية من علم (١٩٧١م) فقد ضُمت الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر إلى دار الكتب و

الوثائق القومية ، و سميت الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و بذلك فقد فقدت دار الكتب المصرية بعض معالمها .

أسباب ضياع معلم دار الكتب بعد إنضمام الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر إلى دار الكتب و الوثائق القومية :

١) دار الكتب وظيفتها جمع التراث الفكرى

٢) دار الوثائق وظيفتها جمع المحفوظات و المستندات

٣) الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر وظيفتها نشر الكتاب و الإتجار فيه

و على ذلك فمن الصعب علميا أن تجتمع هذه الثلاثية فى بوتقة واحدة و فى كيان واحد .

٤) بتبعية دار الكتب لوزارة الثقافة بدأت هذه المكتبات تهتم بتقديم الخدمات التى تهم الأفراد و تمثل عناصر جذب لهم كعروض السينما و المسرح .

و قد أثر ذلك بالطبع على كم و طبيعة المجموعات الموجودة بهذه المكتبات ، حتى أن كثيراً من هذه المكتبات قد خصصت بعض قاعات المكتبة لهذه

العروض . مما ينعكس بالسلب على ما تقدم من خدمات لجمهور المترددين عليها و المستفيدين منها .

<u>أهداف دار الكتب و الوثائق المصرية :</u>

بدأت دار الكتب ممارسة عملها بجمع رصيد ممتاز من نفائس المخطوطات و الكتب النادرة ، و يمكن تلخيص أهدافها فيما يلى :

١) تجميع الإنتاج الثقافى القومى مطبوعا و مخطوطا و حفظه للأجيال القادمة و إعداد و نشر الببليوجرافية القومية الراجعة (الماضية) و الجارية (الحديثة) .

٢) تجميع كل ما تنشره أجهزة الدولة من مطبوعات و التعريف بها .

٣) تجميع ما ينشر من دراسات و أبحاث فى الكتب و الدوريات فى الخارج ، و له علاقة بالدولة سياسيا أو تاريخيا أو اقتصاديا و التعريف به .

٤) تجميع التراث الثقافى العربى و الإسلامى إصولا و صورا و التعريف به ووضعه تحت تصرف الدارسين ليتوفر على تحقيقه و نشره .

٥) إختيار المناسب من الإنتاج الفكرى العالمى من مختلف فروع المعرفة ليتيسر الإطلاع عليه فى كافة الميادين و التعريف به .

٦) جمع الفهارس الموحدة و العمل كمركز قومى للمعلومات و خدمة البحث العلمى الهادف فى كافة تخصصات المعرفة .

تكوين دار مصر للكتب و الوثائق القومية :

التنظيم الإدارى لدار الكتب :

رئيس مجلس الإدارة :

١) مركز المعلومات و التوثيق

٢) إدارة المعارض

٣) إدارة العقود

٤) إدارة الشئون المالية

٥) إدارة البحوث الفنية :

أ- قطاع دار الكتب و الوثائق القومية :

- الإدارة العامة لدار الكتب
- الإدارة العامة لدار الوثائق

ب- قطاع النشر و المراكز العلمية :

- الإدارة العامة للنشر

- مركز البحوث للترميم و الصيانة
- مركز تحقيق التراث
- مركز تاريخ مصر العام
- مركز الخدمات الببليوجرافية و الحاسب الآلى
- مركز تنمية الكتاب

ج- قطاع الشئون الإدارية و الإقتصادية :

- الإدارة العامة للمطابع
- الإدارة العامة للشئون المالية و الإدارية
- الإدارة العامة للتسويق

٦) الإدارة العامة لدار الكتب :

أ- إدارة الخدمات المكتبية

ب- إدارة الخدمات الفنية :

- قسم المخطوطات و الدوريات
- قسم الفهرسة
- قسم التوريد

ج- إدارة تبادل المطبوعات :

- قسم الصين
- قسم أمريكا
- قسم آسيا

- قسم إفريقيا
- قسم إستراليا
- قسم التبادل الداخلى

د- إدارة خدمات القراء :

- قسم الرصيد
- قسم المراجع
- قسم المجموعات الخاصة
- قسم الدوريات
- قسم مطبوعات الأمم المتحدة

مجموعات المكتبة :

بدأت الدار بحوالى (١٠٠٠) مجلد تم جمعها من مصادر مختلفة و هى المساجد و خزائن الأوقاف المختلفة و ديوان المدارس و الأخرجة .

أخذت هذه المجموعات بعد ذلك تنمو بطرق متعددة أهمها **الإيداع القانونى** الذى كان يطلق عليه فى بادىء الأمر **الوديعة** .

و تمتاز دار الكتب فى مصر عن غيرها من المكتبات الأخرى بهذه السمة وفقا بالقانون رقم (٣٥٤) لسنة (١٩٥٤) و تعديلاته التى تقضى بأن

تحصل الدار على (١٠) نسخ من كافة الأعمال الفكرية التى تصدر فى مصر .

و يعتبر الإيداع من أهم مصادر الإقتناء فى الدار للحصول على المواد المنشورة فى مصر ، أما المواد المنشورة خترج مصر فيتم الحصول عليها عن طريق الشراء أو التبادل أو الإهداء .

و بذلك فقد بلغت مجموعات الدار من الكتب سواء المنشورة داخل مصر أو خارجها ملايين الأعداد ، و تقوم الدار بإصدار الببليوجرافيات المختلفة التى تُعرف بهذه المجموعات على إختلافها .

قائمة المصادرو المراجع التى إعتمد عليها الفصل :

١. أحمد على تاج . الكتابة ، الكتـب، المكتبـات : مدخل تاريخى . د.م : د.ن ، ٢٠٠١م .
٢. ألفرد هيسيل ؛ ترجمة شعبان خليفـة . تـاريخ المكتبات .– القـاهرة : المكتبـة الأكاديميـة ، ١٩٩٣م .
٣. حامد الشافعى دياب . محاضرات شفهية علـى طلاب المرحلة الجامعية الأولى . جامعة طنطا ، كلية الآداب ، قسم المكتبات .
٤. سيد حسب الله ، محمد جلال غنـدور .تـاريخ الكتب و المكتبات عبر الحضارات الإنسـانية . الرياض : دار المريخ ،١٩٩٦م .
٥. عبد الستار الحلوجى . لمحات من تاريخ الكتـب و المكتبات .[القاهرة] دار الثقافـة للنشـر و التوزيع ، ١٩٨٨ .

الخاتمة

١) يقـــاس تطور الأمم و رفعتها بوجود المكتبات بها و كـــم وكيف الإنتاج الفكرى الصادرعن مؤلفيها ، لهذا كــان توجـــه الأمم المعاصرة نحو تطوير مكتباتها و السـمو بمستوى مفكريها، ويأتى هذا الإهتمام نتيجة الإدراك الواعـــى بأهمـــية المكتبة كجزء حيوى فى المجـــتمع مـــن شـــأنه الحفاظ على تراث و حضارة الشعوب وعرض فكر علماءها.

وإنطلاقـــا من المقولة الشهيرة من لاماضى له لاحاضر له ولامستقبل ، تسعى الأمم جاهدة للحفاظ على فكر علماءها و الإفادة من فكر علماء غيرها من الأمم و الحضـــارت علـــى مر الأزمنة ، و من هنا جاء الدور الـــبؤرى للمكتـــبات كخلـــية أساسية فى كيان المجتمع وتكوينه.

وكنتـيجة طبيعـية لضرورية المكتبة فى أى تجمع بشـرى ، فلابـد ألا يقتصر الأمر على مجرد الإهتمام بالـتطوير و التحديث لمكتباتنا ، بل لابد أن يمتد الأمر إلـى الإلمـام و الإحاطـة بحال المكتبات فى عصورنا وعصور غيرنا من الأمم فى الأزمنة الغابرة .

٢) تسببت ندرة الكتابة فى عدم تأثيرها على كافة أفراد الشعب بسبب الأمية ، حيث كانت الوسيلة الوحيدة لنشر المؤلفات هى كتابة نسخة واحدة أخرى من المخطوطة الأصلية ، مما جعل الكتب غالية الثمن و نادرة الوجود ، و جعل الكتابة سرا من الأسرار التى يحتفظ بها طبقة من الناس (الكهنة) و يتوارثونها جيلا بعد جيل .

هذا و قبل ظهور الكتابة ، كان الإنسان يستخدم لغة الإشارات فى التواصل مع أقرانه ، أو يجمع بعض الأشـياء الملموسة معا و يتبادلها مع من يريد التواصل معــه بحيــث يكون لكل منها دلالته فيما بينهما كإسلوب للحوار فيما بينهم .

٣) يعد ظهور الكتابة من أهم الخطوات التى خطاها الإنسان فى إنتقاله إلى المدنية الحديثة و خلال رحلة تطوره الإجتماعى ، حتى أن ظهور الكتابة يعتبر فاصلا يحدد بداية التاريخ.

هــذا و قــد ســاعد ظهور الكتابة الإنسان على تسجيل ونقل معارفه ، إلى جانب توصيل أفكار البعض للاخريــن ، كمــا جعلــت من التفكير الإنسانى عملية

جماعـــية متصــــلة تتفاعل فيها العقول فى سبيل إزدياد المعرفة .

ومـــن هـــنا تظهـــر أهمـــية الكتابة فى تسجيل الحضارات و نقلها عبر الحقب المختلفة ، فبدون الكتابة لا وجـــود للكتـــب ولا وجـــود للمكتبات ، فهى تعد من وسائل الإتصال و تبادل الخبرات بين الحضارات .

٤) إختلفت المواد المستخدمة فى الكتابة من مكان لآخر وفقا لظروف الحياة و طبيعة البيئة و المناخ فى هذا المكان ، إضافة لطبيعة العلاقات السياسية التى تربط بين الشعوب على إختلافها و ما يربطهم من علاقات تجارة و تبادل.

٥) عرف المصريون الكتابة منذ (٥٠٠٠) سنة و سجلوا بها وصاياهم و تعاليمهم ، كما يعتبر الصينيون من

أقدم الشعوب التى عرفت الكتابة ، حيث كان للصين

أدبها و فنونها على مدار التاريخ ، كما ورث

البابليون عن السومارييين حضارتهم و تراثهم و قاموا

بتطويرها ،

و قـــام الســـوماريون بتســـجيل العديد من أمور حياتهم

المختلفة .

٦) كـــان لنزول القرآن الكريم أثر كبير على العرب و

المســـلمين بصـــفة خاصة و على العالم اجمع بصفة

عامة.

٧) إهـــتم المسلمون بتدوين المصحف الشريف و ضبط

آياته منعا للحن و الإلتباس كنتيجة طبيعية لعدم وجود

الشكل و النقط فى الكتابة العربية الأولى.

٨) يعتبر النصف الأول من القرن الأول الهجرى هو بداية حركة التأليف العربية ، و التى أخذت فى الإزدهار بداية من القرن الثانى الهجرى.

٩) ظهرت حركات الترجمة التى عمدت إلى نقل تراث و حضارات الشعوب الأخرى إلى العربية لتحقيق أقصى إفادة منها.

١٠) تلى عمليات الترجمة و نقل ثقافة الحضارات إلى العربية ظهور ما يعرف بالأمالى ، و قد ظهرت كنتيجة طبيعية لظهور ما يمكن أن يطلق عليه تجاوزا بالمسجد الجامعة ، حيث كان طلاب العلم عقب أوقات الصلوات يجتمعون مع أحد العلماء و يأخذون عنه العلم.

١١) أصقل ظهور صناعة الورق وجود هذه الأمالى ، فإنتشـــرت عملـــيات النســـخ ، ، ثم ترتب على ذلك ظهـــور عملـــيات التجلـــيد و حوانيـــت الوراقة التى صاحبها ظهور الوراقيين الذين يعنون بهذ الصناعة .

١٢) أثـــر ظهـــور الديانة المسيحية بشكل كبير على إنتشـــار الكتابة ، و ذلك على إعتبار أنها ديانة تعتمد على النصوص المكتوبة .

١٣) كان التعليم محدودا فى هذه الفترة لأن عدد الذين يقـــراءون اللغـــة اللاتينية و يجدونها سواء قراءة أو كـــتابة محدودا ، كما كانت هذه الفترة فترة قلاقل و توترات سياسية كنتيجة لهجمات قبائل البربر على كل من إيطاليا و إنجلترا و إبادتها و تدميرها .

١٤) نشـأت المكتبات فى داخل الأديرة و التى كانت تغطـى بالدرجـة الأولـى الكتـب الدينية الخاصة بالصـلوات و العـبادات ، إلى جانب ما أتيح لها من القليل من الكتب فى باقى الموضوعات الأخرى .

١٥) بظهور الطباعة على يد يوحنا جوتنبرج الألمانى الجنسـية (١٤٠٠-١٤٦٧ م) تغـير مجرى الأحداث بصوة جذرية ، إذ ساهمت فى إنتشار و ذيوع صيت الكتب بدرجة كبيرة .

١٦) و يعتـبر أول كتاب مطبوع فى إوربا و إستخدم فـى طباعته مطبعة يوحنا جوتنبرج هو التوراة ذات الإثنيـن و الأربعين سطرا و الذى تمت طباعته سنة ١٤٥٥م ، بعد ذلك ظلت عملية الطباعة قاصرة على الكتـب الدينـية فقط ، ثم رويدا رويدا بدأ النشر فى

شتى الموضوعات ، و خرجت الطباعة من المانيا و إنتشرت إلى مختلف الدول الأخرى .

١٧) كان ظهور الكتابة هو الإرهاصات الأولى لكتب بشكلها الحالى ، و للمكتبات الأولى و ذلك على إعتبار أن ما ترتب على ظهور الكتابة هو ما يطلق عليه مسمى الكتب ، كما أن ظهور الكتب و تجميع عدد منها هو ما يمكن تسميته بالمكتبة .

١٨) ظهرت الكتب المصنوعة من الرقوق و المهارق و العظام ....فكانت الكتب الخشبية عبارة عن مجموعة من الألواح الخشبية المصفوفة معا جنباإلى جنب و يربطها رابط ، كما كان الحال بالنسبة للكتب القماشية حيث كانت ألواح الأقمشة المصنعة تجمع معا و تأخذ شكل كتاب .

١٩) هــناك شــكل آخر للكتب ظهر فى الصين قديما حيــث كانوا يكتبون على أعواد نبات البامبو و التى تشبه الغاب و الأعواد المأخوذة من سيقان النخيل ، و كان يكتب على هذه السيقان ، ثم تجمع معا من خلال ثقب موجود بها فى أعلى و تربط معا.

٢٠) أمــا بعــد ظهور الرقوق و البردى و الورق فقد إخــتلف شكل الكتاب و أصبح ياخذ شكل مطوية أو لفافــة يمكن فردها عند قراءتها ، كما كانوا يلصقون عصا في بداية الكتاب ليمكن فرده و طيه بسهولة عند الرغبة فى قراءته.

٢١) مع مرور الوقت بدأت الكتب الجلدية من الرقوق يغلب على الكتب الدينية و بدأ إختفاء الكتب فى شكل

لفافـــات و مطويات فيما عدا المكاتبات الرسمية بين رجال الدولة.

٢٢) يمـــيز الكـــتابة فى هذه الفترة الزمنية فهو تشابك الكلمـــات معـــا بصورة متصلة بحيث يبدو السطر و كأنـــه كلمة واحدة ، كما كانت كل ورقة تنتهي بكلمة تشير لبداية السطر الذى يليها فى الورقة التالية .

٢٣) الكتـــب فـــى العصـــور الوسيـــطى بـــالعديد من خصـــائص الكتـــب فـــى العصور الأولى من حيث الإخراج و شكل الأوراق و إسلوب الترقيم ...

٢٤) و مـــع ظهـــور الطباعة ، و بداية ظهور الكتاب المطـــبوع و الـــذى إحتفظ بالعديد من سمات الكتاب المخطوط من حيث الإخراج و شكل الورقة و طريقة عرض المعلومات بها .

٢٥) مع ظهور الورق و بداية إنتشاره بدأت الكتب من الــرقوق و الــبردى و غيرها من الوسائط الأخرى تــندثر رويــدا رويدا ، خاصة بعد إنتشار الورق و إنــتقاله من الصين إلى الحضارة العربية الإسلامية ، ثم إنتقاله من الحضارة العربية الإسلامية إلى الأندلس و مــنها إلــى أوروبــا بعد سقوط الأندلس فى أيدى الأسبان .

٢٦) لم يقتصر نشاط الرهبان فى هذه الفترة على نسخ الكتب الدينية فى داخل الكنائس فقط ، و لكنهم لجأوا أيضا على نسخ الكتب فى شتى مجالات المعرفة التى تطولها إيديهم ، و العمل على نشرها .

٢٧) فــى العصــور الحديثة و مع ظهور الطباعة و تطورهــا و تطور أساليبها و و تطور إساليب إخراج

الكتــب المطــبوعة و وضع قواعد و تقنيات لها بدأ الكتاب يأخذ الشكل المعروف به الآن .

٢٨) ساعد ظهور الطباعة على نشر الكتب و إتاحتها للــتداول بســهولة و سرعة و يسر و بتكلفة أقل مما كان عليه الحال قبل ظهورها .

٢٩) حديــثا فقد تطور شكل الكتاب و بدأ يخرج عن نطــاق الشــكل المطــبوع و يتجه للأشكال أخرى ، فظهــر الكتاب الإلكترونى سواء فى شكل مسموع أو مــرئى أو ســمعى مــرئى ، و أخــير ظهرت تقنية الإنترنت التى تعتبر أحدث الأشكال للكتب .

٣٠) كــان الحكام الأوربيون يحرصون على التقرب للكهــنة عــن طريق إقتناء الكتب ، هذا و لم يقتصر إقتــناء الكتب فى أوروبا على الكتب الدينية فقط ، بل

إمـــتد الأمـــر إلى لإقتناء الكتب في شتى المجالات ، فإقتنوا كتب فى الفلسفة و اللغة ...كما إلحق بكل دير مكان لنسخ هذه الكتب تمهيدا لنشرها بعد ذلك .

٣١) التدويـــن الكامل للقرآن تم فى عهد حروب الردة فـــى عهـــد ســـيدنا أبي بكر رضى الله عنه و خوف الصـــحابة مـــن تحريف القرأن بعد موت العديد من حفظته فى الحروب و خشية عليه من التحريف .

٣٢) فـــى عهـــد الحضارة العربية الإسلامية ، و مع إنتشـــار رقعـــة الإســـلام فى شتى البقاع و إزدهار حضـــارة العرب و إختلاطهم بالعديد من الجنسيات و الشعوب ، فقد خشى العرب و المسلمون على لغتهم و بدأوا فى تجميع مفرداتها في كتب .

٣٣) فـــى العصــــر الأموى تم توزيع نسخ من القرآن الكريم على الأقطار المختلفة ضمانا للتوحيد ، كما تم جمع الأحاديث النبوية الشريفة و الترجمة من ثقافات الأمـــم الأخـــرى إلـــى العربية ، و تم تدوين التاريخ الإســـلامة و الســـيرة النـــبوية و ســـيرة الصحابة و التابعين رضى الله عنهم .

٣٤) فى العصر العباسي فقد إزدهرت حركة الترجمة و التأليف و النقل من مختلف الحضارات إلى العربية ، حتى أنه يقال أن الخليفة هارون الرشيد كان يرسل البعـــثات الرســـمية من الدولة الإسلامية إلى مختلف الأقطار لنقل العلوم عنها أو ترجمتها .

٣٥) فى العصر الفاطمى أصبحت القاهرة أهم مركزا للعلـــم علـــى مستوى العالم أجمع ، و قد إهتم الحكام

الفاطميين أنفسهم بهذا الإتجاه و إنشأوا الجامع الأزهر الذى تحول على اكبر جامعة في العالم العربى ، كما إهــتم الحكـــام أنفسهم بإقتناء الكتب و إنشاء مكتبات خاصة بهم فى قصورهم .

٣٦) فى العصر المملوكي فقد إهتم المماليك بالعلم و بنسخ الكتب و نشرها فى مراكز التعليم ذاتها بإعتبارها جزءا من دورها التعليمى .

٣٧) قياس ثراء الناس بداية من القرن التاسع و القرن الثالث عشر الميلادى كان يعتمد على مدى ما يملكون مــن كتب و مخطوطات ، بحيث أصبح إقتناء الكتب مظهرا من مظاهر الرقى و الثراء .

٣٨) تاثــر العــرب بالثقافات اليونانية و الفارسية و السريانية و القبطية حيث أخذوا من اليونان فلسفتهم .

٣٩) ألقيت مئات من المؤلفات العربية الإسلامية في نهر دجلة عند غزو هولاكو ، و نقل التراث العربي للغرب عند سقوط الأندلس في يد الأسبان ، كما أمر الكاردينال (فرنسيسكو) بإحراق الكتب العربية الإسلامية في ساحة باب الرملة بغرناطة ، ما بقى من التراث فقد نقل لمكتبات الغرب و تركيا خلال الإستعمار الحديث للبلاد .

٤٠) دائما كانت أماكن العبادة على إختلافها سواء كانت كنائس و أديرة أو معابد أو مساجد هي مراكز لتجمع الناس ، و من ثم مراكز لنشر الدين و الدعوة له فيما بين العامة .

٤١) تعددت المكتبات في العصور القديمة على مر الزمان ، و دائما كانت المكتبات مصاحبة لوجود

الحضارات و التى صاحبت بدورها ظهور الكتابة و الكتب .

٤٢) وجــدت المكتبات فى مصر الفرعونية فى غالب الأحــيان فـــى داخل المعابد أو فى قصور الحكام و النـــبلاء و كبار التجار ، إلى جانب وجود القليل من المكتبات الخاصة بالأفراد و التى كانت تقتصر على الكهنة و رجال العلم و الدين .

٤٣) أطلـــق على المكتبات فى العصر الفرعونى عدة مسميات منها :

دار الكتـــب – دار لفافات الكتب – مقر المخطوطات – ديوان الكتب – خزانة الكتب – دار الكتب المقدسة – بيت الكتابات – بيت البرديات – بيت الكتب المقدسة – بيت الكتب الآلهية .

٤٤) مكتبة طيبة ، تم الكشف عنها فى مدينة طيبة المصرية فى عهد الملك رمسيس الثانى بمناسبة تخليد معركة قادش التى إنتصر فيها على الحيثيين ، فأنشأ معبدا له و ألحق به مكتبة و هى التي أطلق عليها مكتبة طيبة (منف) .

٤٥) أغلب الظن أن المكتبات التابعة لقصور الحكام و الملوك كانت أسبق فى الوجود فى مصر الفرعونية من المكتبات الملحقة بالمعابد و تلك الخاصة بالأفراد .

٤٦) مكتبة الساحر جدى ، و كان أحد السحرة المعروفين بغزارة علمهم ، و عندما سمع به الملك أراد الإفادة من علمه فأرسل فى طلبه ، و عندما رأى الساحر رجال الفرعون طلب منهم أن يحضروا له ما

يحمل عليها مكتبته و أعوانه ، و فى هذا إشارة صريحة بوجود المكتبات الخاصة فى عهد الفراعنة لدى العلماء و السحرة فى ذلك الوقت .

٤٧) فى الغالب كان أمناء المكتبات فى عهد الفراعنة و القائمين بالعمل عليها من الكهنة أو المقربين للفرعون و كاتمى أسراره و مهمتهم الحفاظ على هذه المقتنيات لحين حاجة الفرعون إليها .

٤٨) من ضمن المسميات التى أطلقت على العاملين فى المكتبات آنذاك : سيد الكتابات السرية – رئيس الأمناء – كاتم أسرار الفرعون – المشرف على مكتبة الآله – كاهن الملك – سيد كل الخزائن – المسئول عن الأرشيف و المكتبة – كاتب دار الكتب – مفتش دار الكتب – رئيس دار الكتب – كاهن دار

الكتب – أمين المكتبة – المشرف على المكتبة – المشرف على كتبة دار الكتب – المشرف على الأسرار – رئيس أمناء المخطوطات ، و قد شغل هذا المنصب فى مصر الفرعونية أشخاص بارزون فى المجتمع آنذاك فمنهم كبار الكهنة .

٤٩) لم يكن للمكتبات الفرعونية فى مصر القديمة القديمة مبانى مستقلة بذاتها و إنما كانت مصممة بحيث تكون جزءا من المعابد و دور الحياة و القصور ، فهى كانت عبارة عن قاعة أو أكثر ملحقة بأيا مما سبق .

٥٠) غطت مجموعات المكتبات الفرعونية مختلف الموضوعات و العلوم التى كات معروفة آنذاك كالكتب الدينية التى تتناول كيفية أداء الطقوس الدينية

، و الكتــب الســحريه التى تحتوى على التعاويذ و

الطلاسم .

٥١) كانــت الإفادة من المكتبات الملحقة بدور الحياة

قديمـــا متاحة لمن يريد من طبقة المثقفين و الراغبين

فـــى المعــرفة ، كذا الأمر بالنسبة للمكتبات الخاصة

التى كان يتيحها أصحابها لمن يرغبون ، أما بالنسبة

للمكتــبات الــتابعة للقصور الملكية فقد كان الإطلاع

علـــى مـــا بهـــا يقتصر فقط على الفرعون و كهنته

المقــربون فقــط لإحــتوائها على الطقوس الدينية و

التعاويذ التى تحمى الملك من الأخطار .

٥٢) كانــت الإفادة من المكتبات الملحقة بدور الحياة

قديمـــا متاحة لمن يريد من طبقة المثقفين و الراغبين

فـــى المعـــرفة ، كذا الأمر بالنسبة للمكتبات الخاصة التى كان يتيحها أصحابها لمن يرغبون .

٥٣) أما بالنسبة للمكتبات التابعة للقصور الملكية فقد كان الإطلاع على ما بها يقتصر فقط على الفرعون و كهنته المقربون فقط لإحتوائها على الطقوس الدينية و التعاويذ التى تحمى الملك من الأخطار .

٥٤) قـــد عرفت المكتبات الفرعونية القديمة (مكتبات دور الحـــياة) نظـــم الإطـــلاع الداخلـــى و النسخ (التصوير حاليا) ، و الإعارة الخارجية و التى كانت قاصرة فقط على القضاة و رجال الحكم .

٥٥) مـــن أبـــرز النماذج على المكتبات فى العصور البطلمـــية نجـــد مكتبة الأسكندرية القديـــــمة التى أسســـها (بطلـــيموس الأول(سوتر)) بإقتراح من (

ديمتريوس الفاليرى) لكى تكون جامعة لكل التراث

الحضارى الموجود فى العالم القديم آنذاك .

٥٦) كان الهدف من إنشاء مكتبة الأسكندرية هو جمع

الكتب الإغريقية (اليونانية) و ترتيبها و التعليق

عليها ، كما أراد البطالمة جعلها مكتبة جامعة لكل

التراث العلمى و الأدبى فى وقتها من كافة أرجاء

العالم.

٥٧) تذكر بعض المصادر أن البدايات الأولى للمكتبة

كانت عبارة عن تجميع لما تركته الحضارة

الفرعونية من تراث مكتوب ، و يشير البعض الآخر

أن نواتها كانت المكتبة الخاصة للفيلسوف أرسطو .

٥٨) كان لدى الملوك البطالمة نهم غير عادى لإقتناء

كل ما تقع عليه أيديهم فى المكتبة ، لهذا كانوا

يصادرون كل ما يفشلون بالحصول عليه بأى طريق آخر.

٥٩) العاملين في هذه المكتبة ، فقد كان الشاعر كاليماخوس من أكبر العلماء المشرفين على هذه المكتبة ، فقد قام بوضع نظام تصنيف لها و لكن دون الإعتماد على الرموز كما هو الحال فى نظم التصنيف المعاصرة ، و لكنه يعتمد على تقسيم محتويات المكتبة وفقا لموضوعاتها إلى مجموعات .

٦٠) كانت المكتبة الرئيسية تحتوى على (٤٩٠٠٠٠) لفافة بردى تقريبا ، أما المكتبة الملحقة فكانت تحتوى على (٤٣٠٠٠) لفافة تقريبا ، و تذكر بعض المصادر أنها كانت تحتوى على (٧٠٠٠٠٠) لفافة .

٦١) ضمت مكتبة الأسكندرية القديمة لفافات فى مختلف الموضوعات السائدة أنذاك ، فقد حوت لفافات فى الفلسفة و الطب و الفقه و اللغة و الفلك و الرياضيات و التاريخ و الجغرافيا ٠٠ إضافة لما قام العلماء بنقله من الحضارة الفرعونية القديمة و حضارة ما بين النهرين و ماوصلهم من حضارة الشرق الأقصى .

٦٢) كانت الكتب فيها تأخذ شكل لفافات من البردى ، و كما تذكر المصادر فإن طول لفافة البردى كانت تعادل نحو أربعين ورقة من حجم الكتاب المعاصر .

٦٣) أتاحت مكتبة الأسكندرية القديمة مجموعاتها لكل من يرغب فى الإطلاع الداخلى بها ، و منعت الإعارة الخارجية مطلقا حفاظا على مقتنياتها ، كما

سمحت المكتبة بالنسخ لكل راغب ووفرت أدوات

ذلك من أدوات للكتابة و ناسخين و برديات .

٦٤) يذكر البعض الآخر أن المكتبة تم حرقها فى عام (٤٧) ق.م. علـــى يد الرومان (يوليوس قيصر) عندما أمر بحرق السفن الحربية الراسية فى الميناء .

٦٥) هــناك من يرى أن المكتبة تم تخريبها على يد (أولـــيان) أحد قواد القيصر فى أواخر القرن الثالث المـــيلادى و علـــى أن مكتبة السرابيوم قد إمتدت بها الحـــياة حتى خربت هى الأخرى على يد (تيوفلس) بطريـــرق الأســـكندرية فى عام ٣٩١ ق.م. فى أثناء فـــترة الإضطرابات التى سادت الأسكندرية لإنتشار الديانة المسيحية بها .

٦٧) أما المؤرخ (يحيى النحوى السكندرى) الذى نقل عنه أبو الفرج المالطى و هو أحد القساوسة فيروى أن العرب هم الذين أحرقوا مكتبة الأسكندرية فى أثناء الفتح الإسلامى لمصر ، و يزعم أن عمرو بن العاص أحرق المكتبة بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

٦٨) المـؤرخ الإنجلـيزى (الفريد بتلر) أثبت فى كـتابه فـتح العرب لمصر أن يحيى النحوى لم يكن على قيد الحياة فى الوقت الذى فتح العرب فيه مصر ، بل مات قبل ذلك لعدة قرون طويلة.

٦٩) علـى هـذا الأسـاس نسـتطيع القول أن مكتبة الأسكندرية القديمة قد احرق جزء كبير منها فى عهد البطالمة ، كما أن العرب لم يحرقوا ما فيها من كتب

، بل علي العكس من ذلك فحينما فتح العرب مصرو إحــتفظوا بمـــا وجدوه مبعثرا من هذا التراث قاموا بترجمته للغة العربية .

٧٠) مكتـــبة معبد القيصريون (و هو إسم إبن الملكة كلـــيوباترا) ، و هـــذه المكتبة تابعة للمعبد الذى بنته الملكة كليوباترا ملكة مصر كتكريم للقائد أنطونيوس علـــى الهديـــة الـــتى أهداهـــا لها أثر حريق مكتبة الأســـكندرية عام (٤٧) ق.م. ، حيث أهداها جزء مـــن مكتبة برجامة التى كان قد إستولى عليها كغنيمة حرب .

٧١) وجدت المكتبات فى حضارة ما بين النهرين شأنها شـــأن غـــيرها من المكتبات الموجودة آنذاك فى داخل المعابد و القصور .

٧٢) المكتبات في هذه الحضارات كانت ضخمة ، فقد عـثر علـى (١٧٠٠٠) مـن الألواح الطينية مدون عليها نصوصا قانونية و ملكية و معاملات تجارية و سياسـية و سياسـية و أدبـية ، كمـا عـثر علـى (٢٠٠٠٠٠) مـن الألواح الطينية التى تعود لمكتبة وجدت فى الحضارة السومارية .

٧٣) إهتمت هذه المكتبات فى المقام الأول بالقوانين و التشـريعات و مـن أبـرز مـا خلفته لنا تشريعات حمورابـى (ملك بابل) و التى تناولت موضوعات تتعلق بالقضاء و الأمن و حقوق المحاربين و الزواج و الطلاق و التعويضات و الأساطير الشعبية و سير الأبطال .

٧٤) مكتبة آشور بنيبال و قد وجدت هذه المكتبة فى قصـــر الملك آشور بانيبال ، و يقال أن نشأتها كانت فى عهد جده و كانت ملحقة بالقصر الخاص به .

٧٥) يقـــال أن الملك آشور بانيبال كان يشرف بنفسه علـــى تجميع هذه الألواح و يأمر رجاله أن يجمعوها أو ينسخو منها نسخا تودع فى هذه المكتبة .

٧٦) نظمت مجموعات هذه المكتبة من الألواح الطينية فـــى كوات داخل الجدران بحيث تجمع الألواح التى تمـــثل الكـــتاب الواحد معا فى مكان واحد ، كما كان عـــندهم نموذج بدائى من الفهارس يعرف بمحتويات المكتبة .

٧٧) تذكـــر المصادر التاريخية أن مكتبة آشور بانيبال تعرضـــت لحـــريق أتـــى على معظم محتوياتها من

الألواح الطينية فى إحدى الغزوات التى تعرضت لها البلدة .

٧٨) وجـدت المكتبات فى الشرق الأقصى القديم فى الصـين و الهـند ، و كانت تابعة للمعابد و قصور الحكـام شـأنها فـى ذلـك شأن المكتبات فى باقى الحضارات الأخرى .

٧٩) المكتـبات القديمـة لم يكن مصيرها بأفضل من مصائر غيرها من المكتبات الأخرى ، فلم يصلنا منها الكثير ، و يعود ذلك إلى أن الهنود و الصينيين كانوا يفضـلون الكـتابة على جذوع الأشجار و التى كانت بدورها تبلى سريعا .

٨٠) تأثـرت المكتـبات فـى هذه الحضارات أيضا بالظروف و التغييرات السياسية ، فيقال أن أحد حكام

الصين قد أمر بتدمير ما يعثر عليه من هذه الألواح ، ذلــك لأن أحــد المفكرين كان قد تجرأ عليه فى أحد مؤلفاته .

٨١) كانــت المكتــبات عند الشعوب اليونانية قاصرة على المكتبات الموجودة لدى الحكام و طبقة الأدباء و المفكرين المحيطين بالملك فقط ، المكتبات غير متاح لأى فــرد من العامة ، و إنما كان الإطلاع على أى من كتبها لا يتم إلا بإذن شخصى من الحاكم نفسه .

٨٢) ومــن أشهر مكتبات العصر اليونانى نجد المكتبة الخاصــة بالفيلسوف أرسطو ، فقد كانت مجموعات هذه المكتبة تغطى كافة مجالات الحياة آنذاك .

٨٣) هـــناك أيضا مكتبة برجامة بآسيا الصغرى التى كان يراد لها أن تكون على غرار مكتبة الأسكندرية ، و إن لم تصل إلى نفس المرتبة .

٨٤) مـــن المسميات التى أطلقت على مكتبة برجامـــة نجد : مكتبة برجامون – مكتبة برجاموس – مكتبـــة برجاموم .

٨٥) نشـــأت مكتـــبة برجامة فى الحضارة اليونانية و إمتدت حتى بدايات الحضارة الرومانية عندما إستولى عليها القائد أنطونيو كغنيمة حرب و أهدى جزء منها إلـــى الملكـــة كلـــيوباترا ملكة اليونان كتعويض عن إحتراق مكتبة الأسكندرية عند حريق الميناء كما سبق الذكر .

٨٦) كـــان ظهور المكتبات فى العصر الرومانى هو إمتداد لوجودها فى العصر اليونانى .

٨٧) إنتشرت المكتبات فى العصر الرومانى القديم فى المعـــابد و قصور الحكام فقد وجدت أيضا المكتبات الخاصـــة الـــتى يقتنـــيها الأفراد فى منازلهم بهدف الدراســـة و التعلـــيم و خاصـــة مـــن الطـــبقـــة الأرستقراطية .

٨٨) ظهر هناك نمطا آخرا من المكتبات العامة و هى المكتـــبات الموجـــودة فـــى الحمامـــات حيث كانت المكتـــبات العامة بمثابة منتديات و أندية يجتمع فيها العامة و يمارسون فيها أنشطتهم المختلفة .

٨٩) مـــن نماذج مكتبات الحضارة الرومانية الشهيرة مكتبـــة ألبيـــا وجدت هذه المكتبة فى مدينة روما ،

و كانت من الشهرة و الضخامة بدرجة دعت الإمبراطور للعناية الخاصة بها .

٩٠) إقتصرت الخدمات المقدمة من المكتبات فى هذا العصر على الإطلاع الداخلى فقط ، إضافة لإتاحة بعض المكتبات إمكانية الحصول على نسخ مخطوطة من بعض المقتنيات نظير أجر، على حين منعت الإعارة الخارجية بشكل نهائى حفاظا على الكتب .

٩١) كانت المكتبات الرومانية على قدر كبير من الزخرفة ، إذ كانت الأرضية مغطاة بطبقة من الرخام.

٩٢) و شأن المكتبات الرومانية كشأن غيرها من المكتبات فى العصور القديمة الأخرى فقد كانت نهايتها دائما مؤسفة إما الحريق أو السلب و النهب و

السرقة كغنائم حرب أو التلف نتيجة عدم تحمل المواد المـدون علـيها الكتب لعوامل الزمن و بداية تدهور الحضارة الرومانية .

٩٣) العـاملون فى المكتبات الرومانية القديمة : كان يتولى أمرها فى الغالب القساوسة و رجال الدين .

٩٤) مع إقتراب نهاية الحضارة الرومانية فى أوروبا و بدايـة إضـمحلال حالها و إضطراب أمورها بدأ الـتدهور يصـيب المجتمع بصفة عامة فى أوروبا ، كمـا بـدأت الديانة المسيحية فى الإنتشار فى أوروبا أنـذاك و أصـبحت هى الديانة الرسمية فى البلاد ، حرصـت الديانة المسيحية على القضاء على أى أثر للوثـنـية ، لهـذا فقد إهتمت بالقضاء على آثار الكتب الوثنية التى تعثـر عليها .

٩٥) أصـــبح مجرد إقتناء الكتب بدون الحصول على تصـــريح من الكنيسة جريمة يعاقب عليهـــا بالإعدام أحيانا .

٩٦) ســـاعد علـــى تدهـــور الأحوال سيادة الكنيسة و ســـيطرتها علـــى المجتمع بدرجة كبيرة وصلت فى بعـــض الأحيان لإتهام العلماء و المفكرين و أصحاب الرأى الجديد بالكفر و الإلحاد .

٩٧) ظهـــرت بعـــض الجهود من بعض أفراد الطبقة الراقـــية فـــى المجـــتمع مـــن بعـــض أفراد حاشية الإمـــبراطور للإهتمام بالمكتبات من جديد ، و بالفعل دفع ذلك بعض هؤلاء لإنشاء مكتبات تابعة للأديرة و الكنائس .

٩٧) ينسب دوما للرومانى (كاسيودورس) فضل إنتشال المكتبات و إحياءها فى فترة العصور الوسطى فى أوروبا ، فقد كان رجل سياسة من الطبقة الراقية فى المجتمع و فى ذات الوقت كان مقربا للإمبراطور الرومانى ، و إستفاد من ذلك فى إلحاق دور نسخ بالأديرة و الكنائس .

٩٨) فى فترة من فترات حياته إعتزل (كاسيودورس) الحياة العامة و السياسية من شدة حبه وولعه بالكتب ، و إعتكف فى إحدى الأديرة (دير فيفاروم) فى جنوب إيطاليا و قصر نشاطه على القراءة و نسخ الكتب فقط ، تعتبر هذه هى المحاولات الأولى لظهور المكتبات فى العصور الوسطى .

٩٩) إتسمت مجموعات مكتبات الأديرة فى العصور الوسطى الأوربية بضآلة الحجم و التواضع مقارنة بها فى مكتبات العصور القديمة ، فلم تكن مجموعاتها تتجاوز (١٠) مخطوطات ، عكس المكتبات فى العصور القديمة و التي جاوزت الآف بكثير .

١٠٠) هناك القليل من المكتبات خاصة بداية من عهد الملك (شارلمان) فى ألمانيا و التى إتسمت بزيادة عدد مقتنياتها مقارنة بغيرها من المكتبات الأخرى فى هذه الفترة الزمانية ، إلا أنها فى جميع الأحوال لم تزيد مقتنياتها عن (٦٠٠) مخطوطة .

١٠١) كان التزويد فى بدايته و رغم ضآلته يتم من الكنيسة الأم بعدد محدود من الكتب وفقا للإحتياجات الضرورية جدا لكل دير ، تبدأ كل دير بعد ذلك فى

زيادة مجموعاتها من المخطوطات بإجتهاد القساوسة و الرهبان العاملين فيها و بإجتهاده فى الحصول على الهدايا التى تأتى إليه من مصادر متعددة كالرهبان و المصلين و الطلاب الجدد .

١٠٢) كان السائد أن تغطى مجموعات مكتبات الأديرة العقائد الدينية السائدة أنذاك و التى فى الغالب تدعو للمسيحية ، كما غطت المجموعات أيضا المخطوطات التى تؤرخ للقديسين و التى تذكر الأحداث التاريخية المعاصرة لفترة العصور الوسطى ، و القوانين التى تسوس الحياة أنذاك و كتب العهدين القديم و الحديث .

١٠٣) كانت الكتب فى مكتبات الأديرة القديمة تحفظ فى فجوات فى جدران المكتبات مغطاة بالأخشاب ، و هذه الفجوات لها أرفف و أبواب خشبية ، و من الأساليب

الغريـــبة الـــتى كانت سائدة فى مكتبات الأديرة فى هذه الفـــترة الزمانـــية أن المخطوطات الموجودة فيها كانت تربط بسلاسل خوفا عليها من السرقة و الضياع .

١٠٤) ساعدت الكنيسة كثيرا فى الحفاظ على التراث الثقافى و الحضارى فى هذه الفترة الزمنية من عمر التاريخ و ساهمت بصورة أو بأخرى فى توريثه للأجيال التالية .

١٠٥) زاد تأثير الكنيسة المسيحية و خاصة الكنيسة الرومانية عقب الإنقلابات التى نتجت عن الغارات الجرمانية البربرية حتى وصل الأمر إلى تحكمها فى عالم الكتب و المكتبات .

١٠٦) حافظت الكنائس على ما بقى من الأدب القديم بعد الإنقلابات ، و بالرغم من ذلك إستمر تأثير الكنيسة الكاثوليكية بعد سقوط روما و إنتصار المسيحية .

١٠٧)تــم تأســيس دير تسمى (دير فيفارم) فيها ما يشبه الأكاديمية المسيحية ، و كان له نظام يطالب بأن ينسخ الرهبان الكتب العامة و الدينية و يضعوا نسخا منها في الدير .

١٠٨) تولى الرهبان مهمة إستنساخ عددا كبيرا من الموجود منها و المتاح لديهم في الأديرة و الذى يغلب عليه الطابع الدينى بصفة عامة ، ثم يقومون بحفظها لديهم أو بيع هذه المستنسخات لمن يريد و يدفع المقابل الذى كان بمثابة مصدر دخل لهم ينفقون منه .

١٠٩) قام الرهبان الكاثوليك الإيرلنديين بإستنساخ الكتب الموجودة فى أديرتهم و بذلك فقد ساهموا فى تكوين المكتبات التابعة لهذه الأديرة و تنمية مقتنياتها بما يخدم إحتياجاتهم الفكرية على الأقل و يحمى هذه المؤلفات من التلف و الإندثار.

١١٠) تعتبر من أقدم مكتبات الأديرة فى أوروبا ، وجدت فى دير فيفاروم الذى أسسه النبيل و السياسى ثم رجل الدين بعد ذلك (كاسيودورس) ، و من السمات التى ميزت هذه المكتبة إحتوائها على نسخ من الكتاب المقدس و العديد من المؤلفات المسيحية ، إضافة لبعض المؤلفات الوثنية فى شتى الموضوعات .

١١١) كانت بداية معرفة هذا النوع من المكتبات فى ألمانيا على يد الملك (شارلمان) ، كما كانت فى بدايتها تنشأ داخل القصور الملكية و قصور رجال الحكم لخدمة أعمالهم و لتكون كمكتبات خاصة بهم ، بعد الملك (شارلمان) بدأ إهتمام الملوك و الأمراء بإنشاء مكتبات خاصة فى قصورهم .

١١٢) ظهر أيضا نمط بدائى للإعارة الخارجية فى هذه المكتبة ، حيث كان أعضاء الكنيسة كل عام يوما واحدا ثم ينادون على من إستعار كتبا و مخطوطات و يطالبون بردها ، و تبدأ إجراءات إعارة الكتب للسنة الجديدة .

١١٣) فقدت المكتبات فى العصور الوسطى الأوربية دورها الذى كانت عليه فى الحضارات السابقة و

الإزدهـــار الذى عاشته فى الحضارات الفرعونية و اليونانية و الرومانية ...

١١٤) المكتـــبات فى العصور الوسطى الأوربية لم تكن تبذل أى جهود فى سبيل تشجيع الإفادة منها ، بل أنها كانـــت تتفنـــن فـــى وضـــع القيود التى تحد من هذا الإستخدام ، مثال ربط المخطوطات فى سلاسل حتى عند الإطلاع عليها .

١١٥) لعبـــت حـــركات النـــبلاء الرومان و الرهبان و القساوسة دورا كبيرا فى بداية إنقشاع عصور الظلام فـــى أوروبا فى العصور الوسطى ، مما ساعد على تقلص سلطة الكنيسة و البابا رويدا رويدا .

١١٦) كنتـــيجة للتـــبادل الـــتجارى و الـــثقافى ، بدأت الحضـــارة العربـــية فى الإنهيار كنتيجة لسقوط دولة

الأندلس و الحملات الصليبية التى كانت تسلب المكتبات العربية الممتلئة بملايين الكتب الموروثة من الحضارات السابقة فى أثناء غزواتها ، ثم تقوم بنقلها للغرب .

١١٧) كان لظهور الرهبان الإنجليزى (ريتشارد دى بيرى) دورا كبيرا فى تحريك الإهتمام بالكتب و المكتبات فى فترة عصور الظلام ، فقد ثار على ما ساد فى عصره من إنتشار للجهل وعدم الإهتمام بالكتب .

١١٨) فى نهاية العصور الوسطى و كنتيجة للعوامل السابقة فقد طرأت العديد من التغييرات على المجتمع ، حيث بدأ الإهتمام بالحياة العلمية و الثقافية ، و بدأت تظهر لدى الطبقة الأرستقراطية النزعة الثقافية

كـنوعا من التمييز ، حتى أصبح الإهتمام بالكتب و المكتبات نوعا من الحياة الأرستقراطيـة .

١١٩) ظهـرت طوائـف دينـية جديدة إهتمت بتعليم الناس ووعظهم و إرشادهم و لم تكتفى بمجرد التعبد و الصـلاة فقط ، و ذلك بعدما إنهارت المكتبات التى كانـت تابعة للأديرة ، حتى أن بعضها كان يرهن ما بـه مـن كتـب و مخطوطات نظير مبالـغ ماليـة ضعيفة .

١٢٠) بـدأ النشاط العلمى و الأدبى فى العالم الإسلامى فـى نهاية القرن الثامن الميلادى تقريبا ، ساعد على ذلك بداية ظهور صناعة الورق التى دخلت إلى العالم العربى أنذاك عن طريق الأسرى الصينيين .

١٢١) كان يقاس ثراء الناس خلال القرون من التاسع و حتى الثالث عشر فى بلاد المسلمين بمدى ما يملكون من كتب و مخطوطات .

١٢٢) نمـــت الكتـــب بصورة كبيرة فى عام ٨٩١ م ، حيث بلغت دور الكتب العامة فى بغداد أكثر من مائة مكتبة ، و بدأت كل مدينة تبنى لها دورا للكتب لنشر العلـــم و الثقافة بين أفراد الناس ، و كان يجمع فيها المترجمون و المؤلفون فى قاعات خصصت لهم .

١٢٣) كما إقتدى العرب المسلمين بمكتبات الحضارات الرومانية الشرقية التى إستمر وجودها حتـــى ذلك الوقت.

١٢٤) أنشـــأ هـــارون الرشيد مكتبة فى بغداد و زودها بمخطوطات من بيزنطة و البلدان المفتوحة كجزية ،

كمـــا إنـــتهج إبنه المأمون فى عام (٨٣٣ هــ) نفس مـــنهاج أبـــيه فـــى جمع المخطوطات ، و إليه يعود الفضـــل فـــى تـــرجمة أمهـــات المؤلفات اليونانية و الشرقية إلى اللغة العربية .

١٢٥) إهـــتم العـــرب بكافة العلوم الدينية و الدنيوية ، حيـــث ألفوا كتب حول الإسلام و تفسيره و علومه ، كما إهتموا بالشعر الذى يعتبرونه سجل العربية الأول ، و إهتموا بالهندسة و الرياضيات و إعتبروها أدوات لعلـــم المنطق ، كما إهتموا بعلم الموازين و نظريات الضوء و الكيمياء ، بالإضافة إهتمامهم بعلوم اللغة .

١٢٦) بداية ظهور حركة الترجمة عند العرب المسلمين فتنســـب إلى (خالد بن يزيد بن معاوية) الذى يعود

للعصر الأموى ، و كان له إهتمام خاص بنقل العلوم و المعارف من اللغات و الحضارات الأخرى .

١٢٧) ممـــا يذكر فى هذا الصدد أن الجاحظ على سبيل المــثال كان يمر على الوراقين و محلات الوراقة و يبقى فيها للصباح من أجل القراءة و البحث .

١٢٨) عــندما توفى (الصاحب بن عباد) عثروا عنده علـــى مجموعة ضخمة من الكتب و المخطوطات ، كان الفهرست الخاص بها فقط يقع فى (٤) مجلدات ، علـــى عين كانت مجموعة كتبه و مخطوطاته تبلغ حمل أكثر من (٤٠) بعيرا .

١٢٩) تأثـــر العـــرب بالثقافات اليونانية و الفارسية و السريانية و القبطية حيث أخذوا من اليونان فلسفتهم ، و من الفرس علومهم و زادوا على هذه العلوم .

١٣٠) عـرف المجـتمع العـربى الإسلامى كل أنواع المكتبات ، و ذلك لأن الدولة العربية الإسلامية كانت تتباهى بوجود هذه المكتبات على أراضيها .

١٣١) كانـت بداية نشأة المكتبات العربية فى الحضارة الإسلامية فى عهد بنى أمية (العهد الأموى) ، حيث قـاموا بجمع و ترجمة المؤلفات الإغريقية ، كما بدأ أمـراء بنى أمية فى جمع و تكوين المكتبات الخاصة فى قصورهم .

١٣٢) أعقـب مـا سبق بداية ظهور المكتبات العربية الإسـلامية العامة و التعليمية التابعة للمساجد ، حيث لم تكن المساجد مراكز للعبادة فقط ، بل كانت مراكز للتزويد بالعلم و أماكن للحياة السياسية و الإجتماعية .

١٣٣) رصد الحكام العباسيين الأموال الضخمة و أبرز العلمـــاء و المفكريـــن و المترجمين لنقل العلوم من الحضارات الأخرى إلى اللغة العربية .

١٣٤) أولى الخلفاء العباسيين عناية خاصة بالمؤسسات العلمـــية و المكتـــبات ، كمـــا إهتموا بإنشاء مكتبات أخرى خاصة إلحقت بقصورهم .

١٣٥) مـــن أبـــرز مـــا أنشىء فى العصر الفاطمى من مراكـــز ثقافية و حضارية الجامع الأزهر ليكون قلعة للعلوم و الآداب فى عصره ، و الذى تحول فيما بعد إلى الجامع الأزهر .

١٣٦) و تعتـــبر مكتـــبة بيـــت الحكمة هى أول مكتبة رســـمية فى الدولى ، و كان يطلق عليها أيضا خزانة الحكمـــة ، و أنشـــأها هارون الرشيد فى نهاية القرن

الـــثانى الهجرى لتكون مركزا للترجمة ، ثم إزدهرت فـــى عهـــد الخليفة المأمون ، أصبحت هذه المكتبة فى زمـــن الخلـــيفة المـــأمون مكانا للتعليم و الدراسة و مســـتودع للمخطوطات و مقرا للترجمة و التأليف ، إضافة لوجود مرصدا فلكيا بها أيضا ، و كانت مكتبة بيت الحكمة منتدى يجتمع فيه رجال العلم و الفكر و الدارســـين ، و مركزا للترجمة و النسخ ، هذا و بلغ من تشجيع الخلفاء و الأمراء للعاملين فى هذه المكتبة ما ذكرته المصادر من أنهم كانوا يكافئون ، العاملين بإعطـــاءهم زنة ما يقومون بترجمتـــــه للغة العربية ذهبا .

١٣٧) مكتـــبة دار الحكمة فى القاهرة ،أنشأها الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله فى عــــام (٣٩٥) هـــ فى القاهرة ، و ذلك لتكون على غرار مكتبة بيت الحكمة فـــى بغـــداد ، كـــان الهدف الأساسى من إنشاء هذه المكتبة جعلها مركزا حضاريا يدعو للمذهب الشيعى الـــذى يعتـــنقه الفاطميين ، كما يذكر عنها أنها كانت تحـــتوى على مقتنيات فى كافة العلوم التى وجدت آن ذلـــك كالفقـــه و النحو و اللغة و الفلك و العلـــــوم الطبية ...

١٣٨) مكتبة الحَكَم فى قرطبة بالأندلس ، أنشأها (عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل) ، و يطلـــق علـــيها أحـــيانا (مكتبة الأمويين) ، و

البعض ينسبها إلى (الحكم الثانى و هو نفسه المستنصر بالله) .

١٣٩) عرف العرب إبان فترة الحضارة العربية الإسلامية بحب الكتب ، حتى يقال أن موجة حب الكتب و المخطوطات قد إمتدت من الطبقة الغنية المسلمة إلى باقى الطبقات الأخرى و خاصة الطبقة المتوسطة .

١٤٠) ساعد تقسيم الدولة الإسلامية الضخمة المترامية الأطراف إلى أجزاء على إنتشار هذه المكتبات و التباهى بها ، حيث بلغ التنافس بين الحكام و الأمراء على إقتناء الثمين و القيم فى هذه المكتبات أشده .

١٤١) من أشهر مكتبات الخلفاء الخاصة فى هذه الفترة مكتبة الخليفة المنصور التى ألحقت بقصر

الخلافـــة ، و عمل فيها عدد من الوراقين و النساخين كمـــا زودت بمئات المخطوطات فى الشعر و النقد و الدين و الفلسفة و التاريخ ، و قام عدد من المترجمين فـــيها بأمـــر الخليفة بترجمة عدد من كتب الفلسفة و الطب اليونانية و كتب الأدب الفارسى إلى العربية .

١٤٢) عُرفـــت الأندلـــس بشغف أهلها الشديد للكتب و إسرافهم فى إقتناءها و زخرفتها ، و كان إقتناء الكتب فـــى الأندلـــس شـــأنها كشـــأن باقى الأقطار العربية المسلمة مدعاة للتباهى و التفاخر ، حتى وصل الأمر لأن أصبحت الكتب جزء مكمل لأثاث المنازل .

١٤٣) دور النســـاء فى إنشاء المكتبات الخاصة ، منهم عائشة بنت الأمير أحمد بن قادم أمير قرطبة كانت تمـــتلك خـــزانة كتـــب كبيرة خاصة بها ، و هذا فى

الوقت الذى كانت فيه المرأة الأوربية ترزح تحت نير الجهل و العبودية .

١٤٤) المكتــبة المستنصــرية الــتى أسســها الخلــيفة المستنصــر فــى عام (٣٥٠) هــ ، و كانت ذات صبغة إسلامية و دولية ، و إعترفت بها الدولة رسميا للفتوى على المذاهب الإسلامية الأربعة ، و قد إقتنت هــذه المكتبة مجموعة قيمة من المقتنيات فى مختلف العلــوم و الفنون حتى تميزت هذه المكتبة عن سائر مكتبات عصرها .

١٤٥) إهــتم الخلفــاء و الحكــام بإنشاء مكتبات إلحقت بالمستشــفيات وزودوهــا بالكتــب و بخاصة الكتب الطبية لفائدة الأطباء و الطلبة ، من أبرز الأمثلة على ذلك المكتبة الضخمة التى أنشأها (نور الشهيد) فى

دمشق فى القرن السادس الهجرى و التى كانت ملحقة بالمستشفى الذى أنشـــأه فيها .

١٤٦) مـــن أشهر المكتبات العامة فى الدولة الإسلامية أيضـــا مكتـــبة (ســـابور بـــن أردشـــير) ، و هو وزيـــــــــر (بهـــاء الدولـــة البويهى) ببغداد ، و أنشأها فى عام ٣٨٢ هـــ فى بغداد لكى تناظر مكتبة بيـــت الحكمة التى أنشأها الخليفة المأمون فى بغداد ، وهى جزء من دار العلم ، و أوقف عليها أوقافا كثيرة ، و أعطاهـــا الهبات ، و بلغ من شهرتها أن المؤلفين كانوا يسعون لإيداع نسخ من كتبهم بها .

١٤٧) ســـاهم فـــى ضـــخامة مجموعات هذه المكتبات خاصة فى فترات إزدهار الحضارة العربية الإسلامية أن بعـــض مقتـــنى المكتبات الخاصة كانوا يوصون

بمكتباتهم لهذه المكتبات العامة بعد وفاتهم ، مثال ذلك مكتبة الصاحب عباد التى أوصى بها بعد وفأته لتضم لإحدى المكتبات العامة التى وجدت أنذاك .

١٤٨) كانت المكتبات العربية و الإسلامية فى تلك العصور متعددة الخدمات متنوعة الإختصاصات حافلة بالمجلدات تمتاز بحسن التنظيم و الترتيب ، حتى لتذكر بعض المصادر التاريخية أن بعض مكتبات الحضارة العربية الإسلامية تم تصنيفها وفقا لموضوعاتها أو وفقا لمادة صنعها و شكلها .

١٤٩) الكتب النفيسة فكانت تحفظ فى صناديق صغيرة من الجلد أو الورق يكتب عليها عنوان الكتاب و إسم مؤلفه ليتعرف عليه بسهولة ، و كانت عناوين الكتب و أسماء مؤلفيها تكتب عادة على أطراف الكتب التى

توضــــع مستلقية على ارفف تبعا لحجمها بحث يكون الأكبر منها فى الأسفل

١٥٠) أسســـت هـــذه الغرف تأسيسا عظيما ، و فرشت أرضـــها بالســـجاد و علقـــت الستائر السميكة على الأبواب و النوافذ لمنع الغبار و إتقاء البرد شتاءا ، و مـــن حر الشمس صيفا و حماية للقراء و الكتب على حد سواء.

١٥١) تزويد المكتبات بالكتب كان يتم بعدة طرق و هى الشـــراء و الوقـــف و النســـخ و الإهداء و التبادل و المصادرة و الترجمة ، فمما يذكر أن الحكام العرب كانوا ينفقون بسخاء على شراء الكتب و إقتناؤها فى المكتبات ، كان الحكام العرب المسلمون إذا ما فشلوا فى شراء أى مخطوطة أو إستنساخها فإنهم يحصلون

علـــيها عنوة من أصحابها لإيداعها فى المكتبات التى يتولون إنشاءها .

١٥٢) عرفـــت الحضــــارة العربية الإسلامية صيانة و ترمـــيم ما تملكه من كتب و مخطوطات ، فمما يذكر فى هذا الصدد أن مكتبة (دار الحكمة) فى القاهرة ، و الـــتى أنشأهـــــا الحاكم بأمر الله الفاطمــــــى فى عــــــام (٣٩٥) هـــــ كانت تخصص جزءاً من ميزانيــــتها لصــــيانة و ترميم مقتنياتها التى تتلف من كثـــرة إستعمالها .

١٥٣) كــــان أميــــن المكتــــبة فى عهد الحضارة العربية الإســــلامية مســــئولا عــــن تــــزويد المكتبة بالكتب و الإشـــــراف علــــى الفهارس و حسن تنظيمها ، و كان يســـــاعد العلمــــاء و القراء لإيجاد ما يبحثون عنه من

كتب فى المكتبة ، و فوق ذلك كان مسئولا عن حماية الكتب من التلف و الضياع .

١٥٤) كانت المكتبات فى الحضارة العربية الإسلامية تقدم للناسخين و المترجمين أوراق الكتابة و الحبر ، فضلا عن الطعام و الشراب و المسكن .

١٥٥) من أشهر ما إقتنت مكتبات هذا العصر من كتب ببليوجرافية (كتاب الفهرست) لإبن النديم الذى يعتبر شاهد على كثرة المؤلفات و المترجمات فى عهد الحضارة العربية الإسلامية .

١٥٦) كانت رواتب العاملين فى المكتبات العربية الإسلامية تدفع نقدا ، كما كانت مرتفعة إذا ما قيست برواتب العاملين فى مجالات أخرى من الأعمال الإدارية .

١٥٧) كانت كل المكتبات بأنواعها تسمح بالإطلاع الداخلى لمستفيديها ، الذى لم تكن عليه قيود من أى نوع كما كان الحال فى مكتبة دار الحكمة فى القاهرة فترة العصر الفاطمى ، كما سمحت معظمها بالإعارة الخارجية للنسخ .

١٥٨) الغالبية العظمى من المكتبات التى وجدت فترة الحضارة العربية الإسلامية تلاشت و إندثرت بمرور الوقت بإنتهاء هذه الحضارة سواء بالحرق أو التقادم أو السرقة و السلب و النهب أو إغراق الكتب و المخطوطات التى كانت تعج بها هذه المكتبات فى الأنهار فى نهاية هذه الحضارة .

١٥٩) أما عن نهاية المكتبات العربية الإسلامية فتذكر المصادر أن نهاية مكتبة بيت الحكمة أو

(دار المـــأمون) و الـــتى سبق الإشارة إليها سابقا فكما تذكر المصادر كانت على يد (هـــــولاكو) قـــائـــد المغـــــول فى عام (٦٥٦) هـــ إبان فترة الغزو التتارى على البلاد العربية .

١٦٠) كانـــت نهايـــة مكتـــبة (دار العلــم) أو مكتبة (دار الحكمـــة) التى أنشاءها الفاطميين فى القاهرة كمـــا ســبق الذكـــر نتيجة لسوء الأحوال السياسية و القلاقـــل التى سادت البلد فى هذه الفترة ، حيث تذكر المصـــادر أن بعض مقتنياتها قد تبدد ، و بعضها تم إغــراقه فى النيل ، و بعضها تم حرقه أو طُمس ما بها من كتابة و أُستخدمت كأحذية للعامة و العبيد .

١٦١) بغــزو صــلاح الدين الأيوبى للدولة الفاطمية تم القضاء على كافة المكتبات التى وجدت فى هذه الفترة

و مصـــادرة جميع مقتنياتها في عام (٥٦٧) هـ ، و ذلك لأنها جميعها كانت تدعو للمذاهب الشيعية التي تتبناها الدولة الفاطمية .

١٦٢) تدهـــور و إندثـــار المكتـــبات العربية الإسلامية إرتـــبط إرتـــباطا وثـــيقا بـــتدهور الحضارة العربية الإســـلامية التي تعرضت للدمار على أيدي الحملات العســـكرية التي شنها المغول و الصليبيين مما أصاب الكيان العربي الإسلامي بالضعف و التفتت .

١٦٣) كانـــت أوروبا تعيش ظلمات العصور الوسطى ، و بيـــنما كان العرب يعيشون أوج إزدهار حضارتهم ، بـــدأت أوروبا بخطى عثرة تتطلع لحضارة العرب و ما ألفوه و نقلوه من حضارات الأمم السابقة .

١٦٤) تذكر المصادر أن من ضمن هذه المحاولات تلك التى قام بها أسقف مدينة طليطلة فى القرن الثانى عشر الميلادى عندما أنشأ مدرسة صغيرة للترجمة و نقل إليها كل ما أفرزته الحضارة العربية من مؤلفات و أعمال منقولة من تراث الحضارات السابقة إلى اللغة اللاتينية .

١٦٥) ترتب على المحاولات الأولى لهذا الأسقف أن تم نقل و ترجمة المؤلفات العربية و المؤلفات بالغات الحضارات السابقة إلى اللغة اللاتينية ، فتُرجمت الكتب فى شتى المجالات لمختلف المؤلفين كإبن سيناء و الكندى و الفارابى و إبن رشد ...

١٦٦) مع نهاية القرن الثالث عشر الميلادى و بداية نشاط المسيحية و ظهور طوائف متعددة لها و بداية

ظهـور و إنتشار الحركات التبشيرية لها و الطوائف

المتعددة كطائفة الفرنسيسكان و الدومينكان .

١٦٧) بداية من القرن الرابع عشر الميلادى بدأ ظهور المؤسسـات التعليمـية فـى أوروبا ، و بدأت معها محـاولات فصـل المكتـبات عن الكنائس و تركيز العمليات العلمية و الفكرية فى هذه المؤسسات .

١٦٨) بظهور الجامعات فى أوروبا و بداية فصل الدين عـن التعليم بدأ إستقلال هذه المؤسسات التعليمية ، و بدأ الإهتمام بالعلوم الدنيوية على إختلافها كالفلسفة و الطب و المنطق و الرياضيات ... .

١٦٩) مـع بدايـة قدوم القرن الخامس عشر الميلادى بلغـت حركة الإهتمام فى أوروبا قمّة إزدهارها ، و بإنتصـاف هـذا القرن بدأ ظهور الطباعة بالحروف

المـــتحركة فى أوروبا ، و كان ذلك إيذانا بعهد جديد

على أوروبا .

١٧٠) أتاحـــت الطباعة الوقت و الفرصة لتجارة الكتب

أن تنشـــط و للثقافة أن تصل إلى كل مكان على وجه

الأرض .

١٧١) بـــرز مـــن أثروا فى تطور حال المكتبات فى

أوروبـــا جبرائـــيل نوديه الإنجليزى الأصل صاحب

إســـهامات لا تـــنكر فى هذا المجال ، فقد وضع فى

عـــام (١٦٤٢ م) الأســـس الأولـــى لعلم تنظيم

المكتـــبات فـــى أوروبا و الذى يقوم عليه علم تنظيم

المكتبات حتى وقتنا الحاضر .

١٧٢) يعد العصر الحديث هو أخصب فترات تاريخ أوروبا الثقافى و الحضارى ، فهو عصر التنوير الذى تقدمت فيه العلوم .

١٧٣) فيه نشأت المنظمات العلمية و إجتهد المفكرون فى إيجاد تفسيرات منطقية لظواهر الحياة و الطبيعة ، كما تأسست فيها الأكاديميات العلمية .

١٧٤) الغالبية العظمى من المكتبات فى هذه الفترة نشأت إعتمادا على مكتبات أخرى كانت موجودة بالفعل و لكنها كانت تابعة لملوك و حكام أو رهبان و قساوسة تم الإستيلاء عليها عنوة فى إحدى الغارات السياسية أو تنازلوا عنها طواعية ، و تعتبر هى مجرد إمتداد أو إزدهار لها فقط .

١٧٥) مــن أبرز المكتبات في هذه الفترة مكتبة رويال تعد من أهم المكتبات فى فرنسا بعد أن حصلت على رعاية و عناية الملوك لويس الرابع عشر و الخامس عشر و السادس عشر ، فمنذ عام (١٧٣٢) م كانت تفتح أبوابها أمام القراء .

١٧٦) يذكــر أن نابليون بونابرت كان يصحب معه فى حــروبه و تنقلاته مكتبة ضخمة تزيد عن (٣٠٠٠) مجلــد ، كمـــا كان يجمع ما يعثر عليه من كتب فى أثناء هذه الحملات و يصحبها معه إلى فرنسا .

١٧٧) بداية من أوائل القرن التاسع عشر بدأت أوروبا تــنهض من غفوتها بفضل نشاط المكتبات و إنتشار الحــركات التعليمــية و الثقافــية ، ففى هذه الفترة ظهــرت خطــط التصنيف المختلفة و بدأ ظهور علم

الببليوجرافيا و عقد المؤتمرات التى تناقش قضايا المكتبات و الكتب .

١٧٨) المكتبة الوطنية فى باريس تعد هذه المكتبة أقدم مكتبة وطنية فى العالم ، و يُطلق عليها أيضا المكتبة الأهلية إذ تعود بذورها إلى عام (١٣٨٦ م) فى عهد الملك شارل الخامس .

١٧٩) مكتبة المتحف البريطانى تأسست هذه المكتبة فى عام (١٧٥٤ م) بقرار من البرلمان البريطانى ، ثم فتحت أبوابها للجمهور فيما بعد فى عام (١٧٦٠م) ، و أصبحت تعرف بإسم المكتبة الوطنية البريطانية .

١٨٠) تعد هذه المكتبة عند بداية نشأتها بمثابة مكتبة خاصة بأعضاء الكونجرس الأمريكى ، ثم بعد ذلك

أتيحـــت للجمهـــور ، و تطـــورت فيما بعد فأصبحت بمثابة المكتبة الوطنية و التشريعية لأمريكا .

١٨١) مكتـــبة الفاتـــيكان ، وقـــد قامت هذه المكتبة فى أساســها على المكتبات الخاصة للأفراد من البابوات منذ العصور الوسطى ، ووجدت فى مدينة روما .

١٨٢) تُعـــد دار الكتـــب و الوثـــائق القومية من أبرز المكتبات التى وُجدت فى مصر فى العصر الحديث ، كان إنشاءها وليد إهتمام على باشا مبارك ، ثم إنتقل هـــذا الإهـــتمام إلى إسماعيل خديوى مصر فأصدر أوامـــره لعلـــى باشا مبارك فى شهر مارس من عام (١٨٧٠م) بجمـــع المخطوطات النفيسة و الموقوفة على المساجد و الأخرجة ليتكون من هذا الشتات نواة مكتبة عامة يؤمها شتى أفراد الشعب .

٣. ة من عام (١٩٦١ م) ضمت دار الكتب إلى دار الوثائق و سميت دار الكتب و الوثائق القومية ، بداية من علم (١٩٧١م) فقد ضمت الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر إلى دار الكتب و الوثائق القومية ، و سميت الهيئة المصرية العامة للكتاب .

جاء فى الإنترنت



العناية بالكتاب وأشهر خزائن كتب دار الإسلام

بقلم: محمد علي شاهين

وصف المسلمون الكتاب بأنه المسامر الذي لا يبتدئك في حال شغلك، ولا يدعوك في وقت نشاطك، ولا يحوجك إلى التجمّل له، والجليس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يغريك، والرفيق الذي لا يملّك، والناصح الذي لا يستذلّك .

وأوصى المهلبّ بن أبّي صفرة أحدُ حلماء العرب بنيه فقال: يا بني إذا وقفتم في الأسواق، فلا تقفوا إلا على بيع السلاح، أو بيع الكتب .

وقال أبو الطيب المتنبي" XE المتنبي ":

أعز مكان في الدنا سرج سابح   وخير جليس في الزمان كتاب

كتب عربية في شتى أنواع العلوم والمعارف :

وتحدث ابن خلدون" XE ابن خلدون " عن النهضة العلميّة، في ظل دولة الإسلام فقال: طما بحر العمران والحضارة، وانتسخت الكتب، وأجيد كتبها وتجليدها، وملئت بها القصور والخزائن الملوكية .

وضمت المكتبة العربيّة عبر مسيرة الحضارة الإسلاميّة مؤلّفات قيّمة، في شتّى أنواع العلوم والمعارف، لا يزال كثير منها مخطوطاً ومحفوظاً في المكتبات العالميّة، رغم كل ما تعرّضت إليه من حرق وتدمير حاقد، وإهمال جاهل، وتضييع كسول، تناول فيها مؤلفوها شتّى أنواع العلوم والمعارف الإنسانيّة، وفي مقدمتها:

العلوم الدينيّة، وتتكوّن من كتب علم القراءات، وعلم التفسير، وعلم الحديث، وعلم الفقه، وعلم الفرائض، وعلم أصول الفقه.

وعلوم اللسان العربي وتتكون من كتب: علم اللغة، وعلم الأدب، وعلم النحو والصرف، وعلم البلاغة والبيان، ودواوين الشعر ونقده، وفنون النثر، والموشحات والأزجال .

والعلوم الاجتماعية، وتتكون من كتب التاريخ، وتتناول: السير والمغازي، والحوليّات، وتاريخ المدن، والوقائع والحروب، والأنساب، والتراجم والطبقات، والملل والنحل، والتاريخ العام؛ وكتب الجغرافيا، وتتناول: الجغرافيا العامة، والجغرافيا الإقليميّة، والمعاجم الجغرافيّة، وكتب الرحلات، والجغرافيا البحريّة .

العلوم البحته، وتتكون من كتب: الرياضيّات، والفيزياء،

والكيمياء، والفلك، وعلم الأزياج، والهندسة، والطب، والصيدلة، والفلاحة

.

والعلوم العقليّة، وتتكون من كتب: **الفلسفة، وعلم المنطق، والتصوّف، وعلم الكلام، وعلم الإلهيّات .**

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أوّل من حثّ على تعلّم الألسنة والاضطلاع بالترجمة، وروي أن الرسول أمر زيد بن ثابت بتعلّم السريانية فتعلّمها زيد .

فلا عجب أن تضم المكتبات في حواضر الإسلام، تراث الإنسانيّة العلمي والأدبي والفلسفي المنقول إلى العربيّة بالترجمة الأمينة، بالإضافة إلى ما أبدعه العقل العربي من تراث عظيم، في شتى أنواع العلوم والفنون .

وإذا أردنا أن نتصوّر ما بلغته المخطوطات العربيّة من انتشار في مكتبات العالم، وخزائن الكتب، فيكفي أن نذكر أن المستشرق الألماني (كارل بروكلمان" XE بروكلمان ") جمع قائمة بأسماء المكتبات التي تضم مخطوطات عربية، فبلغ عدد فهارسها مائة وثمانية وستين فهرساً .

تراث البردى :

وصفت بنت الشاطئ" XE بنت الشاطئ " أهمية البرديّات فقالت: ألوف لا تحصى من البردى، تسجل حياة أجدادنا، وتضيء للإنسانية

تاريخ مرحلة طويلة وهامّة، من ماضي حضارتها، وتعطي التاريخ وثائق ماديّة كاشفة لما فيه من غموض، ومصحّحة لكثير مما شابه من أخطاء، ومكملة لقصور المرويّات النقليّة التي تتسع للزيف والعبث والوضع، وتتعرض للتجريح والاتهام، ومعها ذخائر نادرة من مخطوطات كتبت على الرق والخشب والخزف والنسيج، ودائع تركها أسلافنا، وطوتها أرض الوادي، وأطلال خرائبه لمدى قرون ودهور، ثم لما بدا الكشف عنها في القرن التاسع عشر، ازدراها قومنا، فلم يجدوا فيها سوى نفايات رخيصة، أو كفريّات محرّمة، وتركوها للأجانب الذين تسابقوا على الكنز . (١)

وتتحدث السيدة بنت الشاطئ" XE بنت الشاطئ " عـن ظـاهرة تسرّب كنوز البردى بسبب عقم الرقابـة الحكوميـة، وغفلـة الحـرّاس الإداريين، وتتحسر على ضياع عشرة آلاف بردية، ومعها مجموعة من الأقمشة الأثريّة، بيعت بخمسة آلاف جنيه إنجليزي، فتقـول: وقبـل أن تلتفت مصر" XE مصر " إلى تسرب هذا الكنـز مـن أرضـها، كانـت مجموعة الأرشيدوق (راينر" XE راينر ") راعي المجمع العلمي النمساوي في ذلك الوقت، قد بلغت نحو سبعين ألف بردية، لا تزال محفوظة فـي مبنى (البرتينا" XE البرتينا ") بمكتبة فيينا، ذخيرة قوميّة غالية، ومـزاراً للعلماء والسائحين، من أنحاء العالم الغربي المعاصر، وكسبت النمسا XE "النمسا " أكبر جولة في السباق حتى غدت العاصـمة الأولـى لدراسـة البردى . (٢)

العناية بالكتب وزخرفتها:

في حضارة الإسلام غدا الولع بالكتب عند المسلمين عشقاً، وتجاوز هذا العشق المضمون إلى الشكل، فلم تتوقف العناية بالكتاب عند من امتهن حرفة النساخة من الخطّاطين والورّاقين البارعين الذين كانوا يختارون أجود الخطوط وأدقّها، بل امتدّت العناية لتشمل غلاف الكتاب الخارجي، وخاصة إذا كان الكتاب مصحفاً شريفاً، وصار التجليد صناعة راسخة، وفناً أصيلاً، يشيع التذهيب فيه والتذويق .

وقد وصلتنا نسخ من المصاحف، كتبها الأجداد على الرق، بالخط الكوفي المحكم العريض، وزيّنوها بعناوين السور، وعلامات الهوامش، وحلّوها بالذهب، وقليل من الألوان، وكان للمجلدات الضخمة من المصحف دفتان من الخشب المطعّم بالعاج أو الأبنوس، ومواد أخرى في نظام هندسي بديع .

وكانت كتب الدين والأدب والعلوم تكتب على الورق الصيني أو البغدادي أو السمرقندي أو غيره، بالحبر الأسود أو بماء الذهب، وكثيراً ما كان يبطّن بالديباج والحرير، ويجلّد بالأدم المدبوغ بعناية، ويزخرف غلافه بالذهب والفضّة والألوان الزاهية المتناسقة ببراعة، وكانت قيمة الكتاب المخطوط تزداد قيمة إذا كان مكتوباً بخط مؤلّفه، أو بقلم أحد مشاهير الخطاطين .

وعرفت هذه الصنعة في بلاد المغرب" XE المغرب " بالتزويق، ومن أشهر المزوقين أبو الحسن يحي بن محمد القيسي" XE يحي بن محمد القيسي "، المشهور بابن الإشبيلي، وكان بارع الخط، مذهباً صناعاً .

وتحدث المستشرق البريطاني (كريستي" XE كريستي ") صاحب كتاب (الدعوة إلى الإسلام) عن زخرفة الكتب بأنها أعجوبة في الوضوح والدقة، ووصف صنّاعها بأن لهم يد حاذقة صبورة، لا تعرف الكلل، وأن آلاتهم ساذجة قليلة، وقال: كان مزينو الكتب في العصور الوسيطة يزيّنون أغلفة الكتب بزخارف مبصومة بصماً عليها بواسطة كعوب معدنية ساخنة، وهي طريقة أصبحت ذات شأن عظيم وانتشار واسع بفضل إتقان الزخرف، والتوصل إلى طرق فعالة بتكبير حجم الكعوب الكاسية، والتفنّن في نقشها، واللجوء إلى ترسيم غلاف الكتاب وحوافيه بنقوش رتيبة متكررة، وأدخل مجلدو الكتب المسلمون طريقة تزيين الأشكال المطبوعة بملء منخفضاتها بماء الذهب، ثم أصبح الذهب يكبس على هذه المنخفضات مرة أخرى بآلات محماة على صفيحة ذهب، وبذلك يبقى التذهيب ثابتاً غير قابل للزوال . (٣)

وعلى العموم فقد اعتبر المستشرق (روم لاند" XE روم لانــد ") صناعة الخط وإنتاج الكتب من أهم الفنون الصغرى في الإسلام، وعزى إلى الإسلام إدخال صناعة التجليد مع الكتب الورقيّــة، بالجلــد المــزيّن بالنقوش النافرة، كما أدخل اللسان الذي يصون حافة الكتاب الأماميــة .

(٤)

خزائن الكتب المشهورة:

عرف المسلمون خزائن الكتب الجليلة الموقوفة على العامّة، المسبلة على أهل العلم بالمشرق والمغرب، والمكتبات الملكية العامرة التي جمعها الخلفاء والأمراء من البلدان القاصية، ومكتبات الأفراد الخاصّة لعدد من الجمّاعين للكتب والدواوين النفيسة، حيث أظهر الناس ولعاً شديداً بجمع الكتب، والتنقيب عن نفائسها ونوادرها، وصار ذلك من سمات النبل والفضل والرئاسة لديهم.

واشتهرت مكتبات خاصة في دار الإسلام لعدد من الأمراء والعلماء، والأفراد منها: مكتبة الصاحب بن عباد" XE الصاحب بن عباد " ، ويقع فهرسها في عشرة مجلدات، وهي المكتبة التي قال فيها المستشرق (ول ديورانت" XE ول ديورانت "): وكان الصاحب بن عباد يمتلك وحده ــ في القرن العاشر ــ كتباً تزيد على كل ما تمتلكه منها أوروبا" XE أوروبا " ومكتباتها مجتمعة؛ ومكتبة أبي الفضل بن العميد بالري، وكانت كتبه تحمل على مائة وقر؛ ومكتبة علي بن يحي المنجم " XEعلي بن يحي المنجم " المشهورة بخزانة الحكمة؛ ومكتبة جعفر بن محمد الموصلي" XE جعفر بن محمد الموصلي "، ومكتبة محمد بن عبد الملك الزيات" XE محمد بن عبد الملك الزيات "، ومكتبة الفتح بن خاقان

" XEالفتح بن خاقان "، ومكتبة أبي المطرف" XE أبي المطرف " القاضي بقرطبة التي قدر ثمنها بأربعين ألف دينار؛ ودخل أبو يوسف القزويني " XEالقزويني " بغداد" XE بغداد " ومعه عشرة جمال عليها كتب، ومكتبة محمد بن نصر الحاجب" XE محمد بن نصر الحاجب "، ومكتبة بني جرادة" XE بني جرادة " بحلب، ومكتبة موفق بن المطران" XE موفق بن المطران " بدمشق، ومكتبة ابن سوار" XE ابن سوار " الكاتب بالبصرة، ومكتبة عبد الرحيم بن عيسى الملجوم" XE عبد الرحيم بن عيسى الملجوم " بفاس، ومكتبة محمد بن أحمد السبائي" XE محمد بن أحمد السبائي " المشهور بابن الطراوة بمراكش، ومكتبة أحمد بن عبد الرحمن " XEعبد الرحمن " المشهور بابن الصقر بمراكش وكانت طافحة بالذخائر والنفائس، ونهبت خلال فتنة وقعت أيام مقامه بغرناطة .

وتحدثت الركبان عن خزائن كثير من العلماء والأدباء ومنها: خزانة أبي عبد الله الواقدي" XE الواقدي " أحد أوعية العلم، وخزانة جعفر بن حمدان الموصلي" XE جعفر بن حمدان الموصلي " أحد أبرز فقهاء الموصل" XE الموصل " وأدبائها، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي مغني الخلفاء، وخزانة أبي عثمان الجاحظ" XE الجاحظ " الأديب المصنّف، وخزانة يعقوب" XE يعقوب " بن إسحاق الكندي" XE الكندي " العالم الفيلسوف، وخزانة الإمام أحمد بن حنبل" XE أحمد بن حنبل " أحد كبار أئمة الفقه، وخزانة ابن الأعرابي" XE ابن الأعرابي " الراوية اللغوي، وخزانة اسماعيل بن إسحاق الفقيه" XE اسماعيل بن إسحاق الفقيه "،

وخزانة إبراهيم بن إسحاق الحربي" XE إبراهيم بن إسـحاق الحربـي " الفقيه المحدّث . (٥)

وخزانة سابور بن اردشير" XE سابور بن اردشـير "، بـالكرخ المشهورة بدار العلم، وزادت كتبها على عشرة آلاف كتاب في مختلـف العلوم والآداب والفنون، وهي غير خزانة العبيديين" XE خزانة العبيديين " المشهورة بهذا الإسم (دار العلم" XE دار العلم").

ومن المكتبات العامّة التي ذاعت شهرتها ثلاث مكتبات، تحـدث عنها المؤرّخون، وأطنب في وصف كنوزها الواصفون وهي: مكتبة بيت الحكمة" XE مكتبة بيت الحكمة " ببغداد المشهورة بدار الحكمـة، أنـشأها الخليفة العباسي هارون الرشيد" XE هارون الرشـيد "، ورعاهـا ابنـه المأمون" XE المأمون "، وجلب إليها الكتب من البلاد البعيدة .

وثاني المكتبات شهرة: خزانة العبيديين" XE خزانـة العبيـديين " المشهورة بدار العلم أنشأها الحاكم بـأمر الله" XE الحـاكم بـأمرالله " الفاطمي بالقاهرة، وكان الناس يقصدونها للقراءة والاستنساخ والدراسة والمناظرة، وكان فيها من يشتغل بالطب والمنطـق و التنجـيم واللغـة، وجلس فيها العلماء، ورتّب لها القوّام والخدم والفرّاشون، وحملت إليهـا الكتب من خزائن القصور الفاطميّة، من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة، وجعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر والمحابر والأقـلام والورق، ووقفت عليها الوقوف .

وأطنب المقريزي" XE المقريزي " في وصــف خزانــة القــطر الشرقي" XE القصر الشرقي " الكبير، أو القصر المعــزّي" XE القــصر المعزّي "، بأنها مفخرة للحياة الدينية والعلمية في العصر الفاطمي، فقــد احتوت على صفوف من آلاف المخطوطات، ويقال أنه كان بها أربعون قسماً، كل قسم منها يحتوي على ثمانية عشر ألف كتاب .

أما ثالثة المكتبات الشهيرة في دار الإسلام فهي مكتبة قرطبة XE "قرطبة "،" XE قرطبة، " التي بلغت أوج عظمتها في عهد الخليفة الأموي المستنصر، ومما يؤثر عن هذه المكتبة أنه كان لها وكــلاء فــي الــبلاد الإسلامية، يزوّدونها بكل جديد من المؤلّفات، ويدفعون لمصنفيها أعلــى الأثمان .

ويروى أنه بعث في طلب كتاب الأغاني إلى مصنّفه أبي الفــرج الأصفهاني" XE أبي الفرج الأصفهاني " ودفع إليه فيه ألف دينار، فأرسل إليه أبو الفرج نسخة مكتوبة من هذا الكتاب قبل أن يظهر في بغــداد XE "بغداد " .

وكان يعين هؤلاء الكتاب بالمال على كتابة مصنّفاتهم، كما كان لا يتردد عن مساعدتهم علمياً عن طريق إعارتهم ما كانوا يحتــاجون إليــه من مصادر، فقد أرسل إلى الكاتب المصري أبي سعيد عبد الرحمن XE "عبد الرحمن " بن يونس صاحب كتاب (تــاريخ مــصر" XE مــصر " والمغرب) كتاباً استعان به هذا المؤرخ في تصنيف كتابه المذكور ؛ كما شجّع العلماء في الرياضة والفلك والطب والصيدلة علــى نــشر نتــائج

أبحاثهم حتى يفيد منها الناس، وعلى هذا النحو ظهرت مدرسة مسلمة المجريطي في الكيمياء والرياضة والفلك، وظهرت مدرسة أبو القاسم الزهراوي" XE أبو القاسم الزهراوي " في الطب، وأبو الحسن الزهراوي في الهندسة، وبفضل هذا التشجيع تمكن قاضيا النصارى بقرطبة وليد بن حيزون، وقاسم بن إصبغ من ترجمة كتاب (ديسقوريدس XE "ديسقوريدس ") في النباتات والعقاقير والطب . (٦)

وتذكر الروايات أن مكتبة هائلة تكوّنت في قرطبة" XE قرطبة " في عهد الحكم الثالث بن عبد الرحمن" XE عبد الرحمن "، وأن عدد الكتب الموجودة فيها نحو نصف مليون كتاب، وهو في تقديرنا رقم كبير جداً، وخاصّة إذا عرفنا أن هذا الجمع قد تم في عصر ما قبل ظهور المطبعة بمئات السنين .

قول أبو محمد بن حزم" XE أبو محمد بن حزم " الأندلسي في كتابه نفح الطيب: كانت خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان، وعدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربعون فهرسة، وفي كل فهرسة عشرون ورقة، ليس فيها إلا أسماء الدواوين .

وكانت هذه المكتبة تفوق في عظمتها مكتبات القاهرة" XE القاهرة " وبغداد والاسكندريّة لما كانت تحويه من الكتب النادرة، وبلغ من حرص الحكم على اقتنائه للكتاب أنه كان يعمل جهده على أن يظهر الكتاب الحديث في مكتبة قرطبة" XE قرطبة " قبل أن يظهر في موطنه الأصلي

(٧) .

ومنها: مكتبة بني عمّار " XE مكتبة بني عمّار " بطرابلس الشام XE "الشام "، ومكتبة جامع مرو" XE مرو " التي ترنّم بـــذكرها يـــاقوت XE "ياقوت " الحموي" XE ياقوت الحموي " في معجم بلدانه فقال: وكان بهـــا إثنا عشرة خزانة، بإحداها نحو من اثنى عـــشر ألـــف مجلّـــد، وكانـــت الخزائن سهلة التناول، لا يفارق منزلي منها مائة مجلد وأكثر بغير رهن، تكون قيمتها مائتي دينار، فكنت أرتع فيها، وأقتبس من فوائدها، وأنساني حبها كل بلد، وألهاني عن الأهل والولد . (٨)

ويحدثنا القزويني" XE القزويني " عن خزانة الكتب المنسوبة إلى الوزير الخاتوني" XE الخاتوني " في جامع ساوة" XE جامع ساوة " فيقول: والطاق الذي هو على باب الجامع، وهو طاق عال جداً، مثل طاق كسرى، على طرفيه منارتان في غاية العلو، ليس في شيء من البلاد مثله، وفي وسط الجامع خزانة الكتب المنسوبة إلى الوزير أبي طاهر الخاتوني، فيها كل كتاب معتبر كان في زمانه، مع أشياء نادرة من الخطوط المنسوبة، والاصطرلابات والكرات . (٩)

ويتحدّث الأستاذ جلال مظهر" XE جلال مظهر " عن عبقريّة الحضارة العربيّة وعن التعليم ، واللغة، والعلم، والمكتبات عند العرب بشكل مبهر فيقول: كان في بغداد" XE بغداد " مائة مكتبة لبيع الكتب عام ٨٩١ ميلادية، وألحقت المكتبات العامة بالجوامع، وعندما اجتاح التتار بغداد كان بها ٣٦ مكتبة عامة، ولمّا مات الواحدي" XE الواحدي " ترك

ستمائة صندوق من الكتب يحتاج كل صندوق إلى رجلين لحمله . (١٠)

ويتحدّث الأستاذ محمد المنوني" XE محمد المنوني " صاحب (حضارة الموحّدين) عن نهضة المكتبة المغربيّة في عهد الموحّدين فيقول: تضخّمت، المكتبة المغربيّة لهذا العهد، وامتلأت بنفيس الدفاتر والذخائر، وصارت تقارب في بعض مظاهرها المكتبة الأندلسيّة إبّان ازدهارها، وينقل من المعجب أن الشواهد على عظمة المكتبة المغربيّة حينئذ أن قسم الفلسفة من مكتبة يوسف اجتمع فيه قريب مما اجتمع للحكم بالأندلس، وأنه كان بمدينة مراكش" XE مراكش " وحدها من دكاكين الكتبيين مائتا دكان لبائعي الكتب المخطوطة، كانت بجوار جامع الكتبيين .

ويضيف قائلاً: كان الخلفاء الموحّدون مضرب الأمثال في الاهتمام باقتناء الكتب وتملّكها، وأن هؤلاء بلغ بهم الاعتناء والاهتمام بهذه الناحية إلى حد أن كانوا ينتزعون ملكيّة المكاتب ممن يخشى ضياعها عنده لأجل صيانتها في مكتبتهم، ويعوّضون أصحابها عنها التعويضات السنيّة . (١١)

وتميّزت المكتبات الإسلاميّة العامّة بأناقة مبانيها، واتساع حجراتها وأروقتها، وفخامة تأثيثها، وتناسق خزائنها، ولم تخل مكتبة عامّة من هيئة مشرفة تضم خازناً (أمين المكتبة) ومترجماً، وناسخاً، ومجلّداً، ومناولاً .

أما الكتب فكانت موضوعه في متناول الجميع، ومعدّة للتداول، ومرتّبة ومعنونة ومرقّمة ومفهرسة، ولم تغلق خزائن الكتب إلا على المخطوطات النادرة الثمينة، خشية وقوعها في يد جاهل .

وكان لكل مكتبة عامّة نظام للاستعارة، فيشترط النظام على المستعير أن يكون موثوقاً وأميناً، وأن يلتزم بدفع ضمان معين للكتاب المعار، ويحدّد النظام مدّة الإعارة، وقد يشترط الواقف منع إخراج الكتب من المكتبة.

حوانيت الورّاقين:

ولم تخل مدينة إسلامية من سوق للورّاقين، كان أشبه بمعرض دائم للكتاب، يلتقي فيه المؤلفون والنقاد والنسّاخ والخطّاطون، وطلاّب العلم، وهواة جمع الكتب، وقد ساهمت هذه الحوانيت في تنشيط حركة التأليف، وتيسير سبل الانتفاع بالكتاب العربي، وسهولة انتقاله عبر حواضر العالم الإسلامي، وميداناً للتنافس في الخط والتجليد والتذهيب.

غزارة في التأليف والتصنيف:

أخرجت العقلية الموسوعيّة التي اتصف بها المؤلفون المسلمون دوائر معارف ضمت شتى أنواع العلوم والفنون والآداب، وعدّت مؤلفات كثير منهم بالمئات، وضمّت قائمة كتب ابن سينا" XE ابن سينا " أكثر من

مائتين وسبعين كتاباً في الطب والفلسفة وغيرها من أصناف العلوم، وضمت قائمة كتب ابن الهيثم" XE ابن الهيثم " أكثر من مائتي كتاب في العلوم والطب وغيرها، وتجاوز عدد كتب البيروني" XE البيروني " مائتي كتاب في التاريخ والجغرافيا والرياضيات وغيرها من المؤلفات النادرة .

وحظي المؤلّفون من الخلفاء بالتشجيع والرعاية، ومن المجتمع بالاحترام والتقدير، وجرت عادة الحكّام في الأندلس" XE الأندلس " على إعفاء المؤلّفين من الغزو، وبذل الجوائز والعطايا لمن يطّلع بهذه المهمة الفكريّة الراقية .

ويتحدث الدكتور الكروي وزميله الدكتور شرف الدين عن ازدهار الوراقة بظهور الإسلام، وازدهار الحضارة الإسلاميّة، وانتشار مجالس الإملاء، فيقولان: شهدت بغداد" XE بغداد " في القرن الثالث للهجرة سوقاً كبيرة للوراقين، كان بها أكثر من مائة حانوت للوراقة، ولم يبلغ الشغف باقتناء الكتب في بلد آخر من بلاد العالم ما بلغه في بلاد الإسلام في القرون الأولى له .

وفي عهد الموحدين بالمغرب نهضت صناعة الوراقة وبلغت غايتها في الجودة والاتقان، واشتهر من أهلها رجال وصفوا بجودة الخط والبراعة فيه، وسرعة الكتابة، والإتقان والأناقة ؛ ويضيفان: وقد كانت نتيجة العمل في الوراقة أن ظهر في العالم الإسلامي ورّاقين من أمثال ابن النديم" XE ابن النديم "، المتوفي سنة ٣٧٧ه ؛ وهذا يقودنا إلى الحديث عن الببليوجرفيا كموضوع تعالجه مدارس المكتبات في عصرنا الحديث،

وقد سبقه ابن النديم ومثله أجدادنا العرب المسلمين بأكثر من ألف عام.

ومما يؤثر عن العلماء المسلمين قيامهم بتصنيف العلوم والمعارف، عندما جعلوا التصنيف علماً مستقلاً بذاته، وهو العلم الذي عرّفه طاش كبري زادة" XE طاش كبري زادة " صاحب كتاب (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) بقوله: هو علم باحث عن التدرج من أعمّ الموضوعات إلى أخصّها ليحصل بذلك موضوع العلوم المتدرجة تحت ذلك الأعم، ويمكن التدرج فيه من الأخص إلى الأعم أيضاً ؛ وبذلك جاء تصنيفه أقرب التصانيف إلى الأنظمة الحديثة . (١٢)

ضياع وتدمير وإحراق الكتب العربية:

ضاعت كثير من الكتب العربيّة، خلال فترات الضعف السياسي، وتراخي قبضة الدولة عن حماية تراث الإسلام ومواريثه الثقافيّة، وأخرجت المخطوطات القيّمة من خزائنها، وصارت عرضة للسرقة والنهب والضّياع، وانتقلت المخطوطات النادرة من موطنها الأصلي إلى مكتبات أوروبا" XE أوروبا " ومتاحفها في غياب الوازع الديني والأخلاقي، ولم يسلم من هذا السطو المنظم إلا القليل .

ففي مكتبة الأسكوريال" XE مكتبة الأسكوريال " بمدريد يوجد مخطوط نفيس نادر لمصحف كريم مذهب، كبير الحجم، حازته الدولة الإسبانية سنة ١٥٩٤م

وكانت الكتب القيّمة كسائر التحف النادرة، والجواهر النفيسة، تهدى إلى الملوك والضيوف المبجلين، فقد أهدي إلى الإمبراطور الألماني يوم زار الشام" XE الشام " مصحف عثماني نادر، لا يقدر بثمن، كان قد شوهد قبل نحو قرن ونصف في قلعة حلب" XE حلب "، ومن الجدير بالذكر أن (معاهدة سيفر) قرّرت إعادة هذا المصحف العثماني إلى المسلمين، وتسليمه إلى الشريف حسين بن علي" XE حسين بن علي " ملك الحجاز" XE الحجاز " آنذاك، لكننا لم نعد نعثر له على أثر، ويبدو أنه لا يزال لدى الألمان .

ولم تتوقف محاولات سرقة المخطوطات النادرة من متاحفنا، بسبب ضعف الرادع الديني والوطني، وضعف الإجراءات الرادعة، ففي منتصف عام ٢٠٠٠م اعتقلت الشرطة التركية رجلاً حاول صعود طائرة متجهة من نيقوسيا إلى بريطانيا، بتهمة الشروع في تهريب مخطوطة نادرة للقرآن الكريم مطلية بالذهب لا تقدر بثمن، كتبت في عهد السلاجقة، بالإضافة إلى رجلين آخرين شاركا في عملية سطو على متحف طوب قبو سراي" XE متحف طوب قبو سراي "، وطلبت السلطات التركية ملاحقة التاجر البريطاني الذي موّل عملية التهريب وخطّط لها، والتحقيق معه .

وعندما غربت شمس الإسلام في الأندلس" XE الأندلس "، تحركت نزعة الحقد الدفين ضد الحضارة العربية الإسلامية، التي كانت تتخفي خلف رداء الكهنوت، ومظاهر التقوى المزيّفة، عندما أمر

الكاردينال (زمنيز" XE زمنيز ") كبير أساقفة قشتالة، سنة ١٥١١ م بأن تحرق في ساحة غرناطة" XE غرناطة " الرئيسية مخطوطات عربيّة في شتى العلوم والفنون، تقدّر بالآلاف، لم يستثني منها سوى ثلاثمائة مخطوط في مسائل العلوم، نقلها إلى جامعة القلعة، وكانت المصاحف الأنيقة المتقنة الخط في مقدّمة ما أحرقه الكاردينال، حيث ارتفعت سحابة كثيفة من الدخان في سماء غرناطة، جلّلت المدينة بالسواد .

والأدهى من ذلك أن المسيحيين كانوا قد أعطوا وعوداً قبل الدخول بحماية هذا التراث، ولكنهم أخلفوها، وجمعوا الكتب الجليلة وأحرقوها، فتلذّذوا بمنظرها، وظنّوا أنهم بعملهم هذا قد قضوا على دين المسلمين وآدابهم .

وهنا نعيد إلى الذاكرة تلك العبارة الذليلة التي تفوه بها أبو عبد الله الصغير وهو يسلم مفاتيح قصر الحمراء" XE قصر الحمراء " لفرديناند الذي لم يكن في أي يوم من الأيام رحيماً بهذا التراث المقدس: (إن هذه المفاتيح هي الأثر الأخير لدولة العرب في بلادكم، لقد أصبحت أيها الملك سيّد تراثنا، هكذا قضى الله، فكن في ظفرك رحيماً عادلاً) .

وكاد ديوان التحقيق الديني الذي أخذ على عاتقه إبادة كل أثر للعرب أن يجعل تلك المخطوطات العربية في مكتبة (الأسكوريال) طعاماً للنار، لولا أن تلطّف (المركيز فيلادا) وحال دون إحراقها . (١٣)

وفي هذا الصدد يقول الكاتب الأوروبي (كوندي" XE كوندي ")

إن الإسبان عند استيلائهم على قرطبة" XE قرطبة " من يد المسلمين، أحرقوا في يوم واحد نحو سبعين خزانة للكتب حوت أكثر من مليون وخمسين ألف مجلد، بمظنّة أن هذه الكتب هي نسخ للقرآن الكريم، وقد جرى إحراقها بمراسيم دينية، كما أن المؤرخ (فلشيه" XE فلشيه ")، ذكر في كتابه في معرض الإشادة بمآثر (أبسقيوس" XE أبسقيوس ") طليطلة " XEطليطلة "، أنه أحرق خمسة آلاف نسخة من القرآن الكريم المحلاة بالذهب، والمخطوطة بماء الذهب، كما أحرق ثمانية آلاف مجلّد من الكتب العربية المخطوطة، وقد ذكر في حاشية كتابه أن المسلمين تمكّنوا بشق النفس من إنقاذ بعض هذه الكتب، وذكر المؤرخ الإنجليزي (ليون " XEليون ") أنه استضاف أحد الأندلسيين من الذين نزحوا من الأندلس " XEالأندلس " إلى أفريقيا، ومعه ثلاثة آلاف مجلد تمكن من تخليصها من الحرق، وفي عهد (فيليب الثالث" XE فيليب الثالث ") ملك إسبانيا XE "إسبانيا "، استطاعت السفن الإسبانيّة أن تأسر مركبا مغربياً لمولاي زيدان ملك المغرب" XE المغرب "، كان مشحوناً بالكتب والتحف، وكان فيه ثلاثة آلاف من كتب الدين والأدب والفلسفة وغيرها، وقد حملت هذه الكتب إلى مكتبة قصر (الأسكوريال) . (١٤)

ومن الجدير بالذكر أن العالم اللبناني ميخائيل الغزيري، XE "ميخائيل الغزيري، " وضع فهرساً، لهذه المجموعة النادرة من كتب (الأسكوريال) باللغة اللاتينية بعنوان (المكتبة العربية الاسكوريالية) في مجلّدين .

ومن سوء الحظ أن (المكتبة الملكية" XE المكتبة الملكية ") في قصر (الأسكوريال) — دير إلى الشمال من مدريد العاصمة الإسبانية — قد تعرّضت لحريق كبير سنة ١٠٨٥م أتى على ثمانية آلاف مجلّد من أندر الكتب العربية وأنفسها .

كما أنها تعرّضت للنهب عام ١٨٠٨م خلال حملة (لاهوسيه XE "لاهوسيه ") الفرنسي، فأصاب مخطوطاتها تلف كبير.

وتحدث الدكتور زكي النقّاش" XE زكي النقاش " عن الحالة الفكرية في الديار الشامية عشية الحروب الصليبيّة، فذكر أنها كانت حركة مباركة، تتجلى في مدارس مدنها الكبرى، كإنطاكية وطرابلس والقدس ودمشق، وأن هجمات الافرنج في أواخر القرن الحادي عشر، قد أخمدت من قوتها، وإن لم تستطع أن تطفئ جذوتها، ويكفي أن نذكر ما اقترفه القوم في طرابلس" XE طرابلس " من إطعام مكتبتها الكبرى إلى النيران، حتى يحز الألم في نفوسنا، وندرك ذلك الأثر السيء الذي تركته تلك الحروب في مستهلها، على الحركة الفكريّة عامّة، والعلميّة منها خاصّة . (١٥)

تحريف ترجمة التراث إلى اللاتينية:

ولا يقل عن الضياع والتدمير والإحراق ما وقع فيه المترجمون الأوروبيّون من أخطاء وتحريف للتراث العربي .

يقارن (لوسيان لوكلير" XE لوسيان لوكلير ") في كتابه (تاريخ الطب العربي) بين ترجمة العلم الإغريقي إلى اللغة العربية، والتي تمّت في العصر الذهبي، وبين ترجمة العالم العربي إلى اللاتينية التي تمت في القرن الثاني عشر والثالث عشر في إسبانيا" XE إسبانيا " وصقلية فيقول: إذا أردنا أن نقارن بين ترجمات طليطلة" XE طليطلة " وبين ترجمات بغداد" XE بغداد " يكفينا أن نستعيد الظروف التي تمت كل منهما خلالها، حتى نفهم أن الأولى أدنى من الثانية قيمة، ففي بغداد كان هناك رجال مهيأون للقيام بدورهم، يشجعهم مُعنوياً ومادياً حكّام وأغنياء، أما في طليطلة فقد قام بالترجمة جماعة من العلماء بدون مال، علماء كانوا مضطرين لتعلم العربيّة مقدّماً وبصعوبة، وكانت تعوزهم الوثائق العلميّة التي يمكن أن تنير أعمالهم وتخصبها، كما كانوا يجدون صعوبة في الحصول على نصوص جيدة أصليّة .

لذلك لم يكن غريباً أن يأخذوا على الترجمات العربية ــ اللاتينية أخطاءها وتحريفها لأسماء الأعلام والصيغ التكنيكية، وكثرة الصيغ المنقولة حرفياً دون ترجمة . . إن هذه الأخطاء لم يكن ممكناً تجنبها . (١٦)

لم يكن في الإسكندريّ" XE الإسكندرية "ة مكتبة يوم الفتح :

عندما افترى اليهودي أبو الفرج ابن العبري،" XE ابن

العبري، " صاحب (مختصر الدول) على المسلمين، رواية إحراق مكتبة الإسكندرية" XE الإسكندرية "، بعد أكثر من خمسمائة سنة من وقوعها، مدّعياً أن عمرو بن العاص" XE عمرو بن العاص " أوقد حمّامات الإسكندريّ" XE الإسكندرية "ة ستة أشهر منها، استقبل المحقّقون هذه الرواية بالازدراء، ووصفوها بالسخف، وقلّة العقل، لأن عناية المسلمين بالكتاب وتقديسهم له تفوق الوصف كما أسلفنا، وفي مقدّمتهم طائفة من المستشرقين المنصفين أمثال: (سيديو" XE سيديو ") و(غوستاف لوبون " XEغوستاف لوبون ") و(كازانوفا" XE كازانوفا ") أما (بتلر" XE بتلر ") فجعلها أقصوصة من أقاصيص الخرافة، ليس لها أساس من التاريخ، وعقد لها في كتابه (فتح العرب لمصر) فصلاً خاصاً تحت عنوان (مكتبة الإسكندرية" XE مكتبة الإسكندرية ") استهجن فيها إغفال كاتب من أهل العلم، كان على عهد قريب من فتح الإسكندرية، مثل (حنا النيقوسي) وظهور هذه الرواية بعد نيف وخمسمائة عام، وذكّرنا بشروط الصلح التي سمح بموجبها نقل المتاع والأموال في مدة الهدنة التي بين عقد الصلح ودخول العرب في المدينة، وقدر ذلك أحد عشر شهراً، وقال: فحصنا القصة وحلّلنا ما جاء فيها، فألفيناه سخافات مستبعدة ينكرها العقل (١٧) .

ونظر الدكتور شوكت الشطي" XE الشطي " فيما قيل عن حرق مكتبة الإسكندريّ" XE الإسكندرية "ة فذكر أن عدداً كبيراً من بحاثي العرب ومؤرخي الغرب، وضعوا رسائل وكتباً تنقض هذه الرواية من

أساسها، أكّدوا فيها أن مكتبة الإسكندريّ" XE الإسكندرية "ة أحرقها الرومان قبل الفتح الإسلامي، وهو أمر مسلّم به، وليس هناك أي سبب يحمل على الشك فيه، وذكروا أن (سنكا" XE سنكا ") الفيلسوف معلم (نيرون" XE نيرون ") أول من أخبر بحرق مكتبة الإسكندريّ XE "الإسكندرية "ة، وأن (يوليوس قيصر" XE يوليوس قيصر ") الذي امتنع عن تسليم (كليوباطرة" XE كليوباطرة ") إلى المصريين، وقاتلهم بسببها، اضطر أن يضرم النار في سفنه التي في المرفأ فاندلع لسان اللهب منها، وامتدّت إلى المتحف والمكتبة فاحترقت، وقد أكّد هذه الرواية (بولس XE "بولس " أوروسيوس) في التاريخ الذي ألفه نحو ٤١٦ م حيث قال: صدرت أوامر قيصر في غضون القتال بإضرام النار في الأسطول الذي كان راسياً قرب الشاطئ فاتصلت النار بقسم من المدينة وحرقت ٤٠٠ ألف كتاب، فتلف بذلك الأثر العجيب، وأن بعض الباحثين أن بناء مكتبة الإسكندرية" XE مكتبة الإسكندرية " حجري بجدرانه وسقوفه، وأن مكانها سر كامن مع سر مدفن الإسكندر" XE مدفن الإسكندر "، وأنهما موجودان تحت أنقاض من التراب والكثبان . (١٨)

* * * * *

المراجع:

١ ــ تراثنا بين ماض وحاضر ص ١٠٥ بنت الشاطئ" XE بنت الشاطئ " .

٢ ـ الحضارة والتمدن الإسلامي ص ١٢٩ نقلاً عن معجم البلدان لياقوت .

٣ ـ تراث الإسلام ص ٢١٥ بحث أي . اج . كريستي XE "كريستي " .

٤ ـ الإسلام والعرب ص ٣٣٣ روم لاندو" XE روم لاندو " .

٥ ـ معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري ص ٢٩٠ أحمد عبد الباقي" XE أحمد عبد الباقي ".

٦ ـ قرطبة" XE قرطبة " حاضرة الخلافة في الأندلس XE "الأندلس " ج ٢ ص ١٦٥ د. السيد عبد العزيز سالم" XE السيد عبد العزيز سالم " .

٧ ـ فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم ص ٢٦٩ زكريا هاشم" XE زكريا هاشم " زكريا .

٨ ـ تراثنا بين ماض وحاضر ص ١٢٦ بنت الشاطئ" XE بنت الشاطئ " .

٩ ـ آثار البلاد وأخبار العباد ص ٣٨٧ للقزويني .

١٠ ـ الحضارة الإسلامية ص ١٠٤ عبد التواب يوسف" XE عبد التواب يوسف " .

١١ ـ حضارة الموحدين ص ١٨٢ محمد المنوني" XE محمد المنوني " .

١٢ ـ المرجع في الحضارة العربية الإسلامية ص ٤٥٨ ، ٤٦٥

د. إبراهيم الكروي" XE إبراهيم الكروي "، ود. عبد التواب شرف الدين

.

١٣ ــ الحضارة والتمدن الإسلامي ص ٨٤ د. عبد المتعال الجبري" XE عبد المتعال الجبري " .

١٤ ــ الأندلس" XE الأندلس " الذاهبة ص ٤٧٥ الوزير ضيا باشا "XEضيا باشا " .

١٥ ــ العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج ص٣ ١٩ زكي النقاش" XE زكي النقاش "

١٦ ــ كتب أنصفت حضارتنا ص ٥٥ فريد جحا" XE فريد جحا " . نقلاً عن تاريخ الطب العربي م ٢ ص ٣٤٦ لوسيان لوكلير XE "لوسيان لوكلير " .

١٧ ــ كتب أنصفت حضارتنا ص ١١١ فريد جحا" XE فريد جحا " . عن فتح العرب لمصر ص ٣٤٨ بتلر" XE بتلر ".

١٨ ــ مجموعة أبحاث في الحضارة العربية الإسلامية ص ٦٤ د. شوكت الشطي" XE الشطي " .

بحث في كتاب الإسلام حضارة وتقدم ورفاه، تأليف : محمد علي شاهين . (الكتاب تحت الطبع)

عصر ازدهار الثقافة

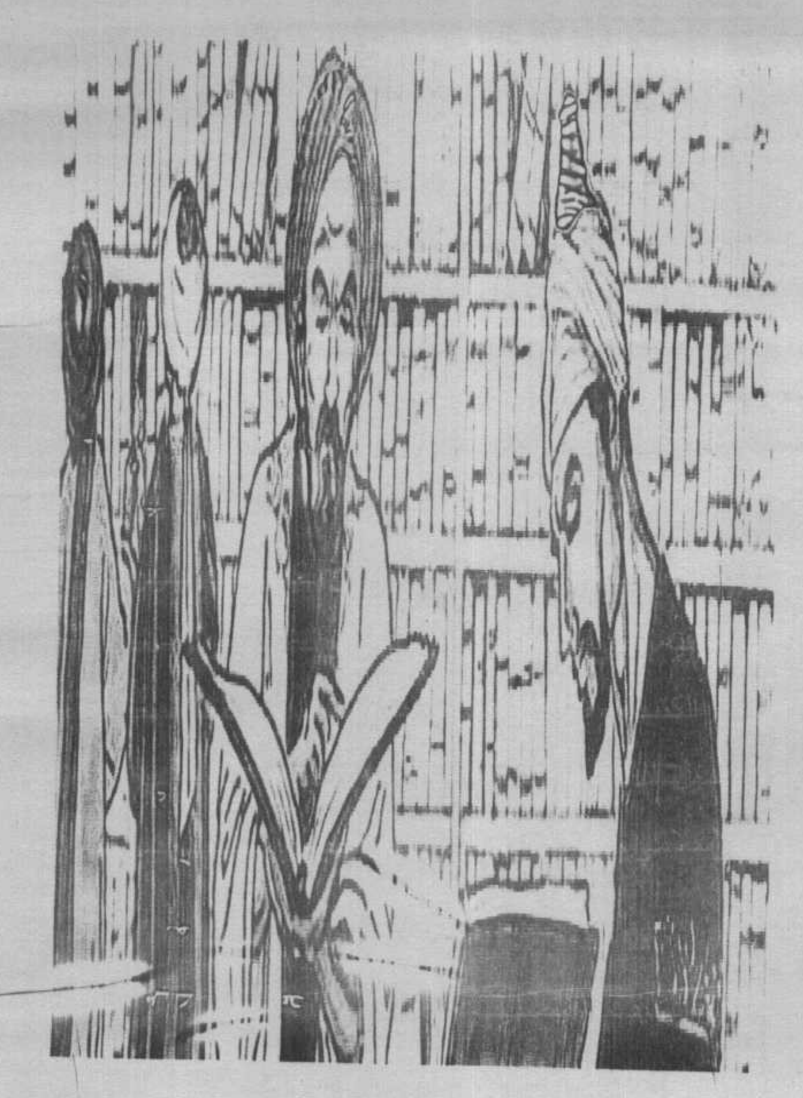
(بيت الحكمة) و (دار الحكمة)



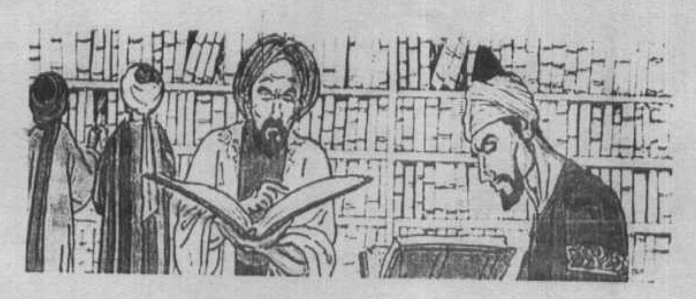
نحن الآن في عصر الخليفة (المأمون)، ولولا أن الشوارع في بغداد خالية من السيارات والعربات، والناس ما زالوا يرتدون الزي العربي الأصيل لحسبت أنك تعيش في هذا القرن، فالشوارع واسعة، نظيفة، والأسواق عامرة بالبضائع وقناديل الضوء معلقة في الطرقات وعلى واجهات البيوت والمخازن، وكل شيء في بغداد يوحي لك بأنها مدينة عصرية، ساحرة، لا تختلف كثيراً عن المدن الكبيرة في هذه الأيام.

هكذا كانت بغداد تبدو للزائر حين يحلُ بها، وما إن يستقر به المقام حتى يكتشف ما يزيده عجباً ودهشة فهناك سوق كامل لأصحاب المكتبات يُسمى (سوق الوراقين) تستطيع أن تجد فيه بغيتك من الكتب العربية والمترجمة، والغريب أن هذا السوق ما زال إلى الآن بعد أكثر من ألف عام خاصاً ببيع الكتب، فما عليك إلا أن تسأل أول من

تقابله في طريقك عن أقرب مكتبة عامة فيشير لك بإصبعه، فهي بالتأكيد ليست بعيدة عن المكان الذي أنت فيه.



ذلك الوقت ثم أضيف لها آلاف الكتب التي أهديت إليه من ملوك وأمراء العالم القديم، ثم جاء بعده (المأمون) وكان شغوفاً بالكتب محباً للعلم والعلماء، فنقل إلى (بيت الحكمة) كل علوم الهند واليونان وفارس، وعين سهل بن هارون مشرفاً عاماً عليها، وقد أرسل المترجمين والوفود لجمع كل تراث الإنسانية فنقله إلى بغداد وعكف على ترجمته مترجمون متخصصون من أمثال يوحنا بن ماسويه وحنين بن إسحاق وثابت بن قره وغيرهم حتى غصت مكتبة (بيت الحكمة) بمئات الآلاف من المجلدات وعكف عشرات الموظفين على تنظيمها وفهرستها ليسهل على المطالع الحصول على مراده بشكل سهل ويسير. وحين اتسعت رفوفها وأروقتها قُسمت حسب موضوعاتها ومؤلفيها بشكل علمي دقيق فهذه قاعة للأدب وتلك للطب وعلم الفلك والرياضيات والفقه والحديث وغير ذلك.



وبعد (بيت الحكمة) أنشئت مكتبات صغيرة في كل حي من أحياء بغداد، وكل مدينة من مدن الدولة العباسية حتى إن زائراً إلى بغداد أحصى عدد المكتبات العامة فيها عام (٨٩١م) فوجدها أكثر من مئة مكتبة، ولم يمضِ على ذيوع شهرة هذه المكتبات وقت طويل حتى برزت مكتبات أخرى تضاهي (بيت الحكمة) وتتفوق عليها. فهناك (دار الحكمة) التي أنشأها في القاهرة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله عام (٣٩٥هـ)، ويروي المؤرخون أن الكتب (قد

نقلت إليها من خزائن القصور ما لم يُرَ مثله مجتمعاً لأحد الملوك أو الخلفاء قط)، وتذكر المصادر أنها حوت ١,٦٠٠,٠٠٠ مجلد ضمّت (٦٥٠٠) مخطوطة في الرياضيات و(١٨,٠٠٠) مخطوطة في الفلسفة وكان الدخول إليها والاستنساخ والترجمة مجاناً.

يقول المؤرخ الكبير (أحمد بن علي المقريزي): (إن دار الحكمة في القاهرة لم تفتح أبوابها للجماهير إلاّ بعد أن فُرشت وزُينت وزخرفت وعُلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور، وعُين لها القوام والخدم وكان عدد الخزائن فيها أربعين خزانة تتسع الواحدة منها لنحو ثمانية عشر ألف كتاب، وكانت الرفوف مفتوحة والكتب في متناول الجميع، ويستطيع الراغب أن يحصل على الكتاب الذي يريده بنفسه ما تيسر له ذلك، فإذا ضلّ الطريق استعان بأحد المتناولين.

هذا عن (بيت الحكمة) في بغداد و(دار الحكمة) في القاهرة، أما عن المكتبات الأخرى فالحديث يطول، وقد ذكرت المستشرقة الألمانية (زكريد هونكه) في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب): (إن مكتبة صغيرة كمكتبة النجف في العراق كانت تحوي في القرن العاشر أربعين ألف مجلد، بينما لم تحوِ أديرة الغرب سوى اثني عشر كتاباً ربطت بالسلاسل خشية ضياعها، وكان لكل مسجد مكتبته الخاصة، بل إن لكل مستشفى يستقبل زواره قاعة فسيحة صفت على رفوفها الكتب الطبية الحديثة الصدور تباع لتكون مادة لدراسة الطلاب ومرجعاً للأطباء يقفون منه على آخر ما وصل إليه العلم الحديث.



وحذا حذو الخليفة في بغداد كل الأمراء العرب في مختلف أنحاء العالم العربي فأربت –مثلاً– مكتبة أمير عربي في الجنوب على ١٠٠,٠٠٠ مجلد، وروي أنه لما شفي سلطان بخارى محمد المنصور من مرضه العضال على يد الشيخ الرئيس ابن سينا – وهو فتى لم يتجاوز الثامنة عشرة– كافأه السلطان على ذلك بأن سمح له أن يختار من مكتبة قصره ما يحتاج إليه من الكتب لدراسته، وكانت كتبها تشغل جزءاً كبيراً من القصر، وقد رُتبت حسب موضوعاتها، ويكتب ابن سينا عن ذلك فيقول: (وهناك رأيت كتباً لم يسمع أغلب الناس حتى بأسمائها).

وقد يطول الحديث عن الكتب والمكتبات العامة والخاصة في الوطن العربي قبل ألف عام حتى لتبدو الأرقام وكأنها من وحي الخيال.

وخير ما نختم به حديث الكتب والمكتبات هو اعتراف الدكتورة (سكريد هونكه) المستشرقة الألمانية الشهيرة حيث تقول: (إن متوسط ما كانت تحتويه مكتبة خاصة لعربي من القرن العاشر هي أكثر مما تحويه كل مكتبات الغرب مجتمعة.

الخديوي إسماعيل

دار الكتب المصرية.. تاريخ حي في ٨ ملايين كتاب



*القاهرة هيفاء دربك

أكبر وأقدم دار كتب في الشرق الأوسط تضم ٥٠٠ دورية وآلاف المخطوطات والأسطوانات النادرة.

المباني كالبشر لها تاريخ، هي تقف على تاريخها الطويل وتستمد منه قيمتها الراهنة، ودار الكتب المصرية نموذج من هذه المباني، فقد تأسست عام ١٨٧٠، أي في عهد الخديوي إسماعيل، والفضل في ذلك يرجع إلى علي باشا مبارك، الذي كان من أكثر الشخصيات المصرية في ذلك الحين حرصاً على جمع التراث العربي، وقد اختار قصر الأمير مصطفي فاضل في حي درب الجماميز بمصر القديمة مكاناً لدار الكتب. وجمع بعض الموظفين

وحدّد لهم مهمتهم في البحث عن الكتب القديمة في المساجد
والكنائس والهيئات والنظارات (الوزارات) حتى تجمع في عام
واحد نحو ٣٠ ألف كتاب في نفس الوقت الذي كان العمل يجري
على قدم وساق لبناء دار الكتب في باب الخلق، وفي العام ١٩٧٠
تم نقل الكتب والوثائق والمخطوطات النادرة إلى المبنى الجديد
بكورنيش النيل ليصبح من أكبر دور الكتب في الشرق الأوسط.

***

أشياء جميلة وغريبة، نادرة تضمها دار الكتب المصرية في
المعرض المخصص لهذه الأشياء الثمينة نطالع أول مخطوطة على
ورق البردي وهي (الجامع في الحديث) ، كتبها أبو عبد الله بن
وهب مسلم القرشي المولود سنة ١٢٥هـ والمتوفى سنة ١٩٧هـ
وهو كتاب جامع للأحاديث مرتب على طريقة المحدثين والفقهاء،
ويشتمل على كتاب الأنساب وكتاب الصمت وكتاب الختم والسلام،
وهذه المخطوطة دونت في أوائل القرن الثالث الهجري على
البردي وعثر عليها بمدينة إدفو أثناء إحدى عمليات البحث
والتنقيب عن الآثار المصرية.

أما أول كتاب مطبوع فهو (القانون في الطب) لابن سينا، وقد تم
طبعه في عام ١٥٩٣ ميلادية.

كتابة على بيضة!

ومن أندر موجودات دار الكتب تلك الكتابة المدونة على بيضة لا ترى بالعين المجردة لكنها تقرأ بوضوح عند استخدام العدسة المكبرة جداً الموجودة في القاعة أيضا، وعلى بيضة ثانية قصة سيدنا سليمان حين دخل القدس. وقد لا يعرف البعض أن المصري القديم استطاع الكتابة على حبات القمح لكن يستطيع الزائر لدار الكتب المصرية أن يتأكد بنفسه من هذه البراعة عندما يشاهد حبة القمح مكتوب عليها باللغة العربية مدح سيدنا موسى عليه السلام حين دخل القدس. وعلى حبة قمح أخرى كتب تاريخ من تولوا الحكم في مصر منذ عمرو بن العاص إلى الملك فؤاد (تولى حكم مصر في عشرينات القرن الماضي).

ومن أهم المخطوطات تدوين القرآن الكريم باللغة العربية على جلد حيواني تبين بعد الفحص والاختبار أنه جلد (دجاجة) في حجم أصغر من كف اليد. وهناك مصحف مكتوب على شريط ورق الكتاب طوله حوالي سبعة أمتار وعرضه ١٣ سنتيمترا، وهو مكتوب سبعة أنهر من سورة آل عمران إلى آخر القرآن الكريم، وتمت كتابته في القرن الحادي عشر الهجري. ويعد مصحف عثمان بن عفان من النفائس النادرة الموجودة في دار الكتب المصرية، وهو مكتوب بالخط الكوفي القديم، ومن المعروف أن تدوين القرآن الكريم تم في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان

حيث تم تدوين آيات القرآن المحفوظ على لوح السيدة حفصة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد خطه أمر عثمان بحرق ما دونه خوفاً من التحريف .

ومن أندر المخطوطات مخطوطة بوستان سعدى شيرازي المكتوبة بخط اليد للسلطان علي الكاتب سنة ٨٩٣ هجرية، والنسخة محلاة بالذهب واللازورد والألوان الزخرفية، وبه ٦ لوحات مرسومة بريشة بهزاد، وأجمل لوحة هي التي توضح روعة مصر وأميرها آنذاك وبداخلها مرسوم قصة سيدنا يوسف وخلفه السيدة زليخا في صورة رائعة .

ميراث الشوامخ

تعد قاعة) متروكات الشوامخ) في دار الكتب المصرية من أجمل قاعاتها وهي تضم مكتبات العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم بالإضافة إلى مكتبة (قوت القلوب الدمرداشية) ، وهذه المكتبات تبرع بها ذووهم للدار بعد وفاتهم، وأيضاً تضم قاعة (متروكات الشوامخ) بعضاً من ملابس وأدوات خاصة كانوا يستعملونها في حياتهم الخاصة، فمثلاً من أطرف ما ترك العقاد بمكتبة دار الكتب ذلك الراديو القديم الضخم الذي كان يستمع إليه قبل أن يكتب، كما ترك طربوشاً وعصاً ونظارة، وأضخم هذه المكتبات مكتبة العقاد التي تحوي أكثر من ١٤ ألف كتاب و ٢٩٢ دورية عربية وحوالي

١٦٣ دورية أجنبية وكل هذه الاعداد قرأها العقاد في حياته كما تقول سيرته الذاتية .

وفي قاعة الفنون، أقدم جهاز تسجيل يعود تاريخه إلى القرن التاسع عشر تعمل عليه أسطوانات نحاسية، أما أقدم أسطوانة نحاسية تستمع إليها على هذا الجهاز القديم فهي موسيقى أوبرا عايدة للموسيقار الإيطالي فيردي، أما أقدم أسطوانة عربية فهي بصوت عبده الحامولي .

ومن أغرب أجهزة التسجيل القديمة والنادرة التي تضمها قاعة الفنون بدار الكتب ذلك الجهاز المصنوع من مادة الشمع وأسطوانته على هيئة كوب شمعي حفرت عليه حروف وكلمات وتدار باليد .

جريدة (الوقائع المصرية) هي أول دورية مصرية وبالتالي أقدمها في الدار وقد صدرت في عهد محمد علي وترأس تحريرها رفاعة الطهطاوي، وقد صدر أول أعدادها باللغة التركية ثم العربية قبل أن تصدر بعد ذلك بالعربية والتركية معاً إرضاء للحكم آنذاك.

وكان اهتمامها منصباً على المراسيم السلطانية بالإضافة إلى الأدب والثقافة .

والجدير بالذكر أن جريدة (الوقائع المصرية) ما زالت تصدر حتى الآن عن المطابع الأميرية وتضم القرارات والقوانين الرسمية ولا

تبـاع للجمهور ويقتصر توزيعها على الجهات الرسمية والتشريعية والقضائية في مصر .

مخطوطات تاريخية وكتب نادرة تحتضنها دار الكتب المصرية

القاهرة ـ(الوطن)*: التاريخ هو ذاك الوعاء الجمعي الذي يحوي معارف أمة في السابق وشخصيتها وأهم ملامحها.. وتدوين التاريخ هو الذي جعل له سمة التواصل، ولك أن تدخل أي متحف لتعرف تاريخ أي أمة من الأمم.. نكساتها.. انتصاراتها.. قوتها.. ضعفها.. أوجه تميزها مراحل انهيارها، تألقها وامتدادها في جذور التاريخ الإنساني.

من هنا تأخذ مصر عظمتها، فإلى جانب تفردها بآثارها الكثيرة إلا أنها تمتلك زخيرة كبيرة من المخطوطات التي جعلت منها مقصدا لكل من يدرك أهمية العلم، إن إدراك العلماء في مصر لقيمة هذه المخطوطات جعلهم يبذلون الجهود للمحافظة عليها كي ينتفع بها القادمون من الأجيال القادمة.

ومصر واحدة من الدول الإسلامية التي تجمع لديها مخزون ضخم من المخطوطات الإسلامية والتي انتشرت في جامعاتها القديمة المقامة في المساجد، وقدر بعض العلماء

أن هذه المخطوطات تعدت في فترة من فترات التاريخ السابقة ملايين النسخ إلا أن أحداثا كثيرة مرت بها عرضتها للنهب والدمار، والتلف، سواء أثناء الحروب الصليبية أو فيضان النيل أو بفعل سوء التخزين إلى أن جاء العهد العثماني ليأمر السلطان سليم الأول بنقل عدد ضخم من المخطوطات المصرية إلى اسطنبول (الآستانة) لتصبح من ذخائر دار الخلافة.

ورغم هذا المخزون الهائل الذي تمتلكه والذي وصل إلى (١٢٠) ألف مخطوطة موزعة بين دار الكتب وعدة مكتبات اخرى في جميع أنحاء مصر، وتحتل المرتبة الثالثة على مستوى العالم في هذا المضمار تسبقها تركيا (٢٥٠) ألف مخطوط، أكثر من (٨٠) منها بالعربية، وإيران التي تمتلك ألف مخطوط معظمه بالفارسية.

وتعد دار الكتب في مصر هي ديوان الوطن، حيث تمتلك عدداً ضخماً من المخطوطات الأثرية الهامة والمصاحف النادرة والتي تم تجميعها من المساجد القديمة والتكايا، وتعتبر رصيداً ثقافيا هائلا.. وتتجول حول العالم في معارض دولية مهمة.. وإلى جانب المصاحف توجد

مخطوطات تاريخية مهمة كتبت بخط يد الحكماء المصريين والعلماء ورجال الحكم.

ويعود الفضل في إنشاء دار الكتب المصرية إلى مصطفى باشا فاضل شقيق الخديوي توفيق، حيث خصص لها جانباً من قصره في منطقة درب الجماميز، وهي الآن تسافر للخارج ويجري عرضها بالمعارض تحت إجراءات حفظ كبيرة لكي لا تتعرض للضياع، ويصل الأمر إلى التأمين على المصحف الواحد بمليون دولار، الأمر اذن يحتاج لمزيد من التفاصيل.

تراث مهم

تمتلك دار الكتب المصرية عدداً من المصاحف التراثية المهمة التي تعتبر من أهم المخطوطات الموجودة ويوجد ٢٨٥ رقماً مدونا على المصحف ويسجل بدفاتر العهدة وعلى قاعدة الحاسب الآلي، وهناك مصاحف المكتبات الخاصة تحمل أسماء أصحابها على سبيل المثال مكتبة أحمد طلعت باشا ويوجد بها عدد لا بأس به من المصاحف ذات القيمة الأثرية سواء من ناحية تاريخ النسخ أو الزخرفة أو النقوش الإسلامية الجميلة.

أما عن مكتبة مصطفى باشا فاضل، فتحمل مكتبته من المصاحف ٣٣ مصحفاً، أما عن مكتبة خليل أغا باشا فتضم ١٨٩ مصحفاً، وهناك أيضاً مكتبة (قولة) وتنسب إلى محمد علي باشا وبها من المصاحف ٣٤ مصحفاً ومكتبة الزكية وهي تخص أحمد زكي باشا الملقب بشيخ العروبة وتحتوي مكتبته على مصحفين، وهذه المصاحف على أحجام مختلفة منها المصحف ذو الحجم الكبير ويبلغ مقياسه حوالي متر ونصف في متر وهو عبارة عن ٧ مجلدات.. المجلد الأول ذو غلاف من الفضة الخالصة ومطعم بماء الذهب والأحجار الكريمة، وهذا المصحف تم إهداؤه الى الملك فاروق من طائفة البهرة في الهند وهناك مصاحف ذات أحجام صغيرة جداً يصل مقاسها ٢,٥ سم في ٢٠ سم وبينها مصاحف هندسية، فهناك الشكل السداسي والرباعي، أما بالنسبة لتاريخ نسخ هذه المصاحف فيقول: إن مجموعة منها كتبت في القرن الأول والثاني الهجري على سبيل المثال مصحف جاء من مسجد عمرو بن العاص بمصر القديمة وهو مكتوب على (رفة) غزال وعدد أوراقه ٥٦٧ ورقة وغير منقط ويقال إن هذا المصحف من المصاحف

الخاصة بالخليفة عثمان بن عفان.. ذكر في الجبرتي، وهناك مصاحف أخرى مكتوبة خلال هذه الفترة بالخط الكوفي أيضاً، ودون توقيت لكتابتها وعلى رق غزال والغالبية العظمى منها نسخت خلال القرون السادس والسابع والثامن الهجري، وهي الفترة المملوكية لحكم مصر، ويوجد مصحف منذ القرن الأول الهجري وعلى رق غزال وبالخط الكوفي الغالبية العظمى منها كاملة السور، ومعظم هذه المصاحف مزينة ومزخرفة بأشكال جميلة وبخطوط واضحة مثل الخط المغربي، ومن بين مقتنيات دار الكتب والوثائق المصرية الهامة ١٣ ألف قطعة عملة أثرية بين ذهبية وفضية وبرونزية، تعود إلى عصر الدولة الفاطمية وعلى بعضها صورة الخليفة المعز لدين الله وخلفاء آخرين، وكذلك شعار الخلافة الفاطمية، ومن محتوياتها أيضا تمثال نصفي لكل من ابن سينا والمتنبي، ومحمد عبده، وعلي باشا مبارك ولوحة قاسم أمين، وصورة نادرة للشاعر أحمد شوقي، ولحافظ إبراهيم وتمثال نصفي للخديوي إسماعيل وآخر للعقاد وأيضاً للشيخ محمد عبده.

طريقة الحفظ

يتم الحفاظ على هذه المخطوطات داخل مخزن مخصص لذلك ولايتم عرضها للجمهور أو للباحثين لأنها مصورة على ميكروفيلم حسب طلب الباحث علاوة على أن مركز الترميم بالدار يقوم بعمله لترميم هذه المصاحف ومعالجة الأغلفة علاوة على الترميم الكيماوي للأوراق التي تُصاب بأي إصابة، وتمثل مجموعة المخطوطات بدار الكتب تراث أمة وحضارة شعب أما بالنسبة للقيمة العلمية فهي قيمة عالية جداً لأنها تخدم قطاعاً كبيراً من طالبي العلم سواء حاملي الماجستير أو الدكتوراة.

أما عن نقلها إلى الخارج وعودتها إلى مصر يتم تشكيل لجنة من البلد التي يقام فيها المعرض مع المختصين بالدار لاختيار المصحف أو المخطوط الذي سوف يتم عرضه وبعد ذلك يتم علاج أي قصور بالورق أو الغلاف وتقوم شركة خاصة بعملية الشحن علاوة على عمل التأمين للمصحف أو المخطوط المسافر للخارج للتأمين عليه وقد يصل إلى ثلاثة ملايين دولار.

مقتنيات أثرية

أما عن كيفية الحفاظ على هذه المصاحف فذلك يتم من خلال إجراءات مثل أي مقتنيات أثرية أخرى تبدأ بالحصر والتسجيل والفهرسة والتنصيف ثم الترميم والصيانة ثم وضعها في مخازن مجهزة ومهيأة للحفاظ على المقتنيات التراثية من حيث درجات الحرارة والرطوبة ومكافحة التلوث والوقاية من الحشرات والأمراض حيث إن الوعاء المادي الذي يحتوي عليه هذا التراث يمكن أن يصاب بأمراض نتيجة للبكتريا والفيروسات التي تصيب الأوراق والجلود وغيرها من المواد العضوية، وهي تهاجم المادة التي تكتب عليها القطعة الأثرية وبعد ذلك يتم مرحلة توثيق هذا التراث بالإجراءات الفنية المتبعة للتوثيق لتمويل هذا التراث إلى شكل بديل للوعاء الأصلي ويكون هذا البديل من خلال واحد من الأشكال الآتية:
الشكل الورقي للمستنسخات المصورة أو المصورات العلمية وهي نوعان (البطاقات المصغرة والأفلام المصغرة) أو الشكل الإلكتروني الحديث، ويتمثل حالياً في الأقراص المدمجة، فهذه العمليات الفنية تستلزم إجراءات شديدة الدقة ومستوى عال من المهارة الفنية والتقنية كما تحتاج إلى

إمكانات ضخمة خاصة إذا كانت مجموعة المقتنيات التراثية كبيرة الحجم مثلما هو متوافر في دار الكتب المصرية ويجرية حاليا إعداد وتنفيذ العديد من المشروعات المتعلقة بحفظها وتخزينها وتحويل المقتنيات إلى أوعية بديلة لإتاحتها للمستفيدين من فئات الباحثين على مختلف مشاريعهم وتخصصاتهم بدون المساس بالأوعية الأصلية حتى يمكن الحفاظ على الأثر من التدهور والتدمير نتيجة للتداول البحثي وهذه الطريقة تتيح المعلومات التي تتضمنها هذه الأوعية الأثرية لمن يود الإفادة منها.

أما فيما يتعلق بترميم الأوعية الأثرية يجري بالتعاون مع مركز الترميم التابع للإدارة المركزية للمراكز العلمية التابعة للهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، وهو يعد أحد مراكز الترميم المتميزة في منطقة الشرق الأوسط وهو فريد من نوعه على المستوى المحلي.

* دار الكتب المصرية
* أحد الرواد يطالع مخطوطا نادرا
* وكالة الصحافة العربية

وضاح مصطفى سواس

تدل الدراسات المنهجية والتنقيبات الأثرية التي تقوم بها بعثات أجنبية أو وطنية على وجود مكتبة صغيرة كانت أم كبيرة في كل تل يتم سبره و إزالة الطبقات المتطفلة للوصول إلى الطبقة المطلوبة

– ما هي المكتبة ؟ ومن أين أتت تسميتها و أهم المكتبات في الشرق الأدنى القديم ؟

هذا ما سأحاول جاهداً إيجازه للوصول سريعا

إلى المكتبات الخاصة في الفترة الإسلامية

المكتبة وأصول تسميتها ؟

ليس هناك مصطلح عام حول تعريف المكتبة لكن ما هو مألوف قوله أنها المحطة الرئيسية حيث الغذاء الروحي للمفكر والباحث والدارس والتلميذ وحيث يجد القاصد المصادر المطلوبة وموارد علمه .

وأصل كلمة مكتبة يونانية مشتقة من كلمتين الأولى بمعنى صندوقا والثانية بمعنى كتاباً أي بمعنى مكان الكتب

تاريخ المكتبات الشرقية :

ديودورس الصقلي بقوله :(فعلى مدخلها كانت منقوشة هذه الكلمات – طب الروح).

المكتبات في عهد الدولة العربية الإسلامية

نظراً للدور الحضاري الذي ارتاده العرب كان لابد من الإقبال على اقتناء الكتب ففيها الحكمة والفائدة والعلم والمعرفة لذلك نجد أن الخليفة العباسي هارون الرشيد قد أنشأ بيت الحكمة – خزانة الحكمة التي طبقت شهرتها الآفاق نظراً لما حوته من نفائس الكتب وقد أقام عليها المترجمين والنساخ والوارقين وأجرى عليهم رواتب سخية وسهل مهمة طلبة العلم والبحاثة لكنها دمرت بفعل غزو التتار لبغداد عام /٦٥٦هـ –١٢٥٨ م/ كذلك حوت بغداد على مكتبة المدرسة المستنصرية الضخمة ومكتبة ارشدير التي ضمت أكثر من عشرة آلاف مجلد احترقت بدخول طغرل بك السلجوقي إلى بغداد عام /٤٤٧ هـ/ ويحصي المؤرخون عدد مكتبات بغداد آنذاك بحوالي مائة مكتبة عمل في معظمها المترجمون والنساخ ويسر أمرها لطلبة البحث والاستقصاء والنهل من معارف العلم ضمن دفات الكتب .

ونعرج إلى ذكر مكتبة النجف التي ضمت أكثر من أربعين ألف مجلد في القرن العاشر للميلاد وقد أسس يعقوب بن كلس وزير الخليفة الفاطمي المعز و العزيز مكتبة في قصره يذكرها المقريزي

بخزانة الكتب وأنها جمعت مليونا و ستمائة كتاب في مختلف العلوم والآداب وانشأ الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله مكتبة دار الحكمة بالقاهرة أما الخزائن النورية في بلاد الشام فقد أقامها نور الدين الزنكي ويذكر ابن سينا عن مكتبة نوح بن منصور الساماني سلطان بخارى قائلاً:

(ورأيت فيها من الكتب مالم يقع اسمه إلى كثير من الناس وما رأيته من قبل ونذكر مكتبة هولاكو في مراغة وجمعت أربعمائة ألف مجلد سرقت من بلاد العرب وضمت مكتبة الخليفة العزيز الفاطمي بالقاهرة أكثر من مليون وخمسمائة مجلد ومما يؤرخ ابن خلدون عن مكتبة الخليفة الثاني من خلفاء بني أمية في الأندلس الحكم بن عبد الرحمن الناصر والذي حكم من /٣٥٠ هـ- ٣٦٦ هـ - ٩٦٠ م -٩٧٦ م / أن فهارس الدواوين بلغت - ٤٤ - فهرسا في كل فهرس عشرون ورقة وبلغت كتبها أربعمائة ألف كتاب .

ويذكر المؤرخ والأديب احمد محمد المقري صاحب كتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب أن في غرناطة كان عدد المكتبات العامة حوالي سبعين مكتبة بالإضافة لما سبق مكتبة جامع القرويين في فاس مكتبة جامع الزيتونة في تونس مكتبة الجامع الأموي في دمشق والمكتبة الوقفية في حلب حيث أن

المكتبات كانت ملازمة للمساجد والمدارس فلا يخلو مسجد أو بيمارستان أو دار لعلم من وجود مكتبة وقاعة للمطالعة اليومية والمعروف أن أحد الوزراء الفاطميين لا يخرج إلى رحلة إلا ومعه حمولة ثلاثين جملاً من الكتب تصحبه وقلدهم القيصر فردريك الثاني حين إعتاد أن يصحب معه في جولاته الكتب على ظهر الجمال.

المكتبات العربية في وقتنا الحاضر :

تقول الدكتورة ليلى الصباغ في كتابها دراسة منهجية للبحث التاريخي فقد زودت أي المكتبات في الفترة المعاصرة بالرتابة – الكمبيوتر – لتسهيل سبل التصنيف و الإعارة .

وفي الواقع لقد تحولت المكتبة في الفترة المعاصرة إلى مخبر عمل تسهل فيه مجالات البحث الجاد كالقارئات وادوات التصوير الفوتوغرافي ومخطوطات و وثائق والبريد الإلكتروني وشبكة المعلومات العالمية (إنترنت) ومنظومة الشبكات الداخلية (أنترانت) ويجب ألا ننسى أيضاً القسم الخاص بصيانة الكتب والوثائق والمخطوطات وتجليدها .

يبقى أن نشير إلى أهم المكتبات العربية الضخمة القديمة الحديثة في وقتنا الحاضر حيث عملت الحكومات العربية على إجراء الترميمات المطلوبة وإحداث الأقسام الجديدة بغية إدخال الأجهزة العلمية التي تتطلبها المكتبات الحديثة فهذه مكتبة دار الكتب القاهرية ومكتبة جامع الزيتونة التونسية والمكتبة الظاهرية الدمشقية والمكتبة الملكية في الرباط ومكتبة المجمع العلمي في دمشق وسابقاً كانت المكتبة الوقفية بحلب حيث أذكر شخصياً أن البحاثة والدارسين الأجانب والعرب كانوا يرسلون إلى خازن المكتبة رسائل تتضمن تصوير أو تلخيص أحد الكتب التي تفتقر إليها مكتبات العالم ومكتبة الأسد بدمشق.

أخيراً

يبقى الحديث ممتعاً وشيقاً بين دفات الكتب حيث غذاء الروح والتسامي الإنساني نحو الفلسفة والأدب والحكمة والعلم والإبداع .

دار الكتب المصرية

دار الكتب المصرية افتتحت في (غرة رجب ١٢٨٧ هـ = ٢٤ من سبتمبر ١٨٧٠م)، وهي أقدم مكتبة وطنية تنشأ في العالم العربي في العصر الحديث.

خلفية

تعددت جوانب الإصلاح التي نهض بها "علي مبارك"، سواء ما اتصل منها بجانب العمران والتشييد، أو ما امتدت إليه يداه في جانب التعليم والتثقيف، وله في كل منها يد محمودة وفضل مشكور، وكان من مآثره الباقية إنشاء "دار الكتب المصرية" التي حفظت ذاكرة الأمة وتراثها.

وقد عرفت حواضر الخلافة الإسلامية ومدنها الشهيرة دور الكتب التي تفتح أبوابها لجمهور العلماء والباحثين، ولعل أقدم مكتبة أنشئت كانت "بيت الحكمة" التي بلغت ذروة

مجدها وعطائها في زمن الخليفة "المأمون العباسي"، وكان شغوفًا بالعلم، مكرمًا لأهله يجلهم ويعرف أقدارهم، فجمع لها أهم الكتب الموجودة، وكلّف المترجمين بنقل أمهات المخطوطات اليونانية والسريانية إلى العربية، وظل العلماء يترددون عليها حتى نهاية القرن الرابع الهجري.

وكان من نصيب القاهرة أن أنشئت فيها خزانة كتب العصر الفاطمي، وكانت تضم كثر من ستمائة مجلد، حتى وصُفت بأنها من عجائب الدنيا، وأنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم منها، ثم بيعت بعد سقوط الدولة الفاطمية، وقيام دولة صلاح الدين الأيوبي، وانتقى منها القاضي فاضل مائة ألف كتاب قبل عملية البيع، ووضعها في مدرسته "الفاضلية".

ومع ظهور المدارس السنية ودور الحديث في مصر والشام في العصر الأيوبي والمملوكي حلت مكتباتها محل مكتبات قصور الخلفاء ودور العلم، وأصبحت تقدم خدماتها لطلابها وشيوخها، وقد لقيت تلك المدارس دعمًا من السلاطين والأمراء والأثرياء الذين كانوا يوقفون لها

الأراضي والضياع والأموال؛ رغبة في استمرار وظيفتها، وحفاظًا على رسالتها. وحرص الواقفون على وضع الشروط التي تصون ذخائر مكتباتها من التلف والضياع، والقوانين والآداب التي يلتزم بها المترددون من نظم الاطلاع والاستعادة والنسخ، وغير ذلك من الأساليب التي تعد نموذجًا لما يعرف الآن باسم الخدمة المكتبية.

وفي أواخر العهد العثماني خرجت من مصر كثير من المخطوطات بطرق غير مشروعة استقرت في مكتبات أوروبا، ثم جاءت الحملة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر لتستولي على العديد من المخطوطات النادرة التي عرفت طريقها إلى المكتبة الأهلية في باريس.

دواعي إنشاء دار للكتب

لم يكن هناك وعي تام بأهمية الكتب التي تمتلكها مصر والتي تتوزع في المساجد الكبيرة الجامعة وقصور الأمراء والأثرياء، وبيوت العلماء، ولم يكن هناك ما يمنع من الاتجار في تلك المخطوطات النادرة أو يحول دون نقلها،

وأدى تردد كثير من التجار الأجانب على القاهرة لشرائها لصالح مكتباتهم الوطنية إلى تسرب كثير منها.

وانتبه إلى خطورة هذا الوضع الذي ينذر بضياع ثروة مصر الفكرية "علي مبارك باشا"، وكان يشغل رئاسة ديوان المدارس، فرأى ضرورة قيام مكتبة كبيرة تضم شتات الكتب المبعثرة في أماكن متعددة؛ صونًا لها وحماية من الضياع والتبدد، وسبق له أن شاهد في أثناء بعثته في فرنسا مكتبتها الوطنية في باريس فأعجب بها أيما إعجاب، فألقى برغبته إلى الخديوي إسماعيل، وكان يجيش في نفسه مثل هذه الرغبة، فتلاقت الرغبتان، فأصدر الخديوي قرارًا بإنشاء دار تجمع المخطوطات النفيسة التي سلمت من الضياع والتبديد.

نواة دار الكتب



تكونت النواة الأولى لدار الكتب من "الكتبخانة" القديمة التي أنشأها "محمد علي" وجعل مقرها القلعة، ومكتبات الجوامع التي قام ديوان الأوقاف في عام ١٢٦٥ هـ = ١٨٤٩م، بحصر محتوياتها، وما اشتراه الخديوي إسماعيل من مكتبة شقيقة "مصطفى فاضل"، وكانت مكتبة هائلة، تضم نوادر المخطوطات ونفائس الكتب، وتبلغ محتوياتها ٣٤٥٨ مجلدًا.

ومن هذه المجموعات وغيرها تكونت الكتبخانة الخديوية، وبلغ ما جمع لها نحو عشرين ألف مجلد، واتخذت

من الطابق الأرضي بسراي الأمير مصطفى فاضل – الجماميز.

وضع لائحة دار الكتب

وفي (غرة جمدى الأولى سنة ١٢٨٧ هـ = ٣٠ يونيو ١٨٧٠م) انعقد بديوان المدارس اجتمع رأسه "علي مبارك" لوضع قانون دار الكتب الأول، ولائحة نظامها، الذي تكون من ٨٣ مادة، حددت أقسام الدار، واختصاصات العاملين بها، وأوقات فتحها للمترددين عليها، ووضعت الضوابط التي يلتزم بها زوارها، مثل عدم التدخين، واصطحاب الكتب إلا بعد الحصول على إذن سابق، وبينت اللائحة طرق الاستعارة، ونسخ الكتب وغير ذلك، ثم افتتحت الدار لجمهور القراء في (غرة رجب ١٢٨٧ هـ = ٢٤ سبتمبر ١٨٧٠م)، وهي تعد بذلك أقدم مكتبة وطنية تنشأ في العالم العربي في العصر الحديث.

تطور دار الكتب

اعتبرت دار الكتب بعد إنشائها ملكًا لديوان الأوقاف؛ لأن الكتب موقوفة قبل خزنها، وأوقف الخديوي إسماعيل عشرة آلاف فدان للإنفاق من ريعها على دار الكتب، وابتدأت الدار تعمل منذ عام (١٣٠٤هـ = ١٨٨٦م) على إيداع جميع الكتب التي تطبع في مصر، ولما ضاق سرايا مصطفى بمحتويات الدار التي كانت تتزايد وتنمو، أصدر الخديوي توفيق، قرارا بإنشاء مبنى لائق للدار، غير أنه لم ير النور إلا في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني سنة (١٣٢١هـ = ١٩٠٣م)، وخصص طابقه الأرضي لدار الآثار العربية (المتحف الإسلامي)، وجعل طابقه الأول وما فوقه لدار الكتب، التي فتحت أبوابها للجمهور في (١٣٢٢هـ= ١٩٠٤م) وهو مبنى فريد يقع في وسط ميدان باب الخلق، وظلت دار الكتب بهذا المبنى إلى أن انتقلت إلى مبناها الجديد على كورنيش النيل بمنطقة "رملة بولاق" سنة (١٣٩١هـ = ١٩٧١م)

محتويات دار الكتب النادرة

إحدى مخطوطات دار الكتب

تضم دار الكتب مجموعات نادرة من المخطوطات العربية والشرقية، ومن أوراق البردي العربية، والنقود الإسلامية ولوحاتٍ الخط العربي وخرائط نادرة، ودوريات كثيرة، ويبلغ عدد المخطوطات التي تضمها دار الكتب الآن نحو ستين ألف مخطوط، بعد أن أضيف إليها مكتبات غنية أثرت رصيد الدار وضاعفت عدد مخطوطاتها، ويأتي في مقدمتها:

– مكتبة أحمد طلعت بك المُتوفّى سنة (١٣٤٦هـ = ١٩٢٧م)، وعدد مخطوطاتها ٩٥٤٩.

– والمكتبة التيمورية التي جمعها "أحمد تيمور باشا"، وضمت إلى الدار بعد وفاته سنة ١٣٤٨هـ = ١٩٣٠م، عدد مخطوطاتها ٨٦٧٣مجلدًا.

ثم تضاعفت عدد قطع النقود والمكاييل التي تمتلكها دار الكتب.

وتحتوي الدار على مجموعة نادرة من لوحات الخط العربي، يبلغ عددها أكثر من (٥٠٠) لوحة متفاوتة الأحجام، بالإضافة إلى المصاحف المكتوبة بخطوط مشاهير الخطاطين المجودين والمنقوشة بالذهب والألوان.

وبدار الكتب مجموعة لا نظير لها من الدوريات والصحف والمجلات العربية والأجنبية الصادرة في مصر والبلاد العربية والإسلامية وأوروبا، وتبلغ عدد الدوريات العربية ٤٢٠٠ دورية، في حين تبلغ الدوريات الأجنبية ٥٨١٢ دورية.

وقد بدأت دار الكتب في التعريف بمقتنياتها منذ إنشائها، فأصدرت الفهارس المنوعة للتعريف برصيدها من المطبوعات والمخطوطات العربية والشرقية والدوريات التي تقتنيها.

نشر التراث

نهضت دار الكتب منذ سنة (١٣٢٩هـ = ١٩١١) بالإشراف على مشروع إحياء الآداب العربية، فأخرجت عددًا من الكتب القديمة في صورة مشرقة، محققة الأصول على منهج علمي دقيق، مثل: الأصنام لابن الكلبي، والتاج للجاحظ، والجزء الأول من مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري، وكلها من تحقيق "أحمد زكي باشا"، وكانت هذه الكتب تطبع في أول الأمر في المطبعة الأميرية، ثم تحول اسم اللجنة إلى "القسم الأدبي" سنة (١٣٤٠هـ = ١٩٢١م)، ونقلت مطبعتها إلى دار الكتب المصرية للقيام بنشر مطبوعاتها، وقد جمع لهذه المطبعة كل أسباب الجودة والإتقان، بحيث صار الكتاب المطبوع بدار الكتب عنوانًا على حسن الإخراج وجمال الطباعة.

ومنذ ذلك التاريخ توالى صدور كتب التراث التي يراعى في إخراجها الالتزام بالنواحي العلمية، وقام عليها نفر من كبار المحققين، ومن أشهر الكتب التي أصدرتها الدار

صبح الأعشى للقلقشندي، ونهاية الأدب للنويري، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، والأغاني لأبي فرج الأصبهاني، وتفسير القرطبي، كما أخرجت طبعة رائعة للمصحف الشريف سنة (١٣٧١هـ = ١٩٥٢م) عُرف باسم "مصحف دار الكتب"، ولا تزال دار الكتب تواصل رسالتها في هذا المجال، وتوالي إصّدار أمهات كتب التراث، بالإضافة إلى نشاطاتها الأخرى، باعتبارها واجهة حضارية للأمة، ومجمعًا لتراثها القديم والحديث، وملجأ للباحثين والراغبين في القراءة والمعرفة.

مراجع

- الموقع الرسمي بالعربية والإنجليزية والفرنسية.
- عن دار الكتب معلومات عن تاريخ دار الكتب المصرية.

]

مصادر الدراسة

أيمن فؤاد السيد- دار الكتب تاريخها وتطو
مكتبة الدار العربية للكتاب- القاهرة - (١٤١٧ =

محمد عمارة- علي مبارك- مؤرخ ومهند
العمران- دار المستقبل العربي- القاهرة- (٩٨٤

حسين فوزي النجار- علي مبارك أبو التع
الكتاب العربي- القاهرة- (١٩٦٧م).

محمود محمد الطناحي- مدخل إلى تاريخ
العربي- مكتبة الخانجي- القاهرة- (١٩٨٤م).

الإسلام علم وحـضارة ... المكتبـات ظـاهرة حـضارية

د. أحمـــــــد فـــــــؤاد باشـــــــا

لم يعرف العرب الكتب والمكتبات إلا بعد ظهـور الإسـلام وانتشار الكتابة بينهم، وبعد أن استشعروا الحاجـة لتـدوين الكتب، وكان المصحف الشريف هو أول كتاب ظهر في لغة العرب، وقد تم ذلك بجد ومثابرة، وبدرجة من الدقة حفظـت ضبط آياته حتى لا يلحن فيه غير العرب من المسلمين، ثـم بدأت التآليف تخرج إلى حيز الوجود قبل أن ينتصف القـرن الأول الهجري، وبتصنيع الورق وانتشاره ورخص أسـعاره تقدمت صناعة الكتاب بالخبرة والعلم معا، وانطلقت حركـة التأليف مع تقدم العلوم والمعارف في مختلـف المجـالات، وظهرت الحاجة إلى اقتناء هذه المؤلفات وتنظيمهـا لتيـسير استخدامها خاصة بعد ازدهار حركة الترجمة التي بدأت فـي

عصر بني أمية، فأصبحت المكتبات ظاهرة حضارية في أيام بني العباس.

ولقد عرف المسلمون كل أنواع المكتبات التي تتباهى بها الدول المتقدمة في العصر الحديث، حيث انتشرت المكتبات الخاصة التي بلغ بعضها من الضخامة حدا يصعب تصوره في عصر المخطوطات.

فيذكر صاحب الفهرست أن خزانة الواقدي (ت207 ه) بلغت ستمائة قمطر، كل منها حمل رجلين، ويقول المقدسي في كتابه "أحسن التقاسيم" عن خزانة عضد الدولة البويهي (ت ٣٧٢ه) بشيراز "لم يبق كتاب صُنف إلى وقته في أنواع العلوم كلها إلا وحصله فيها"، ويذكر ياقوت الحموي في "معجم الأدباء" أن خزانة الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ه) اشتملت على مائتين وستة آلاف مجلد وبلغ فهرسها عشرة مجلدات، ووصفها "آرثر بوب" بأنها كانت تضم من الكتب

ما يعادل ما كان موجودا آنذاك في مكتبات أوروبا مجتمعة، وهذا يعكس الحال الذي كانت تعيشه أوروبا في العصور الوسطى، ويوضح مدى تخلفها عن العالم الإسلامي، ويؤكد ما جاهر به المؤرخون عن انغماسها في ظلمات الجهل والسحر والخرافة، ولم تكن المكتبات مقصورة على الرجال، فابن بشكوال يذكر لنا في كتابة "الصلة" أن عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم (ت ٤٠٠هـ (كانت تملك خزانة علم كبيرة.

ولعل أعظم المكتبات الخاصة هي تلك التي ارتبطت بقصور الخلافة العباسية في العراق، والخلافة الأموية في الأندلس، والخلافة الفاطمية في القاهرة، ويكفي أن نعلم أن مكتبة العزيز بالله الفاطمي كانت تضم مليونا وستمائة ألف مجلد مفهرسة ومنظمة، وصفت بأنها من عجائب الدنيا، وأن مكتبة الحاكم المستنصر الذي ولي الخلافة في قرطبة من ٣٥٠ ٣٦٦هـ بلغت فهارسها أربعا وأربعين كراسة في كل منها

عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين.

وإلى جانب المكتبات الخاصة وجدت المكتبات العامة التي يؤمها الناس من كل حدب وصوب، فكان يلحق بكل جامع مكتبة عامرة تضم كتبا كثيرة في مختلف علوم الدنيا والدين، ولا تزال ظاهرة ارتباط المكتبات الإسلامية بالمساجد ماثلة حتى أيامنا هذه في كثير من الدول العربية والإسلامية، فالجامع الأزهر في القاهرة، والجامع الكبير في صنعاء، وجامع الزيتونة في تونس، وغيرها، لها مكتبات ضخمة تزخر بنفائس التراث العربي والإسلامي.

ومع ظهور المدارس التعليمية وانتشارها في القرن الخامس الهجري ظهرت المكتبات المدرسية، فالمدرسة الفاضلية التي أنشئت في القاهرة في عصر صلاح الدين بدأت بمكتبة قدرت محتوياتها بمائة ألف كتاب، وفي سنة ٦٣١ﻫ تم بناء المدرسة المستنصرية في بغداد وقدرت الكتب التي نقلت إليها

يـــــوم الافتتـــــاح بثمانيـــــة آلاف مجلـــــد.

ومن المكتبات العامة في عصر الازدهار الإسلامي ما كــان بمثابة مراكز للبحـث العلمــي ومجــالس لتبــادل العلــوم والمعارف، ففي مكتبة دار الحكمة التي ضمت مائـــة ألـــف مجلد، منها ستة آلاف مخطوط في الفلك والرياضيات، استقر علماء ومقرئون ولغويون ومؤلفو معاجم وأطباء وفلكيــون، وقد أنشأ الخليفة "الوقف"، وهو عبارة عــن عقـــارات مـــن الأراضي في الفسطاط لحساب عــدد مـــن الجوامـــع ودار الحكمة، وكان أكثر من عُشر هذا الريع بقليل مخصصا لهذه الدار لدفع رواتب كـــل مـــن المـــسؤول الإداري "الحـــافظ" والناسخين، والخدم، ولتأمين إصلاح الكتب، ولتزويد القـــراء بالحبر والورق والأقلام، ولشراء السجاد والأبسطة، وكـــان للمؤسسات الشبيهة بدار الحكمة الدور نفسه فـــي كـــل مـــن الموصل، والبصرة، وحلب، وطرابلس، وبغداد، فقـــد كانـــت

جميعها تؤمن حفظ المخطوطات ونسخها، كمـا كانـت فـي الوقت نفسه مراكز للتعليم ونشر العلوم والأفكـار، وقاعـات للاجتماعـات والمناقـشات.

لم يعرف العرب الكتب والمكتبات إلا بعد ظهـور الإسـلام وانتشار الكتابة بينهم، وبعد أن استشعروا الحاجـة لتـدوين الكتب، وكان المصحف الشريف هو أول كتاب ظهر في لغة العرب، وقد تم ذلك بجد ومثابرة، وبدرجة من الدقة حفظـت ضبط آياته حتى لا يلحن فيه غير العرب من المسلمين، ثـم بدأت التآليف تخرج إلى حيز الوجود قبل أن ينتصف القـرن الأول الهجري، وبتصنيع الورق وانتشاره ورخص أسـعاره تقدمت صناعة الكتاب بالخبرة والعلم معا، وانطلقت حركـة التأليف مع تقدم العلوم والمعارف في مختلـف المجـالات، وظهرت الحاجة إلى اقتناء هذه المؤلفات وتنظيمهـا لتيـسير استخدامها خاصة بعد ازدهار حركة الترجمة التي بدأت فـي

عصر بني أمية، فأصبحت المكتبات ظاهرة حضارية في أيام بني العباس.

ولقد عرف المسلمون كل أنواع المكتبات التي تتباهى بها الدول المتقدمة في العصر الحديث، حيث انتشرت المكتبات الخاصة التي بلغ بعضها من الضخامة حدا يصعب تصوره في عصر المخطوطات.

فيذكر صاحب الفهرست أن خزانة الواقدي (ت207 ه) بلغت ستمائة قمطر، كل منها حمل رجلين، ويقول المقدسي في كتابه "أحسن التقاسيم" عن خزانة عضد الدولة البويهي (ت ٣٧٢ه) بشيراز "لم يبق كتاب صُنف إلى وقته في أنواع العلوم كلها إلا وحصّله فيها"، ويذكر ياقوت الحموي في "معجم الأدباء" أن خزانة الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ه) اشتملت على مائتين وستة آلاف مجلد وبلغ فهرسها عشرة مجلدات، ووصفها "آرثر بوب" بأنها كانت تضم من الكتب

ما يعادل ما كان موجودا آنذاك في مكتبات أوروبا مجتمعة، وهذا يعكس الحال الذي كانت تعيشه أوروبا في العصور الوسطى، ويوضح مدى تخلفها عن العالم الإسلامي، ويؤكد ما جاهر به المؤرخون عن انغماسها في ظلمات الجهل والسحر والخرافة، ولم تكن المكتبات مقصورة على الرجال، فابن بشكوال يذكر لنا في كتابة "الصلة" أن عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم (ت ٤٠٠ه (كانت تملك خزانة علم كبيرة.

ولعل أعظم المكتبات الخاصة هي تلك التي ارتبطت بقصور الخلافة العباسية في العراق، والخلافة الأموية في الأندلس، والخلافة الفاطمية في القاهرة، ويكفي أن نعلم أن مكتبة العزيز بالله الفاطمي كانت تضم مليونا وستمائة ألف مجلد مفهرسة ومنظمة، وصفت بأنها من عجائب الدنيا، وأن مكتبة الحاكم المستنصر الذي ولي الخلافة في قرطبة من ٣٥٠ ٣٦٦ه بلغت فهارسها أربعا وأربعين كراسة في كل منها

عشرون ورقــة لــيس فيهــا إلا ذكــر أســماء الــدواوين.

وإلى جانب المكتبات الخاصة وجدت المكتبات العامة التــي يؤمها الناس من كل حدب وصوب، فكان يلحق بكل جــامع مكتبة عامرة تضم كتبا كثيرة في مختلف علوم الدنيا والدين، ولا تزال ظاهرة ارتباط المكتبات الإسلامية بالمساجد ماثلــة حتى أيامنا هذه في كثير من الــدول العربيــة والإســلامية، فالجامع الأزهر في القاهرة، والجامع الكبير فــي صــنعاء، وجامع الزيتونة في تونس، وغيرها، لها مكتبــات ضــخمة تزخــر بنفــائس التــراث العربــي والإســلامي.

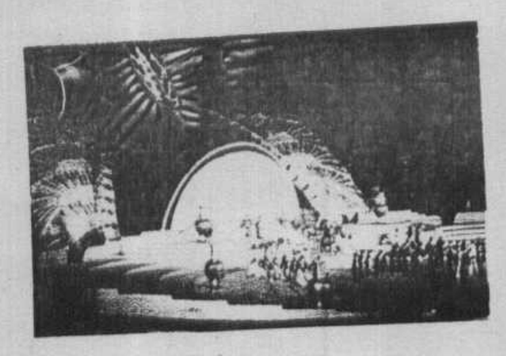
ومع ظهور المدارس التعليمية وانتشارها في القرن الخــامس الهجري ظهرت المكتبات المدرسية، فالمدرسة الفاضلية التي أنشئت في القاهرة في عصر صلاح الــدين بــدأت بمكتبــة قدرت محتوياتها بمائة ألف كتاب، وفي سنة ٦٣١هـ تم بنــاء المدرسة المستنصرية في بغداد وقدرت الكتب التي نقلت إليها

يـــــــوم الافتتـــــــــاح بثمانيــــــــــة آلاف مجلـــــــــــد.

ومن المكتبات العامة في عصر الازدهار الإسلامي ما كـــان بمثابة مراكز للبحـــث العلمـــي ومجـــالس لتبـــادل العلـــوم والمعارف، ففي مكتبة دار الحكمة التي ضمت مائــــة ألــف مجلد، منها ستة آلاف مخطوط في الفلك والرياضيات، استقر علماء ومقرئون ولغويون ومؤلفو معاجم وأطباء وفلكيــون، وقد أنشأ الخليفة "الوقف"، وهو عبارة عـــن عقـــارات مـــن الأراضي في الفسطاط لحساب عـــدد مـــن الجوامـــع ودار الحكمة، وكان أكثر من عُشر هذا الريع بقليل مخصصا لهذه الدار لدفع رواتب كـــل مـــن المـــسؤول الإداري "الحـــافظ" والناسخين، والخدم، ولتأمين إصلاح الكتب، ولتزويد القـــراء بالحبر والورق والأقلام، ولشراء السجاد والأبسطة، وكـــان للمؤسسات الشبيهة بدار الحكمة الدور نفسه فـــي كـــل مـــن الموصل، والبصرة، وحلب، وطرابلس، وبغداد، فقـــد كانـــت

جميعها تؤمن حفظ المخطوطات ونسخها، كما كانت في الوقت نفسه مراكز للتعليم ونشر العلوم والأفكار، وقاعات للاجتماعات والمناقشات.

تاريخ المكتبات والثقافة و الفنون فى مصر

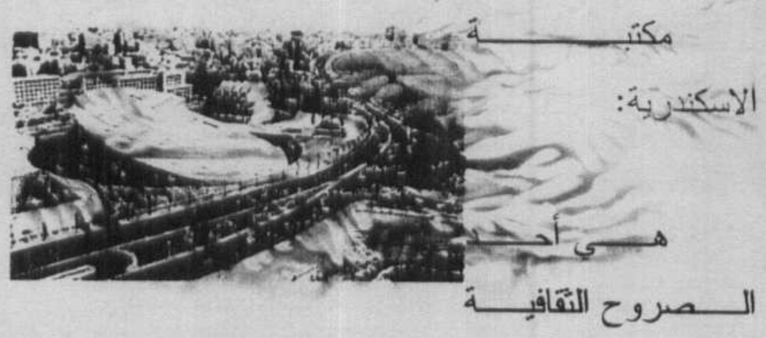


مصر صاحبة رصيد من التراث الثقافي الطويل والمتراكم عبر آلاف السنين ، والثقافة المصرية واجهة مضيئة تستلهم من تاريخها مفردات تميزها عن غيرها من الثقافات ، فقد تعاقب على مصر كثير من الثقافات والأجناس والشعوب مما أوجد إمتزاجاً إجتماعياً وثقافياً بين عناصر بشرية كثيرة ، وتمكن المجتمع المصرى من إنشاء حضارة كبرى عريقة انصهرت فى بوتقتها تلك الحضارات والثقافات .

لقد برع المصريون القــدماء فــي العلــوم والآداب والفنون فتوصلوا إلى الكتابة ..، وهم أول من ألــف الكتــب على ورق البردي ، وتمثال الكاتب المصرى خير دليل على وجود تلك المهنة فى مصر الفرعونية صــاحبة الحــضارة الوحيدة التى لها تاريخ مدون .. فاللغة المصرية القديمــة (الهيروغليفية) هى المرجع لتاريخ مصر الفرعونية وظلــت سراً خفياً حتى تم فك رموزها علــى يــد العــالم الاثــرى (شمبليون) واصدر كتاب (وصف مصر) .

المكتبات :

قام صندوق التنمية الثقافية بتبني خطة لنشر المكتبات بمختلف الأحياء والمناطق المحرومة من الخدمات الثقافية وخلال الأعوام الماضية أصبح هناك ٤٠ مكتبة بمختلف محافظات الجمهورية ، ومن أهمها مكتبة مبارك العامة ومكتبة القاهرة الكبرى .



مكتبة الاسكندرية:

هي أحد الصروح الثقافية **العملاقة التي تم إنشاؤها وتم افتتاحها في احتفالية كبرى عام ٢٠٠٢ لتكون منارة للثقافة ونافذة مصر على العالم ونافذة**

للعالم على مصر . كانت البداية مع إعلان الرئيس مبـــارك اعلان اسوان عام ١٩٩٠ لإحياء المكتبة القديمة .

وهي أول مكتبة رقمية في القرن الواحد والعـشرين وتضم التراث المصري الثقافي والإنساني .

ويضم مجمع المكتبة .. المكتبـــة الرئيـسية والقبـــة السماوية ومكتبة الشباب ومكتبة المكفوفين ومعهـــد الحفــظ والترميم ومتحف العلوم ومتحف الآثار ومتحــف الخطــوط والمعهد الدولي لدراسات المعلومـــات ومركـــز المـــؤتمرات والخدمات الملحقة به .

ويتميز مبنى المكتبة بجماله ورقيه وشـــكله الـــدائري ويشتمل شعار المكتبة على ثلاثة عناصر (قرص الشمس – مياه البحر – فنار الاسكندرية).

والمكتبة الجديدة تهدف إلى رسم آفاق جديدة للمستقبل لتحقيق التنمية الثقافية بمصر والعالم ، كما تعمل على خلــق مكتبة حديثة متخصصة ذات مقتنيات فريدة إلى جانب كونها تهدف إلى إحياء روح مكتبة الاسكندرية القديمة بالإضافة إلى كونها وسيطاً رئيسيا في عمليــة تعزيــز التعــاون الثقــافي والعلمي بين الحضارات والثقافات .

دار الكتب والوثائق القومية :

تضطلع الهيئــة العامــة لــدار الكتب والوثائق القومية بدور هام فــي إحياء ونشر كتب التراث التي أسهمت

في تكوين الفكر العالمي . ونعتبر من أقدم دور الأرشيف في العالم فقد أنشأت دار الوثائق عام ١٨٢٨ تحت اسم (الدفترخانة) بأمر من محمد علي والي مصر .

في عام ١٩٩٣ صدر قرار رئيس الجمهورية بإنشاء هيئة مستقلة تضم دار الكتب والوثائق القومية وفصلهما عن الهيئة العامة للكتاب .

في إطار اهتمام الدولة بمشروع الحكومة الاليكترونية بدأ تنفيذ مشروع التحول الرقمي بدار الوثائق حيث تمتلك كنزا وثائقياً هائلاً فيتم تسجيل التراث الوثائقي باستخدام أحدث الوسائل العلمية وتحويل المخطوطات إلى وسائط اليكترونية للحفاظ عليها وإصدار البرديات الإسلامية والخرائط الاثرية على أقراص مدمجة (CD) .

كـــل شـــيء عـــن حلـــب ، الثقافـــة والفنـــون

حـــــــــلب تراث المكتبات والقيم الفكريه

الكاتب : المركز الإعلامي - امي قصاب

رقم المقالة : ٣٠٠

المشاهدين : الافتراضي

النسخة : ١,٠٠

تاريخ النشر: ٢٠٠٦/٠٣/٣٠ ٧:٠٦:٠٩

القراءات : ١٢٧

تاريخ المكتبات في حلب تعتبرحلب أقدم مدينة مأهولة

في التاريخ وقد عرفت كيف تستفيد من هذا الكنـــز التراثـــي

الدي في جعبتها لتعزيز قيمتها الفكرية وقد أفرد العديد مـــن المؤلفين مجلدات ضخمة للحديث عن الكتب والمكتبات

التي وقفت على مدارس حلب البالغـــة نحـــو (٣٠٠) مدرسة عدا المساجد ودور الحديث وغيرها من الأماكن التي كانت تنفجر من خلالها ينابيع العلوم من منطـــوق ومفهـــوم ونعرف من اشهر المكتبات في العصر العثمـــاني/ الاحمديـــة/ التي انشاها مع المدرسة الأحمدية الشيخ أحمدطه زاده الحلبي في القرن الثاني عشر الهجري وقف عليها مايزيد عن ثلاثة لاف مجلد لكن هذا العدد تضاءل نتيجة الاهمال الـــى أن صبح ١٤٧٢/ في عام ١٩٤٩م.

، المكتبه العثمانيه او الرضـــائية/ وقـــد بلـــغ عـــدد مخطوطاتها آنذاك وتحديداً عام /١١٤٠/ هجـــري/ ١٥٠٠/ في علوم شتى ومكتبة الجـــامع الكبيروكانـــت تـــضم نحـــو كتاب مابين مخطـــوط ومطبـــوع ومكتبـــة التكيـــة

الاخلاصية التي تنسب الى الشيخ إخلاص الخلـوتي نزيـل حلب،١٠٤٤ /هجري.. اضافة الى المكتبة الـصديقية. كمـا اشتهرت حلب بالمكتبات المسيحية التابعة لطوائفهـا ونـذكر اشهرها في العصر العثماني ومابعده مثل المكتبة المارونيـة التي انشأها مطران حلب- جرمانوس فرحات- فـي أوائـل القرن الثامن عشر وهي في المرتبة الاولـى مـن مكتبـات المسيحيين في حلب..بلغ عدد مخطوطاتها نحو/١٥٠٠/ فـي لغات مختلفة، والمكتبة (الملكية) للروم الكاثوليك وتعود مع كنيستها الى منتصف القرن التاسع عشر،ومكتبة كنيسة الروم الارثوذكس وكان فيها ما يقارب/٥٠٠/ كتاب ومكتبة كنيـسة الأرمن والمكتبة الروحية. أما بالنـسبة للمكتبـات الرسـمية العامة في حلب فكان ابرزها .. مكتبة دار الكتـب الوطنيـة التي افتتحت عام ١٩٣٧م ومكتبة المركز الثقـافي العربـي وغيرها. إذا كان الكتاب هو الخزانة التي يفتحهـا الـسائل ليطّلع من خلالها على جوانب مـن المعرفـة مختلفـة، وإذا

كانت الثقافة هي المرآة العاكسة للحضارة الإنسانية بمختلف وجوهها، فإن مايدل على غنى مدينة حلب الثقافي والمعرفي وجود المكتبات وخزائن الكتب فيها والتي انتشرت في عهد سيف الدولة الحمداني الذي عظمت الحركة العلمية على يديه وقامت دولة الأدب وانبثقت أنوار العلم والفن والأدب ليراها كل عاشق متعطش لإشعاعاتها. ففي حلب اشتهرت المكتبة الأحمدية والمكتبة العثمانية ومكتبة الجامع الكبير ومكتبة التكية الإخلاصية والمكتبة الصديقية والزجاجية والشرفية، وإلى جانبها اشتهرت خزائن خاصة للكتب عرفت بها بعض الأسر الحلبية مثل مكتبات الخشاب والعديم وبدي الشحنة ومكتبة الناصرية ومكتبة القفطي وغيرها، وماهده المكتبات الا دليل على ولع أهل حلب منذ عصور غابره باقتناء الكتب وبقراءتها وبقضاء ساعات معها كخير جليس. وهناك حكاية طريفة تعد من الحكايات العجيبة في حب أهل حلب للكتب، قراتها فيما أورده الدكتور صلاح كزارة في بحث له عن

المكتبات في حلب، منقول عما قاله الصفدي في ترجمة القاضي الأكرم وزير حلب جمال الدين يوسف ابن ابراهيم القفطي المصري الحلبي، وهو الذي عرف بمكتبته وبعشقه للكتب وجوبه الآفاق من أجل ابتياعها، إذ يقول الصفدي عن القاضي الأكرم: (وله حكايات عجيبة في غرامه بالكتب، منها أنه وقع له نسخة مليحة من كتاب الأنساب لابن السمعاني بخطه يعوزها مجلد من أصل خمسة، فلم يزل يبحث عنه ويطلبه من مظانه فلم يحصل له، فبعد أيام اجتاز بعض من يعرفه بسوق القلانسيين، فوجد أوراقاً منه فأحضرها إليه وذكر القصة، فأحضر الصانع وسأله عنه فقال: اشتريته في جملة أوراق وعملته قوالب للفلاس، فحدث عنده من الهم والغم والوجوم مالايمكنهم التعبير عنه، حتى إنه بقي أياماً لايركب إلى القلعة وقطع جلوسه، وأحضر من ندب على الكتاب كما يندب على الميت المفقود.... وحضر عنده الأعيان يسلونه كما يسلى من فقد له عزيز).

وزارة الثقافة بدمشق. ١٩٧٣ سيف الدولة وعصر الحمدانيين لسامي الكيالي. دار المعارف بحلب. ١٩٥٩ الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب لأسعد طلس، المديرية العامة للآثار بدمشق ١٩٥٦،. - حلب الجانب اللغوي لخير الدين الأسدي، مجلة الضاد، ١٩٥١. - الأدب الشعبي الحلبي ليوسف قوشقجي، مجلة الضاد، ١٩٥١ - ١٩٨٣ - أولياء حلب لمنظومة الشيخ أبي الوفاء الرفاعي للأب فردينان توتل اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٤١. - تاريخ الآلة والتصنيع وتطوراتها، جميل كنه، الجزء الأول، حلب، ١٩٦٢. - حلب، دراسة توسع مدينة سورية كبيرة منذ نشأتها حتى منتصف القرن التاسع عشر لجان سوفاجيه، ترجمة فريد جحا. - لغة حلب السريانية، جرجس شلحت، المطبعة المارونية بحلب، من دون تاريخ. - مساجد حلب للدكتورة نجوى عثمان، مطبعة الجامعة، حلب، معهد التراث العلمي، ١٩٩٢. - حلب في مائة عام، لفؤاد عينتابي ونجوى

عثمان، معهد التراث (٣ مجلدات)، ١٩٩٣. وهنـاك كتـب مشهورة لعلماء وكتاب مشهورين، ألفوها عن حلـب ولعـل أبرزها موسوعة حلب المقارنة لخير الدين الأسدي، ونهـر الذهب في تاريخ حلب للشيخ كامل الغزي، وإعلام النـبلاء بتاريخ حلب الشهباء للشيخ محمد راغـب الطبـاخ، والـدر المنتخب في تاريخ حلب لابن الـشحنة، وغيرهـا ممالابـد للباحث والدارس في كل مايخص حلب من الرجـوع إليهـا فهي في سـطورها تـشتمل علـى النـواحي الاقتـصادية والاجتماعية والعمرانية والتاريخية.

التعريف بمكتبة المسجد النبوي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد

فإن طلب العلم من أفضل الأعمال ، لاسيما إذا كان في المسجد النبوي ، لقوله صلى الله عليه وسلم { من جاء مسجدي هذا لم يأت إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره } رواه الامام ابن ماجة والامام احمد . وتعتبر مكتبة المسجد النبوي الشريف مركزا من مراكز العلم بالمدينة المنورة.

أولا : التأسيس والموقع

ذكر صاحب كتاب " خزائن الكتب العربية " أن مكتبة المسجد النبوي الشريف تكونت قبل حريق المسجد النبوي في ١٣ رمضان عام ٨٨٦ هـ ، حيث احترقت خزائن المصحف والكتب في ذلك الحريق ، وكانت تضم الخزائن كتباً نفيسة ومصاحف عظيمة .

أما في العهد السعودي الزاهر فقد تأسست المكتبة عام ١٣٥٢ هـ باقتراح من السيد عبيد مدني حينما كان مديراً للأوقاف في المدينة المنورة ، وكان أول مدير لها هو السيد أحمد ياسين الخياري . وبالمكتبة بعض الكتب التي يعود تاريخ وقفها على المسجد النبوي قبل تاريخ إنشاء المكتبة ، مثل مكتبة الشيخ محمد العزيز الوزير التي أ

التعريف بمكتبة المسجد النبوي



الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد

فإن طلب العلم من أفضل الأعمال ، لاسيما إذا كان في المسجد النبوي ، لقوله صلى الله عليه وسلم { من جاء مسجدي هذا لم يأت إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره } رواه الامام ابن ماجة والامام احمد .

وتعتبر مكتبة المسجد النبوي الشريف مركزا من مراكز العلم بالمدينة المنورة

والموقع اولا : التأسيس

ذكر صاحب كتاب " خزائن الكتب العربية " أن مكتبة المسجد النبوي الشريف تكونت قبل حريق المسجد النبوي في ١٣ رمضان عام ٨٨٦ هـ ، حيث احترقت خزائن المصاحف والكتب في ذلك الحريق ، وكانت تضم الخزائن كتبا نفيسة ومصاحف عظيمة .

أما في العهد السعودي الزاهر فقد تأسست المكتبة عام ١٣٥٢ هـ باقتراح من السيد عبيد مدني حينما كان مديراً للأوقاف في المدينة المنورة ، وكان أول مدير لها هو السيد أحمد ياسين الخياري . وبالمكتبة بعض الكتب التي يعود تاريخ وقفها على المسجد النبوي قبل تاريخ إنشاء المكتبة ، مثل مكتبة الشيخ محمد العزيز الوزير التي أوقفت عام ١٣٢٠هـ ، وهي من الكتب التي أدخلت في المكتبة بعد تأسيسها ، وكانت هناك كتب في الروضة الشريفة على بعضها تاريخ

المسجد النبوي الشريف ، حيث يسمح لجميع زوار المسجد النبوي الشريف بالاستفادة من المكتبة والخدمات المقدمة فيها

وقفت عام ١٣٢٠هـ ، وهي من الكتب التي أدخلت في المكتبة بعد تأسيسها ، وكانت هناك كتب في الروضة الشريفة على بعضها تاريخ متقدم عن تاريخ تأسيس المكتبة . وموقع المكتبة حالياً داخل المسجد النبوي الشريف ، حيث يسمح لجميع زوار المسجد النبوي الشريف بالاستفادة من المكتبة والخدمات المقدمة فيها

المكتبات العامة بالجزائر خلال فترة الإحتلال الفرنسي
١٨٣٠ ـــ ١٩٦٢

د. نجية قموح
أستاذة مكلفة بالدروس
في جامعة منتوري قسنطينة ـــ الجزائر

مستخلص
تتناول الدراسة وصفا لواقع المكتبات العامة بالجزائر خلال فترة الإحتلال الفرنسي، كما تتحدث عن المحيط السياسي، والثقافي الذي نشأت فيه هذه المكتبات، والذي تميز بمحاولة طمس الشخصية الوطنية، العربية، الإسلامية للمواطن الجزائري لصالح بسط وترويج ثقافة " ستعمر من خلال المكتبة العامة التي اعتبرها المستعمر دعامة لنشر التعليم وتطوير الثقافة الغربية الفرنسية . كما تعرف الدراسة بأنواع المكتبات العامة التي أوجدتها الإدارة المستعمرة بالجزائر .

١ ـــ مقدمـــة

تعد المكتبات العامة ماضيا وحاضرا المرآة التي تعكس تاريخ الشعوب والأمم وأسلوب معيشتها، وحضارتها في حفظ سجلات المعلومات التي تمثل ذاكرتها الجماعية، والإرشاد إليها، باعتبارها إحدى وسائل نشر المعرفة، وحرية الفكر، والمبادئ والقيم

التقدمية، وتوجيه الأفراد من الباحثين والعلماء والمفكرين، والطلبة في المساهمة لتطوير المفاهيم الإنسانية وتقدم المجتمعات( ) . من هنا كان ولايزال لها دورا ساسيا لدى الكثير من الدول التي تفطنت لأهمية هذه الكتبات ودورها الفاعل في نشر معرفة والثقافة، والرقي بالمواطن فمنحتها مكانة خاصة بين أنواع المكتبات الأخرى، وجعلتها تحتل مركز الصدارة .

لكن، إذا كانت هذه الأهمية وهذا الدور قد إستعملته العديد من الدول بهدف نشر ثقافتها، وتعميم الأفكار الخاصة بمجتمعاتها داخل بلدانها، فإن دولا أخرى قد إستعملته بهدف طمس ثقافة الآخرين، لبسط نفوذها ومنهاجها على مجتمعات أخرى أرادتها أن تكون خاضعة لها وتحت سيطرتها، من هذه الدول نذكر الدولة الفرنسية عندما إحتلت الجزائر سنة ١٨٣٠ حيث قامت بإنشاء العديد من هذه المكتبات، وفي العديد من مناطق البلاد واعتبرتها دعامة أساسية لنشر المعرفة، والثقافة، وتطوير التعليم . لكن نتساءل هنا ونقول : لمن أنشأت فرنسا هذه المكتبات ؟ ولنشر اية ثقافة؟ ثم ما نوع المكتبات التي أنشأتها؟ .

حتى يتسنى لنا الإجابة عن هذه التساؤلات وتكوين صورة واضحة عن واقع المكتبات العامة بالجزائر خلال فترة الإحتلال الفرنسي لابد من العودة إلى الوراء، ليس بهدف تغذية جدل سياسي تجاوزته الأحداث، بل لأنه من الصعب دراسة وضعية هذه المكتبات بعيداً عن المحيط السياسي والثقافي الذي نشأت فيه، لهذا سنحاول التطرق إلى هذا الموضوع من خلال تحديد السياسة العامة للوجود الفرنسي بالجزائر بما فيها السياسة الثقافية، ومكانة المكتبة العامة فيها، ثم نتعرف على نوع، وواقع هذه المكتبات

٢ ــ السياسة العامة للوجود الفرنسي بالجزائر

لم يكن الإحتلال الفرنسي للجزائر سهلا، إذ برغم دخول قواتها الجزائر العاصمة عام (١٨٣٠)م، فإنها لم تستطع فرض سيطرتها على ربوع البلاد إلا عند نهاية القرن التاسع عشر، باحتلالها مناطق أقصى الجنوب، وذلك بسبب المقاومة الشديدة التي لقيتها في الشرق بواسطة أحمد باي، وفي الغرب الأمير عبد القادر، إضافة الى مقاومات أخرى، نذكر من بينها مقاومة أولاد سيدي الشيخ، والمقراني (١٨٧١)م، وبوعمامة وغيرها.

وبمجرد أن استطاعت فرنسا توطيد أقدامها فوق الارض الجزائري، بدأت في تطبيق السياسة، والأهداف التي جاءت من أجل تحقيقها، تلك السياسة التي كانت في بداية الأمر موضوع مناقشة ومجادلة بين المعتدين الذين كانوا ينادون بتطبيق سياسة التعايش، وبين المتطرفين الذين كانوا ينادون بضرورة تهجير الأهالي نحو الداخل. خاصة نحو المناطق الفقيرة. غير أن السياسة الرسمية لفرنسا تمثلت بصورة أساسية في تلك التي و عها وخطط لها الجنرال بيجو (BUGEAUD) عند مجيئه للجزائر سنة (١٨٤١) م، والتي تمثلت في الإحتلال التام لكل التراب الجزائري، بشرقه وغربه، جنوبه وشماله( ) مع ضرورة إخضاع العرب، حيث قال بهذا الصدد " لابد على العرب أن يخضعوا، وأن يكون العلم الفرنسي وحده المرفرف على هذه الأرض الإفريقية... الخضوع لايكون له طابـــع، إذا لم تدفع الضرائب"( ).

وقد عمد لتطبيق سياسته هذه الى إستعمال الوسائل العسكرية من جهة، والسلمية من جهة أخرى عبر التفاوض مع الأهالي، ومساومة رؤساء القبائل، ووعدهم بالسلطة والجاه، والأرباح، كذا التحالف مع الإقطاعيين الجزائريين الذين شاركوه حرب النهب

والقمع هذه دون تردد.

لى العموم فإن سياسة الإستعمار الفرنسي كانت في مجملها تهدف الى إنكار وجود مة الجزائرية أصلا بغرض تأبيد سيطرته على الجزائر، وكان العمود الفقري لهذه سياسة الإستيطان على أوسع نطاق، والإستغلال الى أبعد الحدود، عن طريق نزع كية، حيث كتب نائب المعتمد العسكري ملارمي (MALLARME) بصدد الحديث عن لة كبرى في مقاطعة قسنطينة " لقد أخضعنا لسلطتنا أولاد يحي وتركناهم في حالة الفقر بعد ما جردناهم من أرزاقهم، وهي خير وسيلة للإطمئنان على المستقبل "( )

وكذلك الترحيل المنظم للجزائريين، وطردهم من المناطق الجذبة، وإحلال سكان جانب محلهم بكافة الوسائل، وأخذ الثروات الطبيعية للبلاد، والأملاك الوطنية من لشعب، وإفقاره لصالح الوافدين الجدد، ضمانا للسيطرة التامة عليه وعلى ثرواته.

كذلك تعميم الجهل، لترويج الخرافات والشعوذة مع إستغلال وتغذية الروح القبلية جهوية، لأن سياسة الخضوع التي وضعها بيجو كانت ترمي من بين ما كانت ترمي به، إستغلال التنوع العرقي للشعب الجزائري الذي كان يتكلم لهجات محلية متعددة (بربرية، شاوية، ميزابية، تارقية ...) إضافة الى اللغة العربية الفصحى. فحاول حداث نوع من المواجهة بين البربر والعرب عن طريق ترويج وتغذية الإشاعات ائلة بأن البربر هم من أصل أوربي، وأنهم كانوا في السابق مسيحيين، وغيرها( ).

ي خضم هذه الأحداث لم يسلم الجانب الثقافي هو الآخر من التدمير، والخنق خاصة تعلق منه بالتراث القومي، والثقافة العربية الإسلامية، وقوامها اللغة العربية، والدين الإسلامي، وهو ما سنتحدث عنه بشكل اكثر تفصيل فيما يلي من الصفحات .

٣ ــ السياسة الثقافية لفرنسا بالجزائر

عندما دخل الإستعمار الفرنسي الى الجزائر وجد بها ثقافه عربية اسلاميه اصليه فجميع الوثائق المتوفرة عن الجزائر قبل ١٨٣٠ تشهد بأن بلادنا قد ازدهرت بها الثقافة "( ).

لقد أخذ الجزائريون على عاتقهم، وبعيدا عن الحكم، مهمة النهوض بالثقافة، وتنظيم وسائل الإزدهار الثقافي والعلمي، والفكري، والفني لبلادهم، فلم يبخلوا بمالهم، ولا بجهودهم في سبيل تحقيق ذلك، لهذا فإن من يدعي ان الجزائر العثمانية كانت الثقافة فيها غائبة، يكون إدعائه خاطئا، وصحيح أن الثقافة في تلك الفترة كانت ضعيفة، خاصة من حيث المؤلفات المبتكرة، لكنها ظلت موجودة على الساحة الإجتماعية، تنتظر فقط من يبعث بها من جديد. وهذا بشهادة الفرنسيين أنفسهم سواء في كتاباتهم ومؤلفاتهم، أو شهادات بعض المثقفين، والعسكريين، والمسؤولين، فالمتصفح لهده الشهادات يلاحظ أنها أجمعت على ان حال الثقافة في الجزائر كان أحسن بكثير قبل دخول الفرنسيين اليها من بعده، ففي عام (١٨٣٠) م كان يوجد في مدينة قسنطينة وحدها سبع مؤسسات للتعليم الثانوي وما بعده، فضلا عن تسعين مدرسة للتعليم الإبتدائي( ) وهو دليل كاف على مدى صدق هذه الشهادات وموضوعيتها. وحول هدا الموضوع قال أحد الفرنسيين أن " التعليم الإبتدائي بالجزائر كان أكثر إنتشارا مما كنا نعتقد، علاقاتنا بالأهالي في المحافظات الثلاثة بينت أن متوسط الأشخاص الذين يعرفون القراءة والكتابة من جنس الذكور كانت على الأقل مساوية لتلك التي بينتها إحصائيات المحافظات في فرنسا "( ) وذكر آخر ان " الأمية كانت منعدمة تقريبا في الجزائر "( ) وقال ثالث أن " سكان الجزائر قد يكونون أكثر ثقافة من سكان فرنسا "( ) وقال غـيره " إن نسبة الأمية في الجزائر كانت سنة ١٨٣٠ أقل منها في فرنسا "( ).

على العموم فإن التعليم في الجزائر كان منتشرا عند بدء الإحتلال الفرنسي، وكان كل مسجد تقريبا مدرسة. وكانت كل مدرسة او مسجد، او زاوية تتوفر على معلم، ومكتبة يتزود منها التلاميذ والمعلمين بمصادر العلم والمعرفة. اما بعد دخول لإستعمار الفرنسي إلى بلادنا " فإن فرنسا لم تكتف بتجريد الإنسان الجزائري من أرضه، ومسخ شخصيته بل عملت على إفساد الافئدة والعقول، وقد تجلى عملها خريبي هذا في إغلاق المساجد والمدارس التي كانت تعلم العربية وفي هدم الزوايا ( )، ويعتبر هذا أمرا طبيعيا من مستعمر يعلم جيدا انه لايمكنه بسط ثقافته، طالما بقيت ثقافة البلد المستعمر قائمة وحية.

إن النظام الإستعماري الفرنسي القائم على التجهيل، قصد قهر المجتمع الجزائري تقريض دعائمه، والقضاء التام على الثقافة واللغة العربية، وبالتالي على شخصيته وطنية، لم يتدانى في هدم المؤسسات الثقافية، والتنكيل برجالها، حيث قاوم، وبكل شدة التعليم العربي، وبخصوص هذا الموضوع جاء في تقرير موجه الى نابليون ثالث كتبه الجنرال دوكرو (DUCROT) عام ١٨٦٤ جاء من بين ما جاء فيه "يجب ينا أن نضع العراقيل أمام المدارس الإسلامية والزوايا كلما إستطعنا الى ذلك سبيل . وبعبارة أخرى يجب أن يكون هدفنا هو تحطيم الشعب الجزائري ماديا ومعنويا "( ).

ا بقي من التعليم العربي جعلته فرنسا تعليما تقليديا يقتصر على حفظ القرآن الكريم، من غير فهم أو وعي . كذلك حالت بين العلماء والتدريس في المساجد، وقامت دهم منها، بل أكثر من ذلك فلقد فرضت شروطا ثقيلة تعجيزية على كل من يحاول أسيس مدرسة، بحيث أن كل مدرسة لا تستوفي تلك الشروط تغلق وربما تحاكم

الحكومة مؤسسيها ومعلميها، وقد يكون جزاؤهم السجن، أو التغريم، أو الإبعاد، أو هذه الثلاثة معا "( ). كذلك قامت بهدم مرافق دينية، وتجارية أخرى، من بينها الوراقات، ومراكز نسخ المخطوطات، لأنها كانت ترى فيها أحد الدعائم الاساسية لحركة التعليم.

وبهذا حرمت أبناء الجزائر من مصادر تحصيل المعرفة، إضافة الى غلق وحرق الكثير من المدارس، والزوايا، والجمعيات، والمؤسسات الخيرية، مع نقل مجموعات كبيرة مــــن رصيد المكتبات الموجودة بهذه المؤسسات الى فرنسا، كل ذلك تنفيذا لسياستها في ضرب الحركة العلمية والثقافية في الجزائر، وإحلال سياسة التجهيل والتخلف مكانها، لدرجة أن أحد الموظفين الفرنسيين الكبار وهو اوجين فورميسترو (EUGENE FOURMESTRAUX) كتب يقول سنة ١٨٨٠ " لقد فرطنا في تعليم الأهالي حتى نزل الى مستوى أدنى بكثير مما كان عليه قبــل الإحتلال "( ).

هكذا بذلت فرنسا كل وسعها للقضاء على الثقافة في البلاد، بحرمانها من كل الروافد التي كانت تغذيها، وتنميها. وبهذا الحقت بها وبالشعب الجزائري أضرارا بالغة، وجعلت ثقافة الشعب ولغته غير قادرة على مسايرة التقدم العلمي ولو في أبسط صوره، لقد قال قائد وهران في هــــــذا الصدد "... بعد إقامتنا بالجزائر، إستولينا على المدارس لنحولها الى محلات، ثكنات، أو إسطبلات، وسلبنا ممتلكات المساجد، والمدارس وادعينا تطبيق مبادئ الثورة الفرنسية على الشعب العربي"( ).

وحتى تضفي السلطات الإستعمارية على أعمالها هذه صفة الشرعية والرسمية، قامت بسن مجموعة من القوانين، ترمي في مجملها الى إحداث القطيعة التامة، بين الشعب وقوميتــه ولغته، لدرجــة أن " الوزير الديمقراطي .ج. نابليون (١٨٥٦ ــ ١٨٦٠) اعتبر الجزائر امتداداً جغرافيا لفرنسا "( ).

ـ مارس الفرنسيون على الجزائر سياسة الإستيطان المكثف، وهو يتعدى الغزو
عماري المعروف، في إستغلال خيرات البلاد المختلفة، ونهب ثرواتها، الى السعي
ـاء التام على الثقافة الوطنية، لتحل محلها الثقافة الفرنسية، وبذلك تضمن لنفسها
ـيطرة المطلقة، والتامة، على الارض والأمة الجزائرية، وتصبح البلاد إمتدادا
ـا، كما كانت تنادي وتدعي بل، ان ثقافة الإستعمار نفسها لم تكن تقدم للقلة القليلة
ناء الجزائر" الا وهي مشوبة بالدعاية والإدعاء، ولا يجودهم منها الا ليكوّن منهم
ظفين، وأنصاف متعلمين، يستعملهم معاول لهدم تقاليد أمتهم، والسير بها الى
ماج "( ) لأن الإستعمار كان يعي كل الوعي انه ليس في صالحه ان يستفيد كل
ب الجزائري من الغزو الثقافي حتى ولو كان باللغة الفرنسية لأن " رفع المستوى
ي لدى الشعب حتى ولو حصل عن طريق اللغة الفرنسية، قد يؤدي الى المطالبة
رر السياسي، لذلك فلا بد من حصر التعليم في أقلية محدودة "( ). بل أن التعليم
نسية وبعد إنقضاء حوالي ثلاثين سنة من الإحتلال، بقي مقتصرا على فئات قليلة
دة من الشعب " بسبب تطبيق سياسة تهدف الى التأثير على فئة قليلة تسمى أبناء
عيان"، فالذين إستفادوا من هذه السياسة هم أبناء الإقطاعية المرتزقة التي خلفها
عمر "( ) لهذا كانت نسبة المتعلمين بين أفراد المجتمع ضعيفة جدا بسبب فرض
ـ على أبناء الأهالي في المدارس، وبالتالي تقلص عدد المتعلمين وعدد المدارس
قت نفسه، إذ في عام (١٨٨٢)م وبعد مرور (٥٢) سنة على الإحتلال لم يتجاوز
عدد المتعلمين (٣١٧٢ تلميذ) ( ) بل وحتى في السنوات التالية كان نمو عدد
المتمدرسين ضعيفا جدا.

ما يخص المدارس فقد عرفت هي الأخرى تراجعا ملحوظا في إعدادها فقد كان

بمدينة الجزائر على سبيل المثال " عام (١٨٤٠)، ٢٤ مدرسة تستقبل أكثر من ٦٠٠ تلميذ، لم يبق منها في شهر فيفري عام (١٨٤٦) سوى ١٤ مدرسة لتعليم حوالي ٤٠٠ تلميذ "( ) أما المدارس في مدينة قسنطينة، فقد تراجعت هي الأخرى بعد أن كان يوجد فيها سنة (١٨٣٧)، خمسة وثلاثين مسجدا وسبع مدارس يؤمها حوالي ستة مائة الى سبعة مائة تلميذ، يشرف عليها اساتذة عظماء، أعطوها شهرة علمية واسعة تفوق كل المدن الجزائرية الأخرى، لا تضاهيها سوى شهرة تونس والقاهرة( ). والحال كذلك بالنسبة للكثير من المدن الجزائرية الأخرى، كوهران، وتلمسان، ومعسكر، وسطيف ... الخ. كل هذه المدن وغيرها.كان بها العديد من المدارس والمساجد، والزوايا، التي يؤمها العديد من التلاميذ. وحول هذا الموضوع قال الجنرال فالازي (VALAZE) سنة ١٨٣٤ " جميع العرب تقريبا يعرفون القراءة والكتابة، وتوجد في كل قرية مدرستان "( ).

لكن فرنسا قضت على معظم هذه المدارس، وحرمت أبناء الجزائر من التردد عليها، لأخذ العلم والمعرفة .

لقد ذهب الإستعمار الفرنسي في محاولته القضاء على الثقافة الوطنية الى حد إنكار وجود نخبة مثقفة جزائرية، الأمر الذي دفع ببعض المثقفين الى مغادرة الوطن، وقام البعض الآخر بتغيير وظيفته بينما ذهب البعض الآخر الى اقصى الجنوب، حيث لم يكن قد طالته يد الإستعمار بعد، خوفا من التعرض للإضطهاد والتنكيل، كما منع الإستعمار الملتقيات، والتدريس باللغة العربية، ولم تسلم الصحافة العربية من هذه السياسة، بعد جعلها أجنبية في بلادها، وإخضاعها للمراقبة والمتابعة، وحرمانها من معظم حقوق الصحافة الفرنسية( ) [٤٦١] .

ن وبرغم كل محاولات الإستعمار الفرنسي للقضاء على الثقافة الوطنية، سواء عن
يق محاربة التعليم، والتضييق والتشديد عليه أو مقاومة اللغة العربية باعتبارها من
ومات الاساسية للشعب الجزائري، أو من خلال عدائه الشديد للدين الإسلامي، لانه
يرى فيه وحدة هذه الأمة، وترابطها، نقول برغم كل هذا لم يستطع أن يحقق آماله
برى في القضاء على هويتها، وثقافتها الوطنية العربية الإسلامية الأصيلة، مع أنه
جهودا جبارة من أجل ذلك لكن، صمود الشعب الجزائري، وثقته بنفسه، واستماتته
الدفاع عن دينه، ولغته، وتراثه، جعلت الإستعمار يمنى في النهاية بالفشل الذريع،
الثقافة الأصيلة لا تموت، والدليل على ذلك الأعداد الكبيرة من المدارس الإبتدائية،
ي أنشاتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خلال تلك الفترة بأموال الشعب(*)
كذلك العديد من المساجد، والزوايا، والمدارس الأخرى، التي إستمرت في عملها،
غير مبالية بمضايقات الإدارة الإستعمارية، حيث إستحال على السلطات الفرنسية
اقبة نشاطاتها، وهذا بشهادة القائد الفرنسي ماك ماهون (MAC MAHON) حيث قال
١٨٥١ " ان مراقبة الزوايا صعبة، إننا نهتم بها تقريبا دون نتيجة، فينبغي أن نبقى
مدى الحياة حتى نعرف ما يحصل وما يقال فيها "( ) وقال آخر " إن مراقبة الزوايا
لهر صعوبات لا تقهر "( ) وقال ثالث " إننا نجهل داخل الزوايا "( ) كل ذلك يؤكد
الدور الفعال الذي لعبته هذه المؤسسات التقليدية التعليمية في مجال نشر التعليم،
والمحافظة على لغة الأمة ودينها وثقافتها الأصلية.

ن، إذا كانت هذه هي سياسة الإستعمار في مجال الثقافة بصفة عامة، والتعليم بصفة
صة، فماذا عن المكتبة وهي إحدى دعائم التعليم الأولي ؟ ما هي مكانتها داخل هذا
المجتمع المضطهد، الملاحق في ثقافته، ولغته، واصالته ؟.

٤ــ مكانة المكتبة العامة في سياسة الإستعمار الثقافية

سعيا وراء نشر الثقافة الغربية، وتعميم الأفكار الخاصة بالمجتمعات الأوربية البعيد كل البعد عن الحضارة والثقافة العربية الإسلامية، عملت فرنسا على إقامة مختلف الهياكل الثقافية، بغرض نشر الثقافة الأوروبية بمضمونها الدعائي للإستعمار، وتحسي صورته امام الشعب من جهة، والقضاء نهائيا على الثقافة العربية الإسلامية لهذا البل من جهة ثانية.

وكانت المكتبات والمدارس بطبيعة الحال من بين هذه المؤسسات، والهياكل الثقافية التي اقامتها في عدد من المدن الكبرى في البلاد، موهمة الناس بأنها تقوم برسالة نش الحضارة، وتعميم الثقافة، فأخذت تلقن أبناء الشعب " في المدرسة الفرنسية عادات جديدة في التفكير والذوق والسلوك "( ). وهكذا قامت بإنشاء عدد من أنواع المكتبات منها : البلدية، والمدرسية، والحرة، ومكتبات رابطات التعليم، ومكتبات أرباب العمل والمكتبة الوطنية، وغيرها( ). لكن هذه المكتبات في الحقيقة لم تكن قد وجدت من أج أبناء الشعب الجزائري، بل كانت موجهة بالدرجة الأولى للفرنسيين، وأبناء الجاليات الأوربية الأخرى في الجزائر، ومن ثم بغية نشر الثقافة الفرنسية، وترويجها بين أبن الشعب حتى تستولي على عقولهم، وتجعلهم أكثر ولاء لها .

لقد اعتبرت فرنسا المكتبة العامة في الجزائر دعامة أساسية من دعائم نشر التعليم وتطوير الثقافة الفرنسية( ) فقد جاء في تدخل وزير التربية العمومية الفرنسي ماريو روستان (ROUSTAN MARIO) خلال أول مؤتمر دولي حول القراءة العمومية، الذ عقد في الجزائر سنة ١٩٣١ أن " المكتبات هنا ــ أي في الجزائر ــ تستجيب الى احتياج ثلاثي :

١ ــ تكملة التعليم المدرسي وتدعيمه.

٢ ــ تمكين المعمرين ذوي الأصل الأجنبي لغتنا وأدبنا .

منح الأهالي فرصة الإطلاع على ثقافتنا، لأن في ذلك مفخرة لهم، ولأن المكتبة تعد المجال الارحب لتوطيد الصداقة الفرنسية ــ الإسلامية "( ) .

كذلك " إننا نريد أن تكون مكتباتنا معاهد للفكر والجمال العالمي، أين يستطيع كل أن ينهل منها حسب إمكانياته واحتياجاته. وإذا كان لايستطيع المجئ اليها، عليها ذهب إليه، من أجل إنقاذ التربية من الخطر "( )، والخطر هنا يقصد به الثقافة ة الإسلامية، والروح الوطنية الجزائرية، كما يقصد بالفئات المطلوب حضورها كتبة أو حتى ذهاب المكتبة اليها، أبناء الفرنسيين والمتجنسين بالجنسية الفرنسية عمرين من جنسيات أوربية مختلفة، يعملون بالجزائر، علما بأن الأهالي الذين يشكلون أغلبية السكان، لم يكونوا معنيين بهذا الأمر .

ا إذن كان القصد من إنشاء هذه المكتبات وتعميمها أينما كان ذلك ضروريا هو الثقافة الفرنسية والسماح للمعمرين من إكتساب لغتها وتذوق أدبها، وفنونها من ، والقضاء على ثقافة البلاد بكل مقوماتها، وتعويضها بالثقافة الفرنسية من جهة . وتأكيدا على هذا القول، أوجدت فرنسا في الجزائر نوعان من المكتبات العامة، خاص بالأوروبيين ويتجلى في المكتبات البلدية وفروعها، ونوع خاص بالأهالي، ما كان يدعى بالمكتبات العربية الإسلامية، فضلا عن مكتبات مدارس التعليم العالي الإسلامي .

ى تكون المكتبة قادرة على القيام بالمهام السالفة الذكر التي أسندت اليها، أولت طات بعض الإهتمام لهذا القطاع، نقول بعض الإهتمام، لأن واقع هذه المكتبات

وبنوعيها كان بعيدا كل البعد عما جاء في الخطاب السياسي من حيث الفعالية والمردودية، وحتى تستطيع المكتبة العامة القيام بخدمة الأهداف المرسومة لها، وبمبادرة من مدير المكتبة الوطنية للجزائر سجلت المندوبية المالية لأول مرة في ميزانية سنة ١٩٢٥ إعتمادا ماليا قدره (٣٠٠٠٠) فرنك فرنسي لإرسال الكتب الى المكتبات العامة، ثم إرتفع هذا الإعتماد في السنوات الموالية الى (٧٥٠٠٠) فرنك فرنسي، رصدت بمجموعها لشراء الكتب( ) وكانت الإستفادة من هذه الإعتمادات لصالح المكتبات الأقل أهمية، أي المكتبات الصغيرة، أما تلك التي كانت توجد بالمدن الكبرى فــــــإن إعتماداتها كانت مسجلة في ميزانية البلديات التابعة لها. وكانت المساعدات الحكوميـــة تمنح للمكتبات في شكل كتب، على انها لم تكن تتم بطريقة آلية ومتساوية بل تبعاً للخدمات والمجهودات التي تبذلها وتحققها كل مكتبة، فقد كانت هذه المساعدات مجرد تكملة لمجهودات المكتبات لا غير. وهذا ما يدل على ان المكتبات خلال هذه الفترة، لم تكن تتمتع بميزانيات مستقلة.

لقد اتصفت المكتبات العامة خلال هذه الفترة في مجملها بالفقر، وقلة الأرصدة، أو قدمها، إضافة الى النقص الفادح في الإعتمادات المالية، وضعف كبير في العنصر البشري المتخصص، الشئ الذي إنعكس سلبا على تنظيمها سواء من الناحية الإدارية أ. الفنية، وبصورة عامة فإن السلطات الفرنسية بالجزائر لم يكن لها أدنى إنشغال آنذاك بتنظيم القراءة العمومية بصورة جدية، بل وحتى في فرنسا ذاتها( )، من ذلك غابت التنظيمات الخاصة بهذه المكتبات.

لقد سجلت المكتبات العامة في الجزائر تأخرا ملحوظا بعد نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، حيث تأزمت

ميتها أكثر فأكثر بسبب ارتفاع أسعار الكتب، الذي لم يرافقه إرتفاع في الميزانيات صصة لهذا الغرض، اما إشتراكات القراء فلم تتغير إلا بنسب ضعيفة، الشئ الذي جعلها غير قادرة على القيام بدورها في الحياة العامة( ) .

٥ – أنواع المكتبات العامة خلال هذه الفترة

٥ – ١ المكتبات الخاصة بالأوروبيين

٥ – ١ – ١ المكتبة البلدية المركزية بالجزائر

شاء هذه المكتبة سنة ١٨٧٢ من أجل تغطية الإحتياجات الكبرى لبلدية الجزائر، مقرها آنذاك حي القصبة. كان يوجد بهذه المكتبة مجموعة من المؤلفات حول جزائر، بلغ عددها عـــام (١٨٨١) حوالي (١٨١٨) مجلد، ثم ارتفع ليصل سنة ١٩) الى حوالي (١٣٦٠٧) مجلداً ( )، وقد الحقت بهذه المكتبة إثنا عشرة مكتبة ية، إقتنت مجتمعة حوالي (٢٢٩ ٥٢) مجلداً ( ) وكانت معظم الكتب التي يتشكل نها الرصيد ذات قيمة أدبية جيدة، لدرجة أن سكان الأحياء الموجودة بها كانوا تون على قراءتها. وبالإضافة الى الكتب كان القراء يطلعون كذلك على الجريدة الرسمية، والنشرات الإدارية مثل البحث عن النصوص القانونية وغيرها.

ن جمهور هذه المكتبة، ومكتبات الأحياء من الجنسين، أغلبه من الشباب، إضافة عض الباحثين، والمتخصصين الذين كانوا يحسنون البحث بالمكتبة، عكس القراء ب، وقد بلغ عدد القراء الدائمين حوالي (٧٠٠ ٢) قارئ سنة ١٩٣١ من بين عدد ان الأوربيين آنذاك وقدره (١٨٠ ٠٠٠) نسمة( ). أما بالنسبة للأهالي فلم يكونوا ين المترددين على هذه المكتبات، بإستثناء بعض الأفراد الذين كانوا يدرسون

بالمدارس الفرنسية، أو بعض أفراد الفئة الإجتماعية المحظوظة، الذين كانوا يسجلون أنفسهم بهذه المكتبات دون الإستفادة منها إلا نادرا.

مارست هذه المكتبة الإعارة الداخلية والخارجية، لكن الأولوية كانت للإعارة الداخلية وكان اهتمام المكتبة موجه بالدرجة الأولى للإعتناء بتحضير الإمتحانات التي لاتتعدى المستوى الثانوي، مثل إمتحان البكالوريا، وشهادة التعليم الإبتدائي، والمسابقات الخاصة بالتوظيف في المحافظة والإدارات والبنوك وغيرها( ) .

أما عن ميزانية هذه المكتبة، فإن جزء منها كان يقتطع من ميزانية البلدية التابعة لها، وهي بلدية الجزائر، والجزء الآخر من ميزانية المكتبة الوطنية، وهذا يدل على ان هذ المكتبة لم تتوفر على ميزانية محددة ودائمة كما كانت تسير من طرف مكتبي، يساعده مهندس جغرافي يدعى فيكتور كورنتز( ) .

٥- ١- ٢ المكتبات الفرعية

وهي في حدود إثنا عشرة مكتبة تابعة للمكتبة البلدية المركزية، كما سبق ذكره. سبعة من هذه المكتبات كانت مخصصة للكبار، وخمسة للأطفال، وكانت تدعى كذلك مكتبـــات الأحياء .

أما عن تلك المخصصة للكبار، واحدة منها كانت بدار الشعب تهتم بالعمال اليدويين، وكانت تتوفر على قاعة واسعة تتسع لمئة وخمسين تقني( ). وجدت بهذه المكتبات أرصدة مـــن الكتب لا بأس بها، كما أن الكتب الحديثة الإقتناء كانت تبقى معروضة لمدة شهرين أو ثلاثة قبل أن تجمع وتحفظ في المخازن. ونظرا لتمزق هذه الكتب، نتيجة كثرة تداولها، ألحقت بها ورشات للتجليد .

كانت هذه المكتبات مفتوحة كل يوم من الساعة الخامسة زوالا الى السابعة مساءا، كما

، تمارس فيها الإعارة بصورة مجانية، على أن يقدم المنخرط وصل السكن مع دفتر إعارة بـــ ٠،٥٠ فرنك فرنسي( ) أما عن نوعية القراءة التي كانت تمارس إن قراءة التسلية كانت تمثل ٩٦%( ). وكان يعمل بها أرامل الحرب، وهن غير مصات في علم المكتبات، الأمر الذي إنعكس سلبا على كيفية إدارتها وتنظيمها، اللذان إتسما عموما بالضعف وقلة الفعالية.

ن مكتبات الأطفال والتي بلغ عددها خمسة مكتبات، فقد كانت تفتح أبوابها يوما في الاسبوع، هو يوم الخميس، صباحا للذكور، ومساء للبنات. وقدر عدد قراءها سنة (١٩٣٠) بحوالي (١٧٠٠) طفلا من بينهم (١١٥) طفل) بنت من الأهالي( ). وكانت تمارس فيها الإعارة الخارجية بمعدل كتاب واحد، ثمانية أيام، مقابل إيصال السكن وثلاثة قطع نقدية، وشهادة موقعة من المعلم أو المعلمة.

ل بهذه المكتبات أرامل الحرب كذلك، مما جعل القراءة بها غير موجهة فكانت ة عن مكاتب، أو قاعات للمطالعة العمومية، وليس مكتبات وكانت تدعى مكتبات دائرة الأطفال( ) .

٥- ١- ٣ مكتبة البيار الشعبية

سها الفريد كولن (ALFRED COULON) بمساعدة رئيس بلدية الجزائر ورئيس عة،وكذلك مدير المكتبة الوطنية. كان بهذه المكتبة أكثر من ألفي كتاب من بينها عة من الكتب المهمة حول الجزائر. كما وجد بها عدد كبير من سلاسل الدوريات المتنوعة. لقد اشتملت على ثلاثة أقسام( ) .

ــ مكتبة مخصصة لتلاميذ الدروس[٦٨] الاضافية وهي موجودة بفصولهم الدراسية

٢ ــ جناح الأطفال به حوالي ثلاثة مئة كتاب

٣ ــ جناح خاص بالكبار من الجنسين

وهي مفتوحة أيام الأحد فقط، أما خلال أيام الأسبوع فإنها مفتوحة للتلاميد، وخد
مجانية، مارست الإعارة وكانت تسجل أيام الأحد حوالي مئة إعارة( )، لكنها ك
تفتقر الى ميزانية، إذ لم يكن لها أي اعتماد مالي ضمن ميزانية البلدية، مع أنها
كثيرة النشاط والحيوية، وذلك بفضل مجهودات مؤسسها الذي كان يعمل ناجتها
أجل تزويدها بالكتب الجيدة والقيمة. أما من ناحية التنظيم الإداري فإن هده المك
وعلى غرار بقية المكتبات العامة الأخرى لم تكن تخضع لأي تنظيم، نتيجة ع
توفرها على اللوائح المكتبية، والتنظيمات الداخلية، التي تسير المكتبات بموجب
إضافة الى غياب العمال المؤهلين مكتبيا، وبذلك إنحصر تنظيمها على وجه الخص
في محاولة تنظيم الرصيد، وضبط مواعيد فتح المكتبة، وغلقها، وكذلك تحديد شر
الإعارة الخارجية. وفيما بعد تدهورت عمليات الإعارة بهذه المكتبة، وسارت ن
الإنخفاض لأسباب كثيرة أهمها( ) .

١ ــ عدم توفر المكتبة على مقر .

٢ ــ عدم اعتناء القراء بالكتب .

٣ ــ عدم وجود عمال متطوعين للعمل بها.

٤ ــ فقدان الكتب الجيدة أو عدم صلاحيتها للإستعمال.

٥- ١- ٤ مكتبة بلدية قسنطينة

تأسست في الستينات من القرن التاسع عشر في ظل الإمبراطورية الثالثة، لكنه
تفتح أبوابها حتى سنة (١٨٨٠)( ). ما يُلاحظ عن هذه المكتبة أنها في البداية لم

شهرة كبيرة، إلا منذ مطلع القرن العشرين حيث تطورت، واحتلت الصدارة بين المكتبات الجهوية الأخرى التي كانت توجد في كل من الجزائر العاصمة ووهران( ) .

بعد الحرب العالمية الثانية عرفت هذه المكتبة عدة تعديلات وترميمات بإشراف أندريه برتيي (ANDRE BERTHIER) وهو محافظ جهوي لأرشيف الشرق الجزائري، وكذلك لمتحف قيستاف مرسي (GUSTAVE MERCIER) حاليا متحف سيرتا. كما أشرف على إعادة تنظيمها من الناحية الإدارية والفنية، حيث قام بوضع الفهرس البطاقي، وبإعداد الأدلة، ففي الفترة الممتدة بين (١٩٤٧ ــ ١٩٥٧) أعاد ترتيب مجموعاتها. وقام بشراء كتب جديدة، كما قام بوضع تصانيف علمية من أجل تسهيل عملية البحث عن المعلومات( ) .

أما عن رصيد هذه المكتبة فلقد كان كثير التنوع، حيث إشتملت على حوالي أربعين ألف كتاب في تخصصات مختلفة، من قانون، وتاريخ، وجغرافيا، وفلسفة، ولغة، وأدب يوناني، ولاتيني وبخاصة الفرنسي، كذلك كتب في العلوم السياسية، والإقتصادية والإجتماعية، والفنون، كما وجدت بها كتب باللغة العربية خاصة بشمال إفريقيا، وكل ما يتصل بهذه المنطقة، عالجت مواضيعها التاريخ والجغرافيا( ). وكانت تسمح بالإعارة الخارجية التي بلغت بين سنة (١٩٤٢ - ١٩٥٠) خمسمائة إعارة، وسنة (١٩٥٠ ــ ١٩٥١) وصلت الى حوالي ثمانية عشرة ألف إعارة. وكانت تم بطريقة مجانية.

وكانت تخصص لها ميزانية لا بأس بها ضمن ميزانية البلدية، إضافة الى مساعدات الحكومة العامة( ) .

أما عن الإشراف عليها، فقد باشره مختصون في تنظيم المكتبات، مثل أندريه برتيي

الذي كان مفتش مكتبات محافظة قسنطينة، كما اشرف عليها نائب رئيس المجلس البلدي. إضافة الى شخصيات أخرى. مثل بلقراند (PELLGRAND)، و م. دلورم (DELORME) وغيرهم( ) .

٥ -٢ المكتبات الخاصة بالأهالي(*)

٥- ٢- ١ المكتبة العربية بتلمسان

وكانت توجد في قاعة بمدرسة تلمسان، احتوت على رصيد قدر بثلاثة مئة وتسعة وستون كتاب في مواضيع مختلفة، منها التشريع الإسلامي، اللغة العربية، تاريخ الإسلام... الخ. توسعت هذه المكتبة فيما بعد. وكانت الميزانية المخصصة لشراء الكتب والصيانة لا تتعدى المئة والعشـــرون فرنك فرنسي( ) .

أما عن عملية الإدارة والإشراف، فلقد جرى وضع هذه المكتبة تحت إشراف مدير مدرسة تلمسان للتعليم العالي الإسلامي، يساعده أستاذ من المدرسة، يتولى عملية الصيانة، والمحافظة، وكذلك شراء الكتب مدير المدرسة، وهو أيضا الذي يشرف على عملية الإعارة التي كانت تتم تحت مسؤوليته.

وكانت هذه المكتبة مفتوحة أمام كل الأهالي، لكنهم كانوا قليلوا التردد عليها لدرجة أن الأستاذ الذي عين لخدمة هؤلاء الأهالي، قد أعفي من مهامه بالمكتبة، أما عن أيام فتحها فكانت مفتوحة في ايام العطل فقط( ) .

٥-٢- ٢ المكتبة العربية بعنابة

وفي مدينة عنابة كانت توجد مكتبة عمومية إسلامية واحدة، وكانت تفتح أبوابها ساعتين في اليوم خلال كل أيام الاسبوع عدا الأحد، اشتملت علـــى حوالـــي (٤٦٢ مجلد مرقمة وموضوعة في أربعة خزائن زجاجية : إشتملت الخزانة الأولى، على

كتب القرآن، والتفسير، والحديث، وغيرها، والثانية على كتب القانون، والثالثة على القواميس، وكتب الأدب العربي والنحو، وكذلك المنطق، أما الخزانة الرابعة فقد اشتملت على كتب في التاريخ، ومتنوعات( ) .

لم تتحصل هذه المكتبة على أية هبة، لكنها تحصلت في الثلاثينات على ميزانية ضعيفة جدا، استغلتها في شراء بعض الكتب الجديدة.كما كانت تمارس الإعارة للتلاميذ وغير التلاميذ، على ألا تتجاوز مدة الإعارة ثمانية أيام مع إمكانية إعادة إستعارة الكتاب ثانية، ولمدة مماثلة اخرى، لقد كانت نسبة الإعارة الخارجية بها منخفظة وهذا عكس الإعارة الداخلية التي قدرت بحوالي إثنتا عشرة إعارة في اليوم الواحد. كما وجد بهذه المكتبة سجل للقراء والمستعيرين، وكذلك فهرس منظم حسب محتوى الخزانات سابقة الذكر.

٥ – ٢ – ٣ المكتبة العربية ببجاية

وجدت هذه المكتبة منذ ١٩٠٣ بمقر محاذ لمسجد سيدي الصوفي، ويعود تعيين أول مكتبي بها الى نفس سنة تأسيسها. وكان طالبا بمدرسة التعليم العالي الإسلامي بمدينة قسنطينة، ثم فيما بعد عوض بمدرس من المسجد، كان هذا الأخير يتقاضى تعويض عن حراسة.

كانت المكتبة تفتح أبوابها مع بداية السنة الدراسية طبقا لتعليمات مفتش المدرسين بالمحافظة، ومدير مدرسة التعليم العالي الإسلامي بقسنطينة( ). لم تحتو هذه المكتبة على مخطوطات، بل كانت بها كتب في الشريعة، وكذا النحو، واللغة والأدب العربي، والتاريخ، والجغرافيا وغيرها، وكانت الكتب فيها مختومة بخاتم يحمل العبارة التالية (المكتبة الإسلامية ببجاية) ( )، أما عن مصدر هذه الكتب، فالبعض منها اشترته

الحكومة، والبعض الآخركان عبارة على وقف (حابوس)، أما الميزانية فلم تحصل المكتبة على ميزانية لسنوات طويلة، وبالتالي لم تتمكن من إقتناء كتب جديدة، باس بعض الكتب في القراءة، والنحو، الخاصة بالتلاميذ الذين يحضرون انفسهم للدخول مدارس التعليم العالي الإسلامي. لكن، وبمناسبة مرور مئة سنة على فرنسا بالجز تحصلت هذه المكتبة على ميزانية صغيرة إستغلتها في شراء الموسوعة العربية لن وجدي : دائرة المعارف القرن العشرين (١٠ مجلدات) وموسوعة صبح الأعشى صناعة الإنشاء للقلقشندي (١٤ مجلدا)( ).

وبالنسبة للإعارة فكانت تخضع لموافقة نائب المحافظ بالمدينة، ثم فيما بعد أصبح المدرس المسؤول عن المكتبة هو الذي يقوم بهذه العملية، على أن يوقع في سج مخصص لهذا الغرض( ) .

تردد على هذه المكتبة إضافة الى سكان المدينة، سكان الدوائر المجاورة مثل: سي عيش، وآقبو وغيرها . وهذا ما يدل على قلة عدد هذه المكتبات .

٥ – ٢ – ٤ المكتبة العربية بقسنطينة

كانت توجد بنهج كومب خارج مدرسة التعليم العالي الإسلامي، وهي مفتوحة ذ مساء، إبتداء من الساعة الثالثة زوالا، وكان أستاذ العربية بالمسجد، والمدارس الذ بالأهالي والتابعة على غرار المكتبة الى سلطة المحافظة، يقوم بالإشراف على ق المطالعة، مقابل حصوله على سكن مجاني، دون أي تعويض آخر، إذ قدر مبل الإيجار الشهري بحوالي (٢٠٠) فرنك فرنسي( ) .

احتوت المكتبة على عددا كبير من الكتب المطبوعة باللغة العربية فقط، وأيضا عدد من المخطوطات، التي جمعت من مساجد المدينة خلال فترات زمنية سابقة

وجد بها فهرس للمخطوطات في ثلاثة كراسات. أما عن تبعيتها، فلقد كانت تابعة لمراقبة مدير مدرسة قسنطينة الذي يقوم كل سنة بتفتيش كل من المكتبة العربية بعنابة، وبجاية، كما أن الإعارة لا تتم إلا بموجب موافقته الخطية( ).

هكذا وبعد هذا التذكير السريع لوضعية المكتبات العامة خلال مرحلة الإحتلال الفرنسي، نقول أن هذه المكتبات جاءت في الواقع صورة ضعيفة لما كان ينبغي أن تكون عليه. لقد كانت سياسة فرنسا في مجال المكتبة مرتبطة بسياستها في مجال التعليم الذي جاء تعليما محدودا قاصرا على فئة من أبناء الشعب، ذلك أن التعليم في الأصل كان يقصد منه تشكيل طبقة من الوسطاء بين الإدارة الفرنسية والأهالي، وليس تكوين مواطنين متقفين بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى. لذلك فإن المكتبة في هذا الوضع لم تكن سوى وسيلة ثانوية لشعب سعت فرنسا جاهدة لحجبه عن الثقافة، وجعلت مستوى معظم أفراده التعليمي، لايسمح لهم بمواصلة التعليم، ولا بالتردد على المكتبة .

٦- الخاتمـــــــة

مما سبق يسهل علينا فهم وضع المكتبة، والمكانة التي احتلتها ضمن هذه السياسة التي إعتبرت المكتبة عنصر ثانوي، والكتابة (وبالتالي التعليم) وسيلة نفعية بالدرجة الأولى، لذلك لم تظهر في الواقع الملموس كوسيلة من وسائل نشر الثقافة، وترقية المطالعة العمومية، خاصة بالنسبة للأهالي، نتيجة غياب سياسة ثقافية حقيقية لترقية القراءة بين الجزائريين ذلك أن إدعاء فرنسا قيامها في الجزائر برسالة نشر الحضارة، ليس إلا وهماً وسراباً، وبالتالي فإن إدعائها أنها جعلت من المكتبة وسيلة اساسية من وسائل نشر الثقافة بالجزائر[٤٧٤] وهم وسراب هو الآخر.

لقد ورثت الجزائر عن الإستعمار عددا من المكتبات، منها المكتبة الوطنية التي تأسست سنـــــــة (١٨٣٥)، وكذلك مكتبة جامعة الجزائر (١٩٠٩) إضافة ا حوالي خمسين مكتبة بلدية، وكانت أغلب هذه المكتبات متمركزة في المناطق ال يكثر فيها الأوروبيون، أما مناطق البلاد الأخـــرى، وبخاصة الجنوبية منها، فلم بها مكتبات، كما أن هذه المكتبات في مجملها كانت تفتقر الى المباني، والتجهيز ا والاعتمادات المالية، والمكتبيين المؤهلين، ومع ذلك فإنها غداة الإستقلال لم تسلم الأعمال التخريبية، حيث قامت منظمة (O A S) بإحراق المكتبة المركزية لجام الجزائر( )، أما المكتبة الوطنية التي وضعها (JULIEN CAIN) مدير المكتبات الفر آنذاك تحت حماية الجيش، فإن هذه الأخيرة فقدت العديد من الكتب والوثائق، وذ بفعل الجيش الفرنسي نفسه الذي جاء لحمايتها( )، كما أحرقت المنظمة سالفة الذ جزءاً من مكتبة بلدية الجزائر وتم نقل الارشيف الى فرنسا، هذا فضلا عن الرح الجماعي سنة ١٩٦٢ لعمال هذه المكتبات.